

النُّورُ الْإِسْمِيُّ
فِي شَرْحِ
اسْمِ اللَّهِ الْحُسْنِيِّ

8

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب إلا بموافقة خطية من المؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

النُّورُ الْإِسْمِيُّ

فِي شَجَرِ

إِسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى

تَقْدِيمُ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

مصطفى العدوي

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

محمد حسّان

تَأْلِيفُ

الشيخ الأيمن اللّهُفصاري



مقدمة فضيلة الشيخ / محمد حسان

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد..

فإنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق التوحيد.. الذي من أجله خلق الله الأرض والسموات.. وهو محض حق الله على جميع المخلوقات.. ولأجله بعث الله الرسل وجاءت جميع الرسالات.

وبه انقسم الناس إلى شقي وسعيد.. وقريب وبعيد.. ومقبول وطريد.. وبه انفصلت دار الكفر عن دار الإيمان.. وتميزت دار النعيم من دار الجحيم!!

وذلك لأن التوحيد هو أصل الدين وأساسه.. ورأس أمره.. وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنه، متشعبة منه مكملات له.. فهو دين شامل ومنهج حياة متكامل!!
و من أعظم وأجل وأشرف أبوابه باب توحيد الأسماء والصفات، وهو أفراد الله جَلَّ جَلَالُهُ بأسماء الجلال وصفات الكمال، والإيمان بها كما جاءت في القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ثم التعبد بها وبمقتضياتها للملك القدير.

وهذا الباب من أشرف وأجل أبواب التوحيد؛ لأنه يتعلق بذات الله جَلَّ وَعَلَا ومعرفة أسمائه الحسنی وصفاته العلا معرفة صحيحة، صادقة تدحض الشرك والتعطيل والتشبيه والتمثيل والإلحاد والتأويل امتثالاً لعملياً لقول الرب القدير:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والحق أقول: كم ضلت في هذا الباب أفهام! وكم زلت فيه أقلام وأقدام! والموفق من وفقه الله تعالى للفهم عن الله ورسوله ﷺ.

إذ أن سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديماً وحديثاً، وما وقع القدريّة والمرجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر طوائف أهل البدع في القديم والحديث ما وقعوا فيما وقعوا فيه إلا بسوء الفهم عن الله ورسوله.

لذا ترى الإمام البخاري يترجم في صحيحه في كتاب (العلم) باباً بعنوان «باب الفهم في العلم»، وفي الصحيحين من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ».

ولقد وفق الله أخانا الحبيب الشيخ «أمين» - حفظه الله - فقدم لنا هذا البستان الممتع في هذا الباب الجليل بعد مقدمة في غاية الأهمية في الأبواب الثلاثة الأولى بأسلوب جميل سهل، ثم شرح الأسماء الحسنی بمنهجية جمعت بين التأصيل العلمي والأسلوب المنهجي والبيان الرقراق الوعظي. فبدأ بالتأصيل اللغوي والشرعي للاسم، ثم بالأدلة الشرعية ثم بالآثار الإيمانية لهذا الاسم الكريم فجزاه الله خير الجزاء، وأسأل الله تعالى أن يقبل منا ومنه صالح الأعمال، وأن يقرّ أعيننا جميعاً بعودة الأمة إلى التوحيد الخالص بشموله وكماله، وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل، وألا يجعل حظنا من ديننا قولنا، وأن يحسن نياتنا وأعمالنا، وأن يختم لنا وله ولجميع المسلمين بخاتمة الموحّدين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد حسان «أبو أحمد»

القاهرة/ شوال/ ١٤٢٣

مقدمة فضيلة الشيخ مصطفى العدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فإن ربَّ العزة - بَارَكَ وَتَعَالَى - يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ويقول نبيه ﷺ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فلهذا وذاك لزمنا أن نتعرف على أسماء الله الحسنی ونقف عليها وعلى معانيها، فالعلم بذلك يرفع الله به العبد درجات، ويورثه به فسيح الجنان.

هذا وقد تناول عدد من علمائنا الأولين رَحِمَهُمُ اللَّهُ أسماء الله الحسنی بالشرح والبيان والجمع والترتيب والإيضاح فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً.

ثم إنَّ بين يدي كتاباً طيباً ولطيفاً وسهلاً في هذا الصدد وهو كتاب: (النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی) أعده أحد إخواننا الدعاة إلى الله وهو أخونا الشيخ/ أمين الأنصاري، وقد اطلعت عليه ونظرت فيه وتأملت طياته فوجدته والحمد لله نافعاً موفقاً قد اتسم بحسن الترتيب، وسهولة العبارات، وتحري المادة العلمية الصحيحة فجزاه الله خيراً على ذلك.

وإن كان ثَمَّ بعض الأحاديث التي أوردها قد اعتمد فيها تصحيحات علماء أفاضل وإن كنا نخالف في بعض التصحيح، إذ عدد منها محل اجتهاد يتأتى فيه الوجهان التصحيح والتضعيف، فلما كان جُلُّ هذا في فضائل الأعمال فقد تركته وشأنه فيها كحديث: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»، وحديث: «خَيْرُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»، وحديث: «يُؤْتَى بِالْوَلَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَادِلُهُمْ وَجَائِرُهُمْ»... إلى غير ذلك فالخطب فيه

يسير ثم إن أخي اعتمد تصحيحها من علماء أجلاء، فبالجملة فالكتاب طيب
ونافع ومبارك، أسأل الله أن يجازي كاتبه، وأن يجعله في سجل أعماله يوم يلقي
ربه وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب
العالمين.

أبو عبد الله

مصطفى العدوي

مقدمة المؤلف

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نحمد الله، ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاءُ: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْجُرُتُّبُ: ٧٠-٧١].

ثم أما بعد...

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد...

أيها الأحبة في الله، إني والله لسعيد بلقائكم من خلال هذه السلسلة الطيبة «سلسلة أسماء الله الحسنى»، والتي نحاول أن نقرب من خلالها من أسماء الله الحسنى بشيء من الشرح لمعانيها الجميلة وفوائدها الجليلة فالإيمان بها يضيء كالنجوم الساطع والنجم اللامع، تهدي الحائر، وتضيء الطريق للسائر إلى رب العالمين.

كالبدْرِ حيث التفت رأيتَه يَهْدِي إلى عَيْنِكَ نورًا ثاقبًا
كالشمس في كَيْدِ السَّماءِ وضوئها يَغْشَى البلادَ مشارقًا ومغاربًا

وقد سبقني في التأليف في أسماء الله الحسنى عدد من أكابر العلماء الأجلاء، وقد أبلوا فيها بلاءً حسنًا، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحمهم رحمة واسعة، وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا، وقد اختلفت اتجاهات هؤلاء العلماء في تناول الأسماء الحسنى، فمنهم من اهتم ببيان الأسماء الحسنى وجمعها من آيات القرآن والأحاديث الصحيحة وبيان الطرق الضعيفة في الحديث والتحذير منها، ومنهم من كان شغله الشاغل شرح وتوضيح القواعد التي لا تُعَلَّم الأسماء الحسنى إلا من خلالها.

واتجه فريق آخر إلى كشف عقائد الفرق التي ضلت بسوء اعتقادهم في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى لجهل منهم، أو لهوى في نفوسهم، فمن تلك الفرق من وقع في التأويل، ومنهم من انزل في التعطيل، وآخرون ذهبوا إلى التكييف والتشبيه، فتصدى لهم علماء الأمة المخلصون، فبينوا ضلالهم، وفندوا أباطيلهم، وأوضحوا أخطاءهم، وحذروا عامة الأمة منهم، وجاهدوهم بالحجة الواضحة، والأدلة الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة، وأما البعض الآخر فقد رأى أن الطريقة المثلى لتقريب الناس إلى ربهم هي تعريفهم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى ببيان معانيها وشرحها، وما يترتب على ذلك من إيمان صحيح وعمل صالح.

وقد أحسن كل من هؤلاء العلماء في مجاله، شريطة اتباعه لكتاب الله وسنة

رسوله وبفهم السلف الصالح من هذه الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان ممن شهد لهم بالثقة والعدالة واجْتَنَبُوا البدعة والضلالة، فقد قال النبي ﷺ: «عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِّتُمْ»^(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِصَرٍ نَافَذَ كَفُوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا كَانُوا أَحْرَى، فَلَا تَقُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسَّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مَقْصَرٌ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفُوا وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلُوا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هَدًى مُسْتَقِيمٍ»^(٣).

وقد حاولت في هذا المؤلف المتواضع أن أجمع للقارئ المسلم أكبر فائدة ممكنة، مستفيداً ممن سبقني من العلماء^(٤)، راجياً عموم النفع للمسلمين، مُقْتَصِراً

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه البزار والترمذي والحاكم، وابن عبد البر وغيرهم، وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، الحديث (٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٢٦)، والدارمي (١/٦٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢١٦).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ٢٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٣٣٨، ٣٣٩).

(٤) من هؤلاء العلماء «ابن قدامة المقدسي في كتابه لمعة الاعتقاد»، ومن العلماء المعاصرين فضيلة الشيخ ابن عثيمين: فقد استفدت من كتابه «القواعد المثلث» استفادة كبيرة، فجزاه الله وعلما الأمة العارفين عنا وعن الإسلام خيراً. وكذلك كتاب «النهج الأسمى» لفضيلة الشيخ / محمد الحمد النجدي.

على الصحيح من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على قدر الاستطاعة؛ إذ عَهِدْتُ إلى بعض الثقات من أهل الحديث تحقيق أحاديث الكتاب، ولكن لظروفهم وضيق الوقت فقد أُجِّلَ بعضها إلى طبعة قادمة إن شاء الله.

وقد ذكرت سند الحديث وتخريجه كما جاء في المصدر الذي نقلته منه، وربما لم أذكر المصدر نفسه كما حدث في كتاب «صحيح الأحاديث القدسية»، فقد نقلت منه أكثر الأحاديث القدسية، ونقلت سند المؤلف من غير عزوها إليه في مصدره، ونرجو من الله أن يغفر لنا تقصيرنا.

وصدّرت هذا الكتاب بدراسة بعض فضائل الأسماء الحسنى وبعض القواعد الهامة في معرفتها، ثم شرعت في تناول كل اسم من الأسماء الحسنى ببعض الشرح لمعناه وآثار الإيمان به، ضارِعًا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرزقني وإياكم معرفته وحبّه، وأن يجعلنا سببًا في ذلك للناس أجمعين.

كما أرجو من إخواني النصّح في الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن وجد خيرًا في هذا المؤلّف المتواضع فليدعُ الله لكل من ساهم فيه من تأليف وكتابة أو نصيحة وإرشاد بالمغفرة والسّداد، وأن يعطيه لغيره لتعمّ به الفائدة إن شاء الله، ومن وجد تقصيرًا وخللاً فليبادر بالنصح حتى نصلحه إن شاء الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قالوا: «لمن؟»، قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رحم الله امرءً أهدي إليّ عيوبي». والكمال لله وحده.

(١) رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد قمت باختصار الكتاب بما يُسرّ لي من وقت وجهد - وأسأل الله
المغفرة والقبول - إلى أربعة أبواب رئيسة، وهي كالتالي:

الباب الأول - من فضائل الأسماء الحسنى.

الباب الثاني - قواعد في الأسماء الحسنى.

الباب الثالث - أربعة تنبيهات هامة وهي:

١ - الإحصاء للأسماء الحسنى (معناه وأنواعه).

٢ - الدعاء بالأسماء الحسنى (معناه وأنواعه).

٣ - الإلحاد في الأسماء الحسنى (معناه وأنواعه).

٤ - النهي عن التسمي بأسماء الله الخاصة به وتغيير الاسم
من أجل ذلك.

الباب الرابع - شرح الأسماء الحسنى وذلك في خمس خطوات:

الأولى - المعنى اللغوي للاسم.

الثانية - الدليل الشرعي للاسم.

الثالثة - المعنى الشرعي للاسم.

الرابعة - آثار الإيمان بالاسم.

الخامسة - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وإن كان من توفيق فمن الله وحده، وإن كان من تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، ونسأل الله عَزَّجَلَّ أن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يرزقنا حُبَّه وحَبَّ من يحبه وحَبَّ عملٍ يقربنا إلى حُبِّه، وأن يلهمنا فعل الخيرات، وترك المنكرات وحَبَّ المساكين؛ فإنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى الله

أمين الأنصاري

القاهرة: في شوال ١٤٢٣ هـ

الباب الأول

من فضائل الأسماء الحسنى

أيها الأحبة في الله.. أسماء الله الحسنى كلها خير، بل كل الخير ليس إلا ثمرة لها، وكل الفضل ليس إلا زهرة من شجرتها.

كالبدْرِ حيث التفت رأيتُهُ يَهْدِي إلى عَيْنِكَ نورًا ثاقبًا

كالشمس في كَيْدِ السَّمَاءِ وضوئها يَغْشَى البلادَ مشارقًا ومغربًا

فتعالوا بنا أيها الأحبة، ولتمشي أقدامُ المحبة على أرض الاشتياق إلى جنة أسماء ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولندخل بساتينها النضرة، ولنقطف من فضائلها زهرة، ولنرتشف من عسلها قطرة.

أولاً- الأسماء الحسنى من أعظم أسباب دخول الجنة :

لمن عرفها وآمن بها وأدّى حقها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسمًا، مائةٌ إِلَّا واحدة لا يحفظها أحدٌ إِلَّا دخل الجنة»، وفي رواية: «من أحصاها دخل الجنة»^(١).

ثانيًا- الأسماء الحسنى تعرفك بالله عزَّ وجلَّ :

عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: «يا محمد، انسب لنا ربك»، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٣]^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، وانظر: «معنى الإحصاء في باب ما هو معنى الإحصاء في الأبواب التالية» (ص: ٣٦).

(٢) رواه أحمد.

ثالثاً - معرفة الأسماء الحسنى أصل عبادة الله تبارك وتعالى:

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني في بيان أهمية معرفة الأسماء الحسنى: قال بعض العلماء: «أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [مُحَمَّدًا ١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق تعظيمه، قال: «ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجدّه، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسمائه، ونعرف تفسيرها»^(١).

فمثلاً: فمن عرف أنه رحيم كريم قَوِيَ رجاؤه وازداد فيه طمعه، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَرِيمٌ يَسْتَجِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٢).

رابعاً - الأسماء الحسنى أعظم الأسباب لإجابة الدعاء:

قل تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الْإِنْفِرَاقُ ١٨٠]. فدعاء الله بأسمائه الحسنى هو أعظم أسباب إجابة الدعوة وكشف البلوة، فإنه يرحم؛ لأنه الرحمن الرحيم، ويغفر؛ لأنه الغفور، وكان النبي ﷺ يسأل الله بأسمائه الحسنى ويتوسل إليه بها، فكان يقول: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ

(١) «الحجة في المحجة» (ق ١٣ أ).

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (١٤٨٨/٢)، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات»، (ص ٩٠)، والترمذي (٣٥٥٦/٥)، وابن ماجه [٣٨٦٥]، وصححه ابن حبان [٣٤٠٠]، والحاكم (٤٩٧/١)، والخطيب في «تاريخه» (٢٣٥-٢٣٦)، من طريق جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سليمان مرفوعاً به، قال الذهبي في «العلو» (ص ٥٢): «هذا حديث مشهور، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٤٣/١١).

خَلْقِكَ، وَأَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ قَلْبِي...»^(١).

وقد دخل رسول الله ﷺ المسجد، فسمع رجلاً يقول: «إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أُعْطِيَ، وإذا دُعِيَ به أُجِبَ». وفي رواية فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أُجِبَ، وإذا سُئِلَ به أُعْطِيَ».

وفي رواية لأحمد: «أنه سمع رجلاً يقول بعد التشهد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدَ الصَّمَدَ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ» ثلاثاً^(٢).

خامساً - إن الله يحب من أحب أسماءه الحسنى:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الْإِخْلَاقِ: ١]، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ. فَقَالَ: «لَأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٣٩١/١)، وابن حبان (٩٧٢)، من حديث ابن مسعود، وقال الدارقطني: «إسناده ليس بالقوي»، وقد صححه ابن حبان وابن القيم وغيرهما، وانظر: «فتح الباري» (٢٢٠/١١)، و«السلسلة الصحيحة» [١٩٩].

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٨/٤)، ٣٤٩/٥، ٣٥٠)، وأبو داود.

(٣) أخرجه البخاري [٧٣٧٥]، ومسلم [٨١٣].

وفي حديث آخر، قال الرجل: «إني أحبها». فقال: «حُبُّكَ إياها أَدْخَلَكَ الجنة»^(١).

سادساً - دعاء الله بأسمائه الحسنی أعظم أسباب تفريج الكرب وزوال الهموم:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابنُ عَبْدِكَ، ابنُ أُمَتِكَ، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكْمِكَ، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همَّه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً». فقيل: «يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟». فقال: «بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها»^(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض وربُّ العرش العظيم»^(٣).

وفي رواية للنسائي وصححه الحاكم عن علي: «لَقَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني أن نزل كرب أو شدة أن أقولها».

سابعاً - الأسماء الحسنی أصل كل شيء:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

(١) أخرجه البخاري [٧٧٤] تعليقا، ووصله الترمذي [٢٩٠١]، من حديث أنس ا وانظر: «فتح الباري» (٢/ ٢٥٧، ٢٥٨)، و«صحيح جامع الترمذي» [٢٣٢٣].

(٢) تقدم في (ص: ١٤).

(٣) رواه البخاري (١١/ ١٤٥)، مع «الفتح».

وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، أَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ...»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن كل موجود سواه فيأبجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده، تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسمائه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها»^(٢).
ومن أمثلة ذلك:

الأصل في الخلق أن الله هو^(٣) الخالق فلا يوجد خلقٌ غير خلقه، ولا يوجد خالق سواه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ١٦].

والأصل في الرزق أن الله هو الرازق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٥٨].

فهو الرازق ولا رازق سواه، وكل رزق إنما هو رازقه، وما من عطاءٍ إلا وهو أعطاه، قَالَ الْعَالِيُّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُوسَى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طٰه: ٥٠].

والأصل في الرحمة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو (الرحمن الرحيم) رحمة مشتقة

(١) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: كتاب ابن القيم «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٣).

من رحمته، فها هي الرحم قد اشتق اسمها من اسمه (الرحمن). قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي...»^(١).

إخوته! كل ما نراه من رحمت بين الخلائق ليست إلا آثار رحمة واحدة لرب الأرض والسموات؛ (الرحمن الرحيم) تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةً رَحْمَةً». وفي حديث آخر: «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة».

وفي رواية: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةً رَحْمَةً، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهُوَامِ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعُطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا».

وفي رواية: «حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»^(٢).

فكل رحمة مهما عظمت إنما هي من الله على الحقيقة، فأعظم الناس رحمة بالناس هو رسول الله ﷺ قد وصفه الله بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فما هذه الرحمة العظيمة والأخلاق الكريمة إلا نسيم من رحمة الله عز وجل.

(١) أخرجه أحمد (١/١٩١، ١٩٤، ٢/٤٩١)، وأبو داود [١٦٩٤] من حديث أبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٤٨٦]، وانظر «صحيح البخاري مع الفتح» (١٠/٤١٨)، [٥٩٨٨].

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٦٩]، ومسلم (٢٧٥٢، ٢٧٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسلمان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَّهُمْ﴾ [العنكبوت: ١٥٩].

إخوته! كل الرحمات من الله، فلا يرسلها غيره ولا يمسكها سواه. قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ١٥٩]، فإذا لم يرحم الله فمن إذا الذي يرحم!!

مددتُ يدي إليك ربي تضرعاً فإذا رددتَ فَمَنْ ذا يرحمُ

والأصل في المغفرة أن الله هو الغفور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ١٣٥]، وكل عفوٍ ومغفرة إنما يكون من مغفرة الله وعفوه، وهو الذي علّم عباده كيف يعفون ويغفرون، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الشورى: ٢٢].

ثامناً - معرفة الله بأسمائه وصفاته هي أصل خشيته تبارك وتعالى:

إن العلم بأسماء الله - جل ثناؤه - وصفاته ومعرفة معانيها يُحدثُ خشية ورهبة في قلب العبد، فمن كان بالله أعرف فهو منه أخوف، ومن كان بالله أعلم كان على شريعته أقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٦: ٢٨].

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية: «إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد»^(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس العلم عن كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية»^(٢)،

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٢/ ٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٥٨)، والطبراني في الكبير [٨٥٣٤]، وانظر: «الحلية» (١/ ١٣١)،

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [قَطَافٌ: ٢٨].

ولذلك فقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس خشية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأنه كان أعلم الناس به، فقد قال رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خَشْيَةً»^(١).

وفي حديث آخر قال ﷺ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا»^(٢).

فمعرفة الله عَزَّ وَجَلَّ أساس تعظيمه وخشيته وأعظم أسباب العبد عمَّا يغضبه، فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَرَأْسُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»^(٣). أي: لو عَلِمَ الحالفُ بالله كذباً عظيمة الله جَلَّ جَلَالُهُ لَخَشِيَهُ واتقاه وما اجترأ على هذا الفعل وأمثاله.

تاسعاً - من عرف الأسماء الحسنى كما ينبغي فقد عرف كل شيء :

أيها الأحبة في الله، إن أسماء الله الحسنى كلها حُسن وبركة، ومن حُسْنِهَا أنها تعرفك بكل شيء على حقيقته من غير إفراط ولا تفريط، فمن عرف أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق، عرف أن كل ما دونه مخلوق، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعْدُ: ١٦].

٦ / ٣٧٠، و«مجمع الزوائد» (١٠ / ٢٣٥).

(١) أخرجه البخاري [١٦٠١]، ومسلم [٢٣٥٦]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥ / ١١٩، ١٢٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري [٢٠] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وانظر: «الفتح» (١ / ٧٠ - ٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، [٧٣٢٤]، وأبو الشيخ في «العظمة»، [٥٢٦]، والحاكم (٤ / ٢٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الحاكم، وانظر: «المنار المنيف» (ص ٥٥، ٦٥)، و«السلسلة الصحيحة» [١٥٠].

ومن عرف أن الله عَزَّجَلَّ هو الرزاق علم أن كل ما دونه مرزوق، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦]، وكذلك يعلم أنه لا يملك الرزق سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [التكاث: ٦٤].

ومن عرف أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الملك، عرف أن كل ما دونه مملوك، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٧]. ولذلك قيل: «من عرف ربه فقد عرف نفسه».

فمن عرف ربه بالغنى، عرف نفسه بالفقر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ومن عرف الله بالبقاء، عرف نفسه بالفناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة النبي: ٢٦-٢٧].

ومن عرف الله بالعلم، عرف نفسه بالجهل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وحين ركب الخضر مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ السفينة، نظرا إلى عصفور قد نقر في البحر نقرة أو نقرتين، فقال الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما عَلِمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ»^(١).

فمن عرف الله عَزَّجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، علم أنه بالكمال موصوف، وبالإحسان والجمال والجلال معروف، وعرف أيضًا نفسه بكل نقص وعيب، إلا أن يرزقه الله عَزَّجَلَّ كمال الإيمان وصالح الأعمال فيورث له ذلك

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٥ - ٤٧٢٧)، ومسلم [٢٣٨٠]، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عبودية صادقة بالانكسار بين يدي الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فيذل لعزته ويخضع لقوته.

وهذا هو دأب الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فهذا هو رسول الله ﷺ يتعبد لربه بذلك فيقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ...»^(١). فلما عرف أن الله هو ربه وإلهه وخالقه، عرف نفسه بعبوديته له، فقال: «وأنا عبدك...».

وقال أيضًا في دعاء الاستخارة: «فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ...»^(٢).

عاشراً - حسن الظن بالله عَزَّجَلَّ؛^(٣)

ويعد حسن الظن بالله تعالى ثمرة للفضيلة السابقة، فمن عرف غنى الله وفقر خلقه، وقدرة الله وعجز خلقه، وقوة الله وضعف خلقه، عرف مقدار افتقار الخلق لغنى الله، وضعفهم لقوته، وتواضعهم لعظمته، وذلتهم لعزته، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فإذا تبين له ذلك على الحقيقة حالٍ إذ يُعْظَمُ الله وحده ويخافه ويصبح عبداً له وحده، فمن دخل قلبه اليقين على قدرة الله، خرج منه اليقين على قدرة الخلق، ومن خشى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خرجت من قلبه خشية مَنْ سواه، فورث له ذلك حسن ظنه بالله عَزَّجَلَّ واعتصام به دون سواه، وتوكل عليه دون غيره وسلم له في كل أمره، وهذا بعينه ما حدث لرسول الله ﷺ وصاحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الغار حين أحاط

(١) أخرجه البخاري [٦٣٢٣] من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الطبراني في كتاب «الدعاء».

(٣) حسن الظن بالله عَزَّجَلَّ ثمرة لمعرفته؛ إذ كيف يحسن الظن بربه من لم يعرف أنه الكريم وأنه هو البر الرحيم، وكيف يحسن الظن بوعده إن لم يعرف أنه صادق الوعد ومنجز العهد.

بهم المشركون، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو نظر أحدهم أسفل قدميه لرآنا»، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١).

الحادية عشرة- لا يضر مع اسم الله شيء:

ومن فضائل أسماء الله الحُسنى أنها يُستجلب بها الخير ويستدفع بها الشر، فاسم الله يدفع^(٢)، الضرر ويرفعه^(٣)، فعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات فيضره شيء»^(٤).

الثانية عشرة- الأسماء الحسنَى وأثرها في الحلال والحرام:

ولم تقتصر فضائل الأسماء الحسنَى وبركتها على حياة القلوب وتفريج الكرب، بل وكذلك كان لها أعظم الأثر في الفقه، فترى أن ذكر اسم الله على شيء قد يفرق بين الحلال والحرام.

فأحل الله عَزَّجَلَّ الذبيحة التي ذُكر اسمُها عليها، بل وأمر بالأكل منها، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨].

وعاتب من لا يأكل مما ذكر اسم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

(١) أخرجه البخاري [٣٦٥٣]، ومسلم [٢٣٨١].

(٢) يدفع الضرر: أي يطرده ويمنعه.

(٣) ويرفعه: أي يزيله بعد نزوله.

(٤) أخرجه الطيالسي [٧٩]، وأحمد (١/ ٦٣، ٦٦)، وأبو داود [٥٠٨٨]، والترمذي [٣٣٨٨]، وابن ماجه [٣٨٦٩] وغيرهم، وقال الترمذي: «سند صحيح غريب»، وصححه الحاكم، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه» [٣١٢٠].

وعن عدي بن حاتم قال: سألت النبي ﷺ قلت: «أُرْسِلُ كلابي المَعْلَمَة؟»، قال: «إذا أرسلت كلابك المَعْلَمَة وذكرت اسم الله فأمسكن فكل»^(١).

وقد نهى عن أكل اللحم أو الصيد الذي لم يُذكر اسمُ الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الثالثة عشرة- العلم بأسماء الله الحسنى أعظم العلوم وأشرفها :

إن أشرف العلوم هي العلوم الشرعية، وأشرف العلوم الشرعية هو العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى؛ لتعلقها بأشرف من يمكن التعلم عنه؛ وهو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك أي لأسماء الله وصفاته، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب: «أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟». قال: قلت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليُهنِكَ العِلْمُ أبا المنذر»^(٣).

(١) أخرجه البخاري [٧٣٩٧]، ومسلم [١٩٢٩].

(٢) كتاب «النهج الأسنى».

(٣) «صحيح مسلم» [٨١٠].

في شرح الأسماء الحسنى

٢٧

وقد ثبت في (الصحيح) عنه ﷺ من غير وجه أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، تعدل ثلث القرآن ^{(١)(٢)}.

الرابعة عشرة - بركة الأسماء الحسنى في المعيشة :

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿بُزِكَ اسْمُكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرجز: ٧٨].

ومن بركة الأسماء الحسنى أن الشيطان لا يقرب ما ذكر عليه اسم الله. قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء» ^(٣).

وعن ابن عباس بعن النبي ﷺ قال: «قال إبليس: يا رب، ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقاً ومعيشة، فما رزقي؟ قال: «ما لم يذكر عليه اسمي»» ^(٤).

الخامسة عشرة - بركة الأسماء الحسنى تلحق النذرية :

فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنه: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره شيطان أبداً» ^(٥).

السادسة عشرة - أسماء الله أعظم أسباب الشفاء :

فإن الله تبارك وتعالى هو خالق البدن ويعلم داءه، ويده وحده شفاؤه، ودواؤه، وخير

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣١٠ - ٣١٢) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم [٢٠١٨] من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) «الأدب المفرد» قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) صحيح أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (ج ٨ ص ١٢٦)، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة».

(٥) أخرجه البخاري [٧٣٩٦]، ومسلم [١٤٣٤].

دواء، وأعظم شفاء هو أسماء الله عزَّوجلَّ، ولذلك حين عاد جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ في مرضه لم يجد سبباً للشفاء خيراً من أن يرقيه باسم الله عزَّوجلَّ.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، أشتكيت؟». قال: «نعم». قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك»^(١).

السابعة عشرة - النجاة من الوسوسة :

فمن عرف الله عزَّوجلَّ بأسمائه الحسنی وصفاته العلی ثبت إيمانه وصدق يقينه، فكان لمجاهدة الشيطان أشد وعلى دفع الوسوس أقوى.

فعن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: «ما شيء أجد في صدري؟». قال: «ما هو؟»، قلت: «والله ما أتكلم به». قال: «فقال لي: أشيء من شك؟». قال: «وضحك»، قال: «ما نجا من ذلك أحد»، قال: «حتى أنزل الله عزَّوجلَّ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يُونُسُ: ٩٤]». قال: فقال لي: «إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التَّحْيِيدُ: ٣]»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود [٥١١٠]، وحسن إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٤٢٦٢].

الباب الثاني قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى- أسماء الله تعالى كلها حسنى^(١)؛

أي: بالغة في الحسن غايته، وفي الجمال ذروته. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأنعام: ١٨٠]؛ وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً.

قال ابن القيم^(٢):

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأسماء والـ أوصاف والأفعال بالبرهان
وقال أيضاً^(٣):

أسماءه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعاني
ولحسن أسماء الله معيان:

الأول- حُسْنَى في معناها وفي نفسها.

الثاني- حُسْنَى في أثرها لمن تعبد لله بها.

(١) انظر كتاب «القواعد المثلى» للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

(٢) «النونية» لابن القيم.

(٣) المصدر السابق

أما المعنى الأول: فإن أسماء الله كلها حُسنٌ وجمالٌ، وخيرٌ وكمالٌ، وقوةٌ وجلالٌ.

مثال ذلك: «الحي» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها زوال ولا يطرأ عليه خلل. الحياة الملتزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها، قال تعالى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الْقُرْآن: ٥٨].

وقال النبي ﷺ: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»^(١).

مثال آخر: «العليم» اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يُسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]. وعلمه عز وجل هو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الْأَنْجَاء: ٨٠].

الوجه الثاني - أن أسماء الله الحسنى كلها حُسنٌ في آثارها وعواقبها^(٢)، فمن ذلك:

أولاً - أن من عرفها فقد عرف الله عَزَّوَجَلَّ، فهي حُسنٌ في المقصد والثمرة التي هي معرفة الله عَزَّوَجَلَّ.

ثانياً - أن الله عَزَّوَجَلَّ وَعَدَ عليها بعظيم الثواب من دخول الجنة لمن أحصاها وحفظها، فهي حُسنٌ في العاقبة والأجر لمن تعلَّمها، وآمن بها وأدَّى حقها، فقد

(١) أخرجه مسلم [١٧٩] من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) انظر: «باب فضائل الأسماء الحسنى»، السابعة لهذا الباب.

قال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

ثالثًا- ومن تمام أنها حسنى أن الله تبارك وتعالى لا يدعى إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الإعراف: ١٨٠].

القاعدة الثانية- أسماء الله تعالى توقيفية،

أي: لا مجال للعقل فيها؛ أي: لا بد وأن تكون معرفتها من خلال الأدلة الشرعية من القرآن وصحيح السنة المطهرة.

قال السفاريني:

لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفيّة

وهذا لأسباب منها:

الأول: أنها من أمور الغيب التي لا يعلمها الخلق إلا أن يعلمهم الله إياها من خلال الوحي إلى الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن رَّزَقْنِي مِّن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الحج: ٢٦-٢٧].

الثاني: أن عقل الإنسان قاصر لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك»^(١).

لذلك يجب الوقوف في معرفة أسماء الله على الشرع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الأنعام: ٣٦].

(١) رواه مسلم.

ثالثاً: لأن القول على الله بغير علم من أشد المحرمات:

فتسمية الله تعالى بما لم يُسم به نفسه أو إنكار ما سَمَّى به نفسه جناية في حقه تعالى وتوعد الله من فعل ذلك بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، قَالَ الْعَالِي: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ٩-١٠].

وقال النبي ﷺ: «من تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

هذا عقاب الكاذب على النبي ﷺ، فكيف بمن يكذب على الله عز وجل؟!

القاعدة الثالثة - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾:

قال ابن القيم رحمه الله^(٢):

لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان

فإن أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى ليس كمثله شيء من خلقه، فينبغي الإيمان بها كما جاءت في الشرع بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه،

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «القصيدة النونية» (ص ١٤٦).

وَقَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّوَرَى: ١١].

فينبغي إجراء النصوص على ظاهرها من غير إنكار ولا تأويل، والإيمان بها كما أراد الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «أمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وأمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»^(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: في قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا..»، و«إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْقِيَامَةِ»، وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها ونصدق بها، لا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍ ولا غاية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّوَرَى: ١١]، ونقول كما قال.

ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كُنَّ ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن»^(٢).

فسبحان الله! كيف يشبه المملوكُ مالكَه، والمرزوقُ رازقَه، والمخلوقُ خالقَه؟!

(١) من كتاب «شرح لمعة الاعتقاد» (ص ٣٦)، وراجع «الرسالة المدنية» لابن تيمية (ص ١٢١) مع «الفتوى الحموية»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما ما قال الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه، فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة».

(٢) راجع: «الصواعق المنزلة» لابن القيم (١/ ٢٦٥)، و«مختصر الصواعق المرسلة» لابن الموصلي (٢/ ٢٥١)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص ١٥٦)، وترجمة الإمام أحمد في «تاريخ الإسلام» للذهبي (ص ٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الْحَجَل: ١٧].

مثال ذلك: لله سمع، ولكنه ليس كسمع خلقه، فسمعُ الناس يكون بجارحة تطرأ عليها الأمراض ويصيبها الخلل، ثم إذا سمعت فإنها تسمع الصوت العالي وقد لا تسمع المنخفض، وتسمع القريب ولا تسمع البعيد، وتسمع الجهر ولا تسمع السر وتختلط عليها الأصوات فلا تميز بعضها عن بعض، ثم يذهب ما تبقى منها ويفنى بالموت، أين هذا من سمع الله جل جلاله وتقدست أسماؤه؟! فإنه يسمع ما تحت الأرض كما يسمع ما فوق السماء، ويسمع الجماعة كما يسمع الفرد، والقريب والبعيد عنده سواء، والسر عنده مثل العلن، قال تعالى: ﴿وَأِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طٰه: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣: ٨].

فلا تشغله الأصوات الكثيرة عن الصوت المنفرد، ولا أصوات صاحبة عن صوت منخفض، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يسمع دبة النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

وانظر إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تسبِّح ربها لما علمت من إحاطة سمعه بالأصوات، فتقول: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [الْمَجَادِلَةِ: ١]»^(١). مثال آخر: لله وجه، ولكنه ليس كوجوه الخلق، فمن وجوه الخلق ما يكون دميماً، ولو كان جميلاً، فهو جمالٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢/١٣) تعليقاً، وأحمد (٤٦/٦)، وابن ماجه [١٨٨]، والحاكم (٤٨١٠/٢)، وصححه الحاكم، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» [١٥٥]، وانظر: «الإرواء» (١٧٥٠/٧).

بشري ناقص تأتي عليه الأغيار، والحوادث، فالمرض يُدبّل نضرته، والهَرَم يطفئ وضاءته، ثم هو على كُلِّ الأحوال إلى فناء، أين هذا من وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي يفيض بالجلال ويستحي من جماله الجمال، فقد قال النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(١).

وقال النبي ﷺ وهو يصف جمال وجه الله: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٢)، وجماله ثابت لا يتغير، ودائم لا يفنى، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦١﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٢﴾﴾ [التين: ٢٦-٢٧].

القاعدة الرابعة - الأسماء الحسنى ليست أعلاماً فقط، ولكنها تحمل صفات ومعاني:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(٣):

أَسْمَاءُ أَوْصَافٍ مَدْحٌ كُلُّهَا قَدْ حَمَلَتْ لِمَعَانِي

والاسم العلم هو ما دل على صاحبه وعَرَفَهُ وَمَيَّزَهُ عن غيره، كأن يُسمى رجلاً صادقاً أو كريماً، ولكنه ليس بالضرورة أن تكون صفته الصدق أو الكرم، فقد يُسمى كريماً ويكون بخيلاً في صفته، أو يكون اسمه صادقاً، والكذب من صفاته.

(١) أخرجه مسلم [٩١] من حديث ابن مسعود.

(٢) جزء من حديث: «إن الله لا ينام»، وقد تقدم (ص ١٩) والسبحات بضم السين والباء ورفع التاء في آخره، وهي جمع سبحة، قال صاحب العين والهروي: «وجمع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه، انظر: «صحيح مسلم» بشرح النووي (٣/ ١٣، ١٤) باب ما جاء في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

(٣) النونية.

أما أسماء الله الحسنى فهي أعلام وأوصاف معاً، تحمل معاني وتعبر عن صفات الله التامة الكمال والجمال، فمثلاً من أسماء الله تعالى: «الْغَفُورُ، وَالرَّحِيمُ»، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فهو الغفور: فإنه يغفر الذنوب جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهو الرحيم: فرحمته وسعت كل خلقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

مثال آخر: اسمه الخالق جَلَّ جَلَالُهُ فإنه يحمل صفة الخالق، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفuran: ٢]، وكذلك اسمه الكريم عَزَّ جَلَّ، فإن الخلق جميعاً يحيون من نعمه ويرزقون من كرمه.

قال النبي ﷺ: «يد الله ملأى لا تغيضها»^(١) نفقة سحاء^(٢) الليل والنهار»، وقال: «أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده»^(٣).

القاعدة الخامسة- باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

أي أن الصفات أكثر من الأسماء، وذلك لأن كل الأسماء تحمل صفات، كما تقدم شرحه، فكل اسم تشتق منه الصفة التي يحملها، ولكن لا يصح اشتقاق اسم من أسماء الله تعالى من الصفات، فكل اسم يحمل صفة وليس كل صفة تحمل اسماً.

(١) وقوله: لا تغيضها: أي لا ينقصها.

(٢) وقوله سحاء أي: دائمة السح والصب والهطل بالعطاء.

(٣) أخرجه البخاري [٤٦٨٤]، ومسلم [٩٩٣]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مثال ذلك: اسم الله (الرحمن) يحمل صفة الرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعَةٍ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وكذلك اسمه (العزیز) يحمل صفة العزة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يُونُس: ٦٥]، وهكذا.

ولكن في الصفات ليس كذلك.

مثال ذلك: أن لله صفة الكلام؛ لقوله تعالى لنبیه موسى: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فهل يصح الادعاء بأن من أسماء الله تعالى اسم (المتكلم)؟ لا يصح بالطبع، وكذلك صفة (المكر) و(الكيد)، فقد ثبت بالدليل من كتاب الله، فقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، فلا يصح أن يقال إن من أسماء الله «الماكر» أو «الكائد»؛ وذلك لأن أسماء الله كلها حسنى، فكل ما تحمله من الصفات العلى، أما الصفات في اللغة فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول- أن تكون صفات كمالٍ مطلق كالحياء، والعلم، والقدرة، فهي ثبت لله كلها ويُنفى عنهما ما يضادها من صفات النقص مثل إثبات صفة الحياة ونفي صفة الموت، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

الثاني- نقص مطلق كالعجز، والموت، والفقر، فهي تُنفى عن الله كلها، ولكن يثبت لله تعالى ما يضادها.

مثال ذلك: صفة الظلم فإنها تنفى كلها عن الله بَرَّكَ وَتَعَالَى، ويثبت له العدل

بل الكرم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]؛ لأن نفي النقص وحده لا يعني الكمال، فلا بد من نفي النقص وإثبات ضده.

الثالث - صفات تحتل كمالاً من وجه ونقصاً من وجه آخر، فيثبت لله تعالى فيها وجوه الكمال، وينفى عنه منها وجوه النقص.

مثال: «المكر» و«الخداع» فإنهما لو كانت من ضعيف لا يقوى على أخذ حقه فهو نقص، وإن كانت من منافق خبيث يمكر بالمؤمنين ويخادعهم لتحقيق غرض خبيث في نفسه فهو نقص وهو من مذموم الصفات وهذا وأمثاله ينفي كله عن الله جلّ جلاله.

أما إن كان «المكر» عقوبة بالماكرين وانتقاماً من المخادعين فهو من الكمال، وإن كان بغير ظلم ولا ضعف فهو من الكمال، وإن كان بعد التحذير والإنذار والإمهال فهو تمام العدل والرحمة، فهذا وأمثاله يثبت لله جلّ جلاله ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

القاعدة السادسة - الأسماء الحسنى لا تزيد ولا تنقص:

فإن أسماء الله الحسنى بالغة في الحسن ذروته، وفي الكمال غايته، كمالاً لم يسبقه نقصان ولا يأتي عليه من الأغيار في الأزمان، فالزيادة تكون أحد أمرين: الأول - إما أن تكون الزيادة من أسماء الله حسنى أيضاً، وهذا يستحيل في حق الله عز وجل؛ إذ أن الأسماء الحسنى قد صُرفت كلها لله وحده سواء التي

سمي بها نفسه، أو التي أنزلها في شرعه، أو استأثر بها في علم الغيب عنده أو علّمها لأحدٍ من خلقه.

والثاني - أن تكون الزيادة ليست من الأسماء الحسنى، وهذا لا يليق بالله جلّ جلاله وتقدست أسماؤه، وأن الشر لا يصح صرفه لله، فقد قال النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»^(١).

القاعدة السابعة - هل حُصرت الأسماء الحسنى بعدد معين؟

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين؛ لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...»^(٢).

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به، فأما قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٣). فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك. ونظير ذلك أن تقول: «عندي مائة درهم أعدتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة. ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف»^(٤).

(١) أخرجه مسلم [٧٧١] من حديث علي، ا، في حديث طويل.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) تقدم في (ص ١٥) .

(٤) أخرجه الترمذي [٣٥٠٧]، والحاكم (١٦/١، ١٧) من حديث أبي هريرة، وانظر: «ضعيف جامع الترمذي» [٦٩٦].

الباب الثالث أربعة تنبيهات مهمة

أولاً- من أحصاها دخل الجنة :

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»^(١).

فما هو معنى الإحصاء^(٢)؟ قيل في معنى الإحصاء عدة أقوال؛ منها:

الأول- أن يعدّها حتى يستوفيها حفظاً ويدعو ربه بها، ويثني عليه بجميعها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الحج: ٢٨]. واستدل له الخطابي بقوله ٠ كما في الرواية الأخرى: «من حفظها دخل الجنة»^(٣).

وقال النووي: «قال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر لثبوته نصاً في الخبر». وقال في الأذكار: وهو قول الأكثرين، وقال ابن الجوزي: «من أحصاها أي: من عدها ليستوفيها حفظاً».

وقد ردّ هذا القول الحافظ ابن حجر، فقال: «وفيه نظر؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ «حفظها» تعيين السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي»^(٤).

يقصد - والله أعلم - أن يحترم أسماء الله ويوقرها ويحافظ على ما تقتضيه من معاني الإيمان ويعمل به.

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر كتاب «النهج الأسامي» للشيخ محمد الحمود النجدي (١/ ٥٢: ٥٦).

(٣) أخرجه البخاري [٦٤١٠].

(٤) «الفتح» (١١/ ٢٢٦).

وقال الأصيلي: «ليس المراد بالإحصاء عدّها فقط؛ لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العلم بها.

الثاني - أن يكون المراد بالإحصاء «الإطاقة»؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنُخْصِرَهُ﴾ [الجزء ٢٠: ٢٠].

وكقول النبي ﷺ «استقيموا ولن تحصوا»^(١)، أي: لن تبلغوا كل الاستقامة.

وقال أهل اللغة: «لن تحصوا: أي لا تحصوا ثوابه»^(٢).

فيكون المعنى: أن يطبق الأسماء الحسنى ويحسن المراعاة لها وأن يعمل بمقتضاها، وأن يعتبرها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال: «يا رحمن يا رحيم، تذكر صفة الرحمة، واعتقد أنها من صفات الله سبحانه، فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته، وإذا قال: «السميع البصير» علم أنه يراه ويسمعه وأنه لا يخفى عليه خافية وأنه يعلم السر كما يعلم العلن، ويعلم الباطن كما يعلم الظاهر، فيحافظ على قدسيتها ويرعى حرمتها، فيخافه في سره وعلمه ويراقبه في كافة أحواله، فإذا حدثته نفسه بمعصية ذكرها بقدرة الله وعظمته وأسمائه وصفاته لعلها تنزجر كما قيل:

إذا ما خلوتَ بريبةٍ في ظلمةٍ والنفسُ داعيةٌ إلى العصيان
فاستحي من نظرِ الإلهِ وقُلْ لها إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يراني

(١) أخرجه الطيالسي [١٠٨٩]، وأحمد (٢٧٦/٥، ٢٧٧)، وابن ماجه (٢٧٧) من حديث ثوبان أ، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» [٢٢٤].

(٢) «معاني المفردات» للأصفهاني.

الثالث - أن يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة:

فيكون معناه أن من عرفها، وعقل معانيها، وآمن بها دخل الجنة وهو مأخوذ من الحصة وهي العقل، والعرب تقول: «فلان ذو حصة أي ذو عقل ومعرفة بالأمور»^(١).

الرابع - قال القرطبي: «المرجو من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على أحد هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين.

ثانيًا - وذروا الذين يلحدون في أسمائه :

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٠].

قال ابن السكيت: «إن الملحد هو المائل عن الحق، المدخل فيه ما ليس منه، والإلحاد في اللغة، هو الزيغ والميل والذهاب عن سنن الصواب، ومنه يمسي الملحد ملحدًا؛ لأنه مال عن طريق الحق. والإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها.

قال ابن القيم رحمه الله:

أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافٌ مَدْحٌ كُلُّهَا	مَشْتَقَّةٌ قَدْ حَمَلَتْ لِمَعَانٍ
إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِيهَا إِنَّهُ	كُفْرٌ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانٍ
وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ فِيهَا الْمِيلُ	بِالْإِشْرَاقِ وَالتَّعْطِيلِ وَالكُفْرَانِ

(١) «شأن الدعاء» (ص ٢٨، ٢٩)، و«الفتح» (١١ / ٢٢٥).

والإلحاد في أسماء الله أنواع:

الأول- أن تسمى الأصناف بها، فسمى المشركون الأحجار والأشجار والأوثان التي كانوا يعبدونها آلهة، وسمّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

فهذا إلحاد؛ لأنهم عدلوا ومالوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني- تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصراني له «أباً»، وتسمية الفلاسفة له «موجباً بذاته»، أو «علة فاعلة بالطبع»، وقول الرامية أنه «جسم»، وقول بعضهم إنه «جوهر»، ونحو ذلك.

وهذه الأسماء باطلة؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسميته بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة يُنزه الله تعالى عنها.

الثالث- وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص:

كقول اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة: «إنه فقير»، وقولهم: «إنه استراح بعد أن خلق الخلق»، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [٨:٦٤].

الرابع- تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، وأنها مجرد أعلام فقط لا تتضمن صفات ولا معاني وهو مذهب الجهمية وأتباعهم، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم. ويقولون: «لا حياة ولا سمع ولا بصر ولا

كلام ولا إدارة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء المعطلة سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحدٌ في أسمائه جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه».

الخامس - تشبيه صفاته بصفات خلقه:

تعالى الله عما يقول المُشَبِّهون علواً كبيراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١]، وهذا الإلحاد يقابل إلحاد المعطلة، الذين سبق ذكرهم، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شَبَّهُوهَا بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وقد صدق من قال: «من شبه فكأنما يعبد صنماً، ومن عطل فكأنما يعبد عدماً».

السادس - الميل عن الصواب في نطق أسماء الله وتغيير حروفها من اللغة العربية التي أنزل بها القرآن وجاءت به السنة المتضمنة لأسماء الله الحسنى إلى لهجات أخرى مثل العامية، كأن يقول الرجل «اللاه» يقصد بها «الله»، ويقول: «الأُدُّوس» يقصد بها اسم الله تعالى «القدوس» أو يقول: «الجوي» يقصد بها اسم الله «القوي» جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، وكذلك من يقول: «الرِّزَّاء»، وهو يقصد بذلك اسم الله «الرِّزَّاق»، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذا خطأ عظيم، إذ أن معنى «الرِّزَّاء» أي: الذي يأتي بالمصائب والبلايا، بخلاف الرزاق الذي يأتي بالرزق والخير، وهذه من الأخطاء التي يجب التنبيه عليها والتحذير منها واجتنابها بالذات لمن عرفها ويستطيع تغييرها إلى الصواب في النطق.

السابع - إدخال أسماء لم يرد بها دليل صحيح في الأسماء الحسنی:

كان يطلق بعض الناس على الله اسم «الموجود» أو «المقصود» أو «المُهدي»، وكذلك اسم «العال»، ولكن الذي ورد «العلي، والأعلى، والمتعال»، وليس منها «الونیس»، و«المُتجلّي».

أو كما يدعي الجهلاء من عبّاد القبور أن من أسمائه كلمة «هو»، وهو معلوم أنه ضمير قد يضاف إلى غائب، وهو ليس من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثالثاً - فادعوه بها:

وهذا من أعظم ثمرات معرفة الأسماء الحسنی؛ إذ أنه لا يصح دعاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فلا يُثنى على الله إلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وكذلك لا يُسئل إلا بها»^(١).

* * *

(١) انظر: كتاب «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ١٦٤).

دعاء الله تبارك وتعالى

بأسمائه الحسنی وصفاته العلی ثلاثة أنواع

الأول- دعاء الإيمان والعبادة:

كما في قوله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعَزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن ألهمتكم التي تعبدونها من دون الله: ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له^(١).

وكما في قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «إنما أدعو ربي» أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ولا أشرك به أحدا^(٢).

وقال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة».

الثاني- دعاء الحمد والثناء:

وهو الدعاء الذي يُظهر العبد فيه محبته لربه بالثناء عليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وهذا هو أفضل الدعاء؛ لقول النبي ﷺ: «إن أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٩).

(٢) أخرجه الطيالسي [٨٣٨]، وأحمد (٤/ ٢٦٧)، وأبو داود [١٤٧٨]، والترمذي [٢٩٦٩] من حديث النعمان بن بشير، وصححه الترمذي، انظر: «صحيح سنن أبي داود» [١٣١٢].

(٣) أخرجه الترمذي [٣٣٨٣]، وابن ماجه [٣٨٠٠]، وابن حبان [٨٤٦]، والحاكم (١/ ٥٠٣) من حديث جابر، وصححه الحاكم، وانظر: «صحيح جامع الترمذي» [٢٦٩٤].

ولذلك فقد كان أفضل ما يقوله أهل الجنة وهم في أعظم نعمة وأكمل رحمة وقد امتلأت قلوبهم بحب ربهم هو «الحمد لله»، قَالَ تَعَالَى: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يُونُس: ١٠].

الثالث - دعاء المسألة والطلب:

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [تَاف: ٦٠]، وكقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [٢: ١٨٦] فيكون دعاء المؤمنين لربهم بما عرفوا من أسمائه الحسنی وصفاته العلی مما زادهم في كرمه طمعاً، وفيما عنده رجاءً، وعليه توكلًا فيطلبوا منه المغفرة لأنه الغفور، ويسألوه العفو لأنه العفو.

وإليك أمثلة من هذا النوع من الدعاء:

عن ابن عمر بقال: «كان يعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور»^(١).

عن عائشة لقات: «قلت: يا رسول الله! أرايت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟»، قال: «قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحُبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(٢).

ويسأل الهبة؛ لأنه الوهاب:

(١) أخرجه الطيالسي [٢٠٥٠]، وأحمد (٢١ / ٢)، وأبو داود [١٥١٦]، والترمذي [٣٤٣٤]، وابن ماجه [٤٨١٤]، وانظر: «السلسلة الصحيحة» [٥٥٦].

(٢) أخرجه أحمد (١٧ / ٦)، والترمذي [٣٥١٣]، وابن ماجه [٣٨٥٠]، وصححه الترمذي، وانظر: «صحيح جامع الترمذي» [٢٧٨٩].

فكان من دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ومن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُغْنِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [الزَّكَّر: ٨].

رابعاً- النهي عن التَّسْمِي بأسماء الله من أجل ذلك:

قال ابن كثير: «والحاصل أن من أسماء الله ما يُسَمَّى به غيره، ومنها ما لا يُسَمَّى به غيره، كاسم «الله»، و«الخالق» و«الرَّزَّاق» ونحو ذلك»^(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلًا تَسَمَّى مَلِكِ الْأَمْلاكِ؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

قال سفيان: مثل شاهان شاه، أي: ملك الملوك باللغة الفارسية، و«أخنع» يعني: أوضع وأحقر، وفي رواية: «أغيط رجل على الله يوم القيامة وأخبته» وأغيط من الغيط، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضاً عند الله مغضوباً عليه، والله أعلم.

قوله: «أخبته» وهو يدل على أنه خبيث عند الله فاجتمعت في حقه ثلاثة صفات ذميمة هي الخبث والذل وأنه بغيض إلى الله؛ لأنه نازع الله بعض أسمائه وصفاته وادعى لنفسه ما ليس له؛ لأن الله هو خالق الخلق، ومالك الملك كله

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢١).

(٢) أخرجه البخاري [٦٢٠٦]، ومسلم [٢١٤٣].

على الحقيقة كما ورد في الحديث: «اللهم ربَّ كل شيء، ومالك كل شيء، وإله كل شيء»^(١).

ولذلك يجب تغيير هذه الأسماء؛ لأنها لا تُطْلَق إلا على الله عزَّ وجلَّ.

عن هانئ بن يزيد والد شريح بن هانئ، أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَم، وَإِلَيْهِ الْحُكْم، فَلِمَ تَكْنِي أبا الحكم؟». فقال: «إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين». فقال ﷺ: «ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟». قلت: «شريح، ومسلم، وعبد الله». قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟»، قلت: «شريح»، قال: «فَأَنْتَ أَبُو شَرِيح»^(٢).

* * *

(١) أخرجه أحمد (١١٧/٢)، وأبو داود [٥٠٥٨]، من حديث ابن عمر، ب، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤٢٢٩].
(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٨١١]، وأبو داود [٤٩٥٥]، والنسائي [٥٤٠٢]، وابن حبان [٥٠٤]، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤١٤٥].

«الرحمن - الرحيم» جل جلاله وتقدسست أسماؤه

المعنى اللغوي:

الرحمة: هي الرقة والتعطف، والاسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و«رحمن» أشد مبالغة من «رحيم»؛ لأن بناء «فعلان» أشد مبالغة من «فعليل»، ونظيرهما نديم وندمان، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا^(١).

ورود الاسمين في القرآن الكريم:

ذكر «الرحمن» في القرآن سبعاً وخمسين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقوله سبحانه: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. وأما اسمه «الرحيم»، فقد ذكر أكثر من مائة مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءَزِيفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢: ١٧٣]، وهو كثير في القرآن.

انظر سورة «البقرة» (١٧٣، ١٨٣، ١٨٩).

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

الاسمان مشتقان من الرحمة، و«الرحمن» أشد مبالغة من «الرحيم»، ولكن ما الفرق بينهما؟ هناك ثلاثة أقوال في الفرق بين هذين الاسمين الكريمين:

(١) «جامع البيان» (٤٣/١)، و«تفسير ابن كثير» (٢٠/١).

الأول- أن اسم «الرحمن»: هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، و«الرحيم»: هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الْقَان: ٥٩]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فذكر الاستواء باسمه «الرحمن»؛ ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الْإِنشَاء: ٤٣]، فخصَّ المؤمنين باسمه «الرحيم»^(١). ولكن قد يُردُّ على هذا القول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَّة: ١٤٣].

القول الثاني- هو أن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم «أي: بمن يرحمهم الله»، فكان الأول للوصف والثاني للفعل.

فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الْإِنشَاء: ٤٣].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ١١٧]، ولم يجز قط «رحمن بهم» فعلم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة و«رحيم» هو الراحم برحمته^(٢).

القول الثالث- أن «الرحمن» من الأسماء التي نُهي عن التسمية بها لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الْإِسْرَاء: ١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشاركه فيه غيره، وهو الله^(٣).

(١) انظر: «جامع البيان» (٤٣/١).

(٢) «بدائع الفوائد» (٢٤/١).

(٣) «النهج الأسنى» (٧٩/١).

ولذلك قال ابن القيم: عن اسم «الرحمن»: ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حَسَنَ مجيئه مفرداً غير تابع كمجيء اسم الله كذلك ولم يجيء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً وهذا بخلاف العليم، والقدير، والسميع والبصير، ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة^(١).

وعن الحسن أنه قال: «(الرحمن) اسم لا يستطيع الناس أن يتحلوه، تسمى به تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولذا لا يجوز أن يُصَرَفَ للخلق»^(٢).

وأما (الرحيم) فإنه تعالى وصف به نبيه ﷺ، حيث قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فيقال: «رجل رحيم»، ولا يقال: «رحمن».

قال ابن كثير: «والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يُسمى به غيره، ومنها ما لا يُسمى به غيره، كاسم «الله»، و«الرحمن»، و«الخالق»، و«الرازق»، ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتداءً بالأخص فالأخص»^(٣). اهـ.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

أولاً- التعرف على الله برحمته والإيمان بها:

وسنحاول فيما يلي التعرف إلى جانبٍ من رحمة الله عَزَّجَلَّ، عسى أن ترقَّ القلوبُ إلى خالقها وتشتاق النفوس إلى بارئها.

(١) «بدائع الفوائد» (٢٤ / ١).

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢٢ / ١).

(٣) المرجع السابق (٢١ / ١).

١- ربكم ذو رحمة واسعة:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ [غافر: ٧].

٢- رحمة الله تغلب غضبه:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال ابن كثير في هذه الآية: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

وفي رواية: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»^(٢).

٣- إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَحَّمُونَ، وَبِهَا تَعْطَفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا».

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ».

وفي رواية: «كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٍ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٣٠).

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

في شرح الأسماء الحسنى



وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة^(١).

هذه رحمة الله المخلوقة، فكيف برحمة الله التي هي من صفاته وليست مخلوقة ولا تنفذ أبداً وليس لها حدّ، ولا نهاية. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الْأَنْفَالُ: ١٥٦]، ولذلك فقد قال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَظَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(٢).

٤- إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِيَدِهِ الرَّحْمَةُ وَحْدَهُ:

ومن رحمته: أَنْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْجُبَ رَحْمَتَهُ أَوْ يَمْنَعَهَا عَنْ أَحِبَّابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فَاطِرٌ: ٢]

فرحمة الله لا تعزُّ على طالب في أي زمان أو مكان، وجدها إبراهيم وسط ألسنة النار، ووجدها يوسف في غيابات الجُبِّ وغياب السجن، ووجدها إسماعيل وأُمّه هاجر في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، ووجدها يونس في بطن الحوت، ووجدها موسى في اليمِّ وهو طفل وفي قصر فرعون وهو متربص به، ووجدها أصحاب الكهف حين افتقدوها في القصور بين أقوامهم، ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار وهما مطاردان^(٣).

٥- اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْأُمِّ بَوْلِهَا:

وذلك لأن رحمة والديك بك مهما بلغت فهي جزءٌ من جزءٍ من المائة جزءٍ

(١) رواه البخاري (٩٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢/١٨ - ١٩، ٢٧٥٣/٢١).

(٢) تقدم تحريجه.

(٣) من كتاب «لهذا أحب ربي» للدكتور/ خالد أبو شادي.

التي خلقها الله فكيف برحمته هو الواسعة جَلَّالُهُ وتقدست أسماؤه، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قُدِّم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبغني».

وفي رواية البخاري: «تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته». فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً وَلَدَهَا في النار؟». قلنا: «لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه». فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بعبادِهِ من هذه بولَدِهَا»^(١).

وقال حماد بن سلمة: «ما يسرني أن أمري يوم القيامة صار إلى والديّ؛ إن ربي أرحم بي من والديّ».

ثانياً- فانظر إلى آثار رحمة الله:

إن آثار وعلامات رحمة الله أظهر من أن تُبين وأكثر من أن تُحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ففي كل نعمة رحمة يستدل عليها كل ذي عقل صحيح، ويعرفها كل ذي قلب سليم، ولا ينكرها إلا كل ظلومٍ كفارٍ، وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى دليل، كما قال الشاعر:

وكيف يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلٍ

(١) أخرجه البخاري [٥٩٩٩]، ومسلم [٢٧٥٤].

وقد اخترنا بعض هذه الآثار على سبيل المثال، فمن ذلك:

١ - خلق الإنسان:

فمن رحمة الله تعالى أنه خلق الإنسان من عدم وأنشأه وجعل له السمع والبصر والفؤاد والعقل، كل هذا من تراب فأبى فضل وأبى نعمة بعد اصطفاء الله لبعض التراب والطين ليَجعله إنساناً يعقل ويشعر ويؤمن ثم يدخله الجنة، فسبحان الله وبحمده، قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الجن: ١-٤].

٢ - النبوة والرسالة رحمة:

فقد سُميت النبوة والوحي رحمة كما في قوله تعالى مخبراً عن نوح عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿قَالَ يَقْوَرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْتَهٍ مِنْ رَبِّي وَءَانْتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ۝﴾ [هود: ٢٨]. قال ابن كثير في هذه الآية: «أي: على يقين وأمرٍ جليٍّ، ونبوة صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله به»^(١).

٣ - إرسال النبي ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢). وفي الحديث الآخر: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاة»^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٢٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه البزار (٢٣٦٩ - كشف)، والطبراني في «الأوسط» [٢٩٨١]، والحاكم (١/ ٣٥)، من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

٤- نزول القرآن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٥- أن جعلك مسلماً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

قال ابن كثير: «أي بهذا الذي جاءهم من الهدى ودين الحق فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به»^(١). وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي أُمر فيه بالفرح.

٦- نداؤه في الثلث الأخير من الليل ليرحم عباده:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٢).

وفي حديث آخر: «مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزُقُنِي أَرْزُقُهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضَّرَّ أَكْشِفُهُ»، حتى ينفجر الصبح»^(٣).

وفي حديث آخر: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي...»^(٤).

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/٤٠٦).

(٢) صحيح. أخرجه البخاري (ج ١١/٦٣٢١).

(٣) حسن. أخرجه أحمد (ج ٢ ص ٥٢١).

(٤) صحيح. أخرجه مسلم (ج ١ - صلاة المسافرين - ١٦٩)، والترمذي (ج ٢/٤٤٦)، وأحمد (ج ١/٧٧٧٩) وغيرهم.

بالله عليك لو أن أمير بلدك، أو رئيس دولتك بعث إليك أنه سوف يأتي إليك ليحقق لك ما تتمنى منه، ألا يجعلك هذا له مُحِبًّا وإلى لقائه متشوقًا؟ هل كنت تنام وتتركه؟ أو تنسى مواعده؟ وهل ستكون موقفًا على تنفيذ ما تتمنى أم لا؟ هذا من بشر ضعيف لا يملك لك ولا لنفسه نفعًا ولا ضررًا فكيف برب العالمين جَلَّ جَلَالُهُ؟!

٧- تقرُّبه إلى خلقه:

سبحان الله! يتقرب من خلقه وهو غني عنهم، ويتودَّد إليهم وهم لا يملكون له نفعًا ولا ضررًا، ولكن نعمة منه وفضلًا ورحمة وإحسانًا.

وانظر -أخي الكريم- وتأمل هذا الحديث الذي تنفطر له القلوب وتدمع له العيون، فعن أبي هريرة قال: «ربما ذكر النبي ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: إذا تقَرَّبَ العبدُ مِنِّي شِبْرًا تقَرَّبْتُ منه ذراعًا، وإذا تقَرَّبَ مِنِّي ذراعًا تقَرَّبْتُ منه باعًا أو بوعًا»^(١).

يا الله، يا الله، مَنْ يتقرب إلى مَنْ؟ وَمَنْ يُهرول إلى مَنْ؟ يتقرب الخالق إلى المخلوق ويهرول ملك الملوك إلى عبد فقير صعلوك، سبحان الله ما أرحمه وما أكرمه!!

٨- ذكره لعباده الصالحين:

وعن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ: «قال الله: يا ابن آدم، إن ذكَّرتني في نفسك ذكَّرتك في نفسي، وإن ذكَّرتني في ملأٍ ذكَّرتك في ملأٍ من الملائكة، أو في ملأٍ خير منهم، وإن دنوت مِنِّي شِبْرًا، دنوتُ منك ذراعًا، وإن دنوتُ مِنِّي ذراعًا دنوتُ منك باعًا، وإن أتيتني تمشي،

(١) أخرجه البخاري (١٣/٧٥٣٧)، باعًا: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالًا.

أَتَيْتُكَ أَهْرُولَ»، قال قتادة: «فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْرَعَ بِالْمَغْفِرَةِ»^(١).

أخي الكريم، هل تصورت كيف يذكرك ربك؟ هل تخيَّلت أن يذكرك الله باسمك؟ نعم يذكرك أنت باسمك بين ملائكته في الملاء الأعلى، من الذي يذكرك؟ الله. الله الذي يذكرك.

فيا له من عظيم شرفٍ وكبير قدرٍ لا يعرفه إلا من عرف ربَّه وأحبه، فانظر إلى واحد من هؤلاء وهو أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين عَلِمَ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد ذكره باسمه، وكيف هطلت عيناه دمع الفرح والحنين إلى أرحم الراحمين.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَنْدَةَ كَعْبِ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البَيْتَةُ: ١]». قال: «وَسَمَّانِي لَكَ؟»، قال: «نعم»، فبكى^(٢).

قال يحيى بن معاذ الرازي: يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولائك لمتَّ شوقاً إلى مولائك.

فليس العجب من قوله: «فاذكروني»، ولكن العجب كل العجب من قوله: «أذكركم»، فليس العجب أن يذكر الضعيفُ القويَّ، أو يذكر الفقيرُ الغنيَّ، أو يذكر الذليلُ العزيزَ، إنما العجب أن يذكر القويُّ الضعيفَ، والغنيُّ الفقيرَ، والعزيزُ الذليلَ.

(١) «شرح السنة» للبغوي.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به.

٩- صبر الله جَلَّ جَلَالُهُ على الأذى من خلقه:

فسبحان الله ما أحلمه، وما أكرمه وما أرحمه! يخلق ويُعبدُ غيره، ويرزق ويُشكرُ سواه، خيره إلى العباد نازل وشرهم إليه صاعد من الذين يدعون له الولد يصبر على أذاهم ويبعث إليهم بأرزاقهم، عسى أن يصادف هذا الكرم عقلاً زاكياً أو قلباً واعياً أو نفساً طيبة أو فطرة سليمة تفيق من غفوتها وترجع عن ضلالتها تعرف ربّها فتعبده وحده وتحبه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «ما أحدٌ أصبر على أذى سَمِعه من الله؛ يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم»^(١).

هذه رحمته سبحانه بمن أشرك به، فكيف رحمته بمن وحده وعبده وأطاعه وأحبه وأحب رسوله وجاهد في سبيله.

١٠- رحمته بالتائبين^(٢):

فإن التائبين قد انكسرت قلوبهم لعظمتهم، وذلت جباههم لعزته، وأتوه راجين رحمته ويخافون عذابه، فما عسى أن تكون رحمة الله بهم؟
فإليك شيء منها:

أولاً- يغفر الذنوب مهما عظمت:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغْتَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ

(١) رواه البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

(٢) انظر: شرح الاسمين الكريمين «الغفار، والغفور»، كما سيأتي إن شاء الله.

لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

ثانياً - ويبسط يده للتائبين ليلاً ونهاراً :

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

ثالثاً - ويفرح بتوبة عبده :

والله غني عن توبة خلقه ومع هذا فقد فرح بها فرحاً هو أشد من فرحة رجل وجد حياته بعدما عدَّ نفسه من الأموات، وهي فرحة إحسانٍ وبرٍّ ولطف، لا فرحة محتاجٍ إلى توبة عبده منتفع بها.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ»^(٣).

وفي رواية: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَأْرُضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ بَخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(٤).

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. عنان السماء، قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عنَّ لك منها أي ظهر، وقراب الأرض: هو ما يقارب ملئها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم؛ الخطام بكسر الخاء «الحبل» الذي تُقاد به الدابة.

ففي هذا الحديث دليل على فرح الله عَزَّجَلَّ بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محبة عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا، فالله غني عنا، ولكن لمحبتة سبحانه للكرم فإنه يحب أن يغفر، وأن يغفر أحبُّ إليه من أن ينتقم ويؤاخذ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان^(١).

رابعاً - ويبدل السيئات حسنات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْفَرَّاقُ: ٧٠].

وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً، وأبدلهم بالفجور إحصائاً، وأبدلهم بالكفر إسلاماً^(٢).

١١ - صلاته جَلَّالَهُ على المؤمنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٣].

قال ابن كثير: «والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة»، حكاها البخاري عن أبي العالية.

وقال غيره: «الصلاة من الله عَزَّجَلَّ الرحمة، وقد يقال: «لا منافاة بين القولين، والله أعلم»^(٣).

(١) شرح كتاب «رياض الصالحين» (١/ ٨٩، ٩٠)، باب التوبة، شرح العلامة محمد بن صالح بن عثيمين.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٦٥).

١٢ - مضاعفة الحسنات والأجور:

فمن رحمته سبحانه مضاعفة الحسنات إلى أضعاف كثيرة، فعن أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قال: « قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يضاعفُ الحسنةُ بعشرِ أمثالها، إلى سبعمائة ضِعْفٍ»^(١).

ومن الأعمال ما ينميها الله حتى يجعلها كالجبل، فعن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قال: « قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرْبِّيْهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يَرْبِّيْ أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٢).

١٣ - رحمة الله تبارك وتعالى بقلوب عباده:

فقد قال النبي ﷺ: «القلوب بين أصبوعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»^(٣).

١ - فإذا شاء الله لعبده الهدى شرح قلبه للإسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢ - وإذا أراد بعبد رشاداً حبب إليه وزينه في قلبه فعاش بالإيمان سعيداً وعن الكفر

والعصيان بعيداً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّ اللَّهُ مِنْ نِعْمَةٍ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

٣ - ويسعد المؤمنين بحبهم له ولرسوله وحب المؤمنين في الله فيشعر بحلاوة

(١) صحيح: أخرجه مسلم (ج٢ - ص١٥٩)، وبنحوه النسائي (ج٤ - ص١٦٢)، وأحمد (ج١٩/١٧٨)، وابن ماجه (ج١/١٦٣٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم، وأحمد، والفلو: هو المهر، ويقال بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو.

(٣) أخرجه أحمد (٣/١١٢)، والترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه [٣٨٣٤]، من حديث أنس رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ، وانظر: «صحيح ابن ماجه» [٣٠٩٢].

الإيمان ولذة القرب من الرحمن جَلَّالَهُ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذَفَ فِي النَّارِ»^(١).

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [بَرَاءة: ٩٦]، وذلك بعكس الطغاة والعصاة أمثال المشركين من أهل الكتاب، فقد قَالَ النَّجَّارِيُّ: فِي النَّصَارَى: ﴿فَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الْمَائِدَة: ١٤].

١٤ - الجنة من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسُقَظُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي»^(٢).

١٥ - دخول الجنة برحمة الله عَزَّوَجَلَّ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قالوا: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»، قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ»^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥/٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٣، ٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٦، ٢٨١٨)، من حديث أبي هريرة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٦ - شفاعة أرحم الراحمين في أهل النار:

فما من أحدٍ يملك لغيره شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وسيجعل الله درجاتٍ للشفاعة والشافعين، فهناك شفاعة للأنبياء والمرسلين، وشفاعة للصديقين، وشفاعة الشهداء فيُشَفَّعُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ثم بعد ذلك يشفع هو سبحانه وبحمده شفاعة فيخرج أضعاف ما أخرج به كل هؤلاء حتى يعجب أهل الجنة من ذلك، وإليك صورًا من شفاعة أرحم الراحمين.

شفاعته عَزَّوَجَلَّ في الموحدين:

عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الطويل: «ثم يقال: ادعوا الصّديقين فيشفعون، ثم يقال: «ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبيُّ ومعه العصاة، والنبي ومعه الخمسةُ والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، وقال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا أرحم الراحمين، أَدْخِلُوا جَنَّتِي من كان لا يُشْرِكُ بي شيئًا». قال: «فيدخلون الجنة...»^(١).

وفي حديث آخر: «فيقول: وعزّي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال: لا إله إلا الله»^(٢).

وفي رواية: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول للرسول: «اذهبوا، أو انطلقوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه».

(١) صحيح: أخرجه أحمد (ج١/ ١٥)، وابن حبان (٥٨٩- موارد)، وأبو عوانة (ج١ ص ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٧٥١٠)، ومسلم (ج ١- إيمان ٣٢٦).

ثم يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «أنا الآن أُخْرِجُ بعلي ورحمتي»، فيُخرج أضعافَ ما أخرجوا وأضعافه فيكتب في رقابهم عتقاء الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يدخلون الجنة^(١).

١٧ - رحمته بالنمل، سبحانه الله وبحمده:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَرَصَتْ نملةُ نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: «أَنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أحرقت أمةً من الأمم تُسَبِّحُ الله»^(٢).

وفي رواية: «فأوحى الله إليه: فهلاً نملة واحدة»^(٣).

فسبحان من لم تمنعه عظمته وكبرياؤه من رحمة الضعيف الصغير من خلقه حتى يعاتب نبيًّا له من أجل نملٍ، لا حول له ولا قوة إلا بربه سبحانه.

رابعاً - ليس كمثله شيء في رحمته:

وذلك من عدة أوجه:

أولاً - رحمة الخلق مخلوقة فتوجد بوجودهم وتنفى بفنائهم:

أما رحمة الله عَزَّوَجَلَّ فإنها صفة ذاتية له لا تنفى ولا تبديد، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

فَانِ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [الحج: ٢٦-٢٧].

ثانياً - رحمة الخلق قليلة محدودة:

أما رحمة الله فقد وسعت كل شيء، فكلُّ يرحم بقدر قدرته، فالناس يرحمون

(١) صحيح: أخرجه أحمد (ج٣/ ص ٣٢٥).

(٢) رواه البخاري (١٥٤/٦) (رقم الحديث: ٣٠١٩)، ومسلم (ج٤ - السلام - ١٤٨)، وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (ج٦/ ٣٣١٩)، ومسلم (ج٤ - السلام - ١٥٠).

في حالٍ دون آخر، فيرحمون القريب دون الغريب، ويرحمون الحبيب دون العدو، أما رحمة الله عز وجل فقد عمّت الخلق جميعاً، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

ثالثاً- رحمة الناس تختلط باللهفة والضعف لمن يرحمون:

فالأم إذا مرض ولدها تحزن، وإذا غاب عنها تقلق وإذا مات هلت؛ وذلك من حبها له ورحمتها عليه، وقد بكى النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم، وحزن عليه؛ وذلك من رحمته به ﷺ.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(١).

ولكن الله جل جلاله لا يحزن ولا يتألم ولا يبكي ولا يقلق، ولا يتلهف، وهكذا ما لهذه الصفات من نقص وضعف لا يخفى على كل عاقل أن هذا لا يليق بالله سبحانه وبحمده، إنما يرحم من قوة، ويعفو من قدرة، ويغفر في عزّة ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

رابعاً- لا تقنطوا من رحمة الله:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) رواه البخاري، وروى بعضه مسلم.

قال النبي ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته أحد»^(١).

ولذا فإن القنوط من رحمة الله من علامات الكفر والضلال، وما يقنط من رحمة الله عزّ وجلّ إلا رجلٌ من اثنين: ضال، أو كافر، قال العجّال: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجّرات: ٥٦].

وقد نصح يعقوب عليه السلام بنيه بألا يياسوا من روح الله أبداً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُكُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].
عن جندب أن رسول الله ﷺ حدّث أن رجلاً قال: «والله لا يغفر الله لفلان»، وإن الله تعالى قال: «مَنْ ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه وقد قال لضمضم بن جوس اليمامي: يا يمامي، لا تقولنّ لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً». فقال له: يا أبا هريرة، إن هذه الكلمة، يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه، إذا غضب، قال أبو هريرة: فلا تقلها، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «كان في بني إسرائيل رجلان؛ كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفاً على نفسه، فكانا متآخين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب»، فيقول: «يا هذا أقصر، فيقول: خلّني وربّي، أبعثت عليّ رقيباً؟ قال: إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: «ويحك أقصر»، قال: «خلّني وربّي أبعثت عليّ رقيباً؟ قال: «فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً»، قال أحدهما: «قال: فبعث الله

(١) رواه مسلم (٢٧٥٥/٤) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٧/٤)، البر والصلة.

إليهما مَلَكًا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده»، فقال للمذنب: «اذهب فادخل الجنة برحمتي»، وقال للآخر: «أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار»، قال: «فوالذي نَفْسُ أَبِي القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»^(١).

خامسًا - من أسباب الحرمان من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

فبالرغم من سعة رحمة الله وعظمتها، إلا أن هناك من الناس من حرموا أنفسهم منها بذنوبهم، وسنذكر فيما يلي جانبًا منهم:

أولًا - من لا يرحم لا يُرحم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحسنَ بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا»، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبَلْتُ منهم أحدًا»، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرْحَمْ، لا يُرَحَّم»^(٢)، ولم يرحم الله من لم يرحم عباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه؟ وقد قال النبي ﷺ: «لا يرحمُ الله مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ»^(٣).

ثانيًا - تعذيب الناس:

فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدَرُ عليك منك على هذا الغلام»، فقلت: «لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا».

(١) حسن: أخرجه أحمد (ج ١٦ / ٨٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨ / ١٣) الحديث رقم [٧٣٧٦].

وفي رواية: فقلت: «يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله»، فقال: «أما لو لم تفعل للفتحك النار، أو لمستك النار»^(١).

وعن هشام بن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»^(٢).

ثالثاً- تعذيب الحيوانات:

فقد حرّم الله تعذيب الحيوان والحشرات، ويعاقب من فعل ذلك؛ فعن ابن عمر بأن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقيتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَائِشِ الْأَرْضِ»^(٣).

رابعاً- الاختلاف والفرقة:

وكفى بنزع الرحمة عن المختلفين ثلاثة أمور كل منها أشد من الأخرى.

الأولى: حرمان المغفرة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٤).

الثانية: ضياع الهدى:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه، وخشاش الأرض: هوامها، وحشراتا.

(٤) رواه مسلم، والشحناء: هي العداوة، وأنظروا أي: أخرّوا.

فيهم عمرُ ابن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هَلَمْ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوا بِهِ»، فقال عمر: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوا بِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَبْدِهِ رَسَلِمَ: «قَوْمُوا عَنِّي».

وكان ابن عباس يقول: «إِنَّ الرِّزْيَةَ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ»^(١).

الثالثة: إخفاء ليلة القدر عن المسلمين:

عن عبادة بن الصامت قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَا حِي رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَا حِي فَلَانٌ وَفَلَانٌ، فَرَفَعَتْ...»^(٢).

سادساً - من أسباب رحمة الله خلقه :

١ - طاعة الله ورسوله: فكلما كان العبد أكثر طاعة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسوله ﷺ كلما كان أكثر استحقاقاً لرحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٤: ١٣٢]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٢ - الإحسان: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الإنعام: ٥٦]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا

(١) رواه البخاري [٥٦٦٩]، كتاب المرض، وكتاب العلم.

(٢) رواه البخاري.

القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحَةَ...»^(١).

٣- تقوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فإن كانت رحمة الله قد وسعت كل شيء وشملت البر والفاجر، والمسلم والكافر، فما من أحد إلا وهو يتقلب في رحمة الله آناء الليل وأطراف النهار وهذا في الدنيا وتلك هي الرحمة العامة، أما الرحمة الخاصة بدخول الجنة في الآخرة فهي للمؤمنين والمتقين وحدهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الْإِنشَاء: ١٥٦].

٤- صلة الرحم: عن عبد الرحمن بن عوف قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرَّحِمَ وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بئته»^(٢)، وبئته: أي قطعته.

فانظر - أخي الكريم - إلى هذه الشكوى المُرَّة من الرَّحِم المقطوعة إلى الله، وانظر أتعجب أن تكون من الواصلين للرحم أم من القاطعين؟!

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرَّحِم مشجَّنة من الرحمن، تقول: يا رب، إني قُطِعْتُ، يا رب، إني ظُلِمْتُ، يا رب، إني أسيءُ إلي، يا رب، يا رب، فيُجيبها ربُّها عَزَّ وَجَلَّ، فيقول: «أما تَرْضَيْنَ أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (ج ٤/ ١٩٠٧)، وأحمد (ج ٣/ ١٦٨٦)، وأبو داود (ج ٢/ ١٦٩٤)، والحميدي (ج ١/ ٦٥).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (ج ٩/ ٩٨٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص ٣٦/ ٣٥)، والحاكم (ج ٤/ ص ١٦٢)، وابن حبان.

وفي رواية: «ألا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟». قالت: «بلى يا رب»، قال: «فذاك». قال أبو هريرة: «اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٢]»^(١).

٥- التماس مرضاة الله: عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجَبْرِيلَ: إِنْ فَلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يَرْضِيَنِي، أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ»، فيقول جبريل: «رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تَهْبِطُ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ»^(٢).

٦- الصبر على الابتلاء: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهَدُونَ﴾.

[البَقَرَةُ: ١٥٥-١٥٧]

قال ابن كثير: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البَقَرَةُ: ١٥٧]، أي: ثناء عليهم، وقال سعيد بن جبير: «أي أَمَنَةٌ مِنَ الْعَذَابِ»^(٣).

ومن رحمة الله بمن استرجع عند المصيبة أنه يخلف له خيراً منها، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مَصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ فِي مَصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قالت: «فلما تُوفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي

(١) صحيح: أخرجه البخاري (ج٨/ ٤٨٣٠)، ومسلم (ج٤/ - البر والصلة- ١٦) وغيرها.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢٧٩/ ٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٨).

رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه، رسول الله ﷺ^(١)، فيا لسعادة أم سلمة، فقد تزوجها النبي ﷺ بصبرها.

٧- رحمة الناس: فعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ»^(٢).

عن أسامة بن زيد أن صبيّاً قد رُفِعَ في حجر النبي ﷺ ونفسه تقعقع ففاضت عينا النبي ﷺ، فقال له سعد: «ما هذا يا رسول الله؟». قال: «هذه رحمةٌ وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء». وفي رواية: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٣).

- «من رَحِمَ رُحِمَ ومن تجاوز تجاوز الله عنه»، والجزاء من جنس العمل.

فعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فلم يوجد له من الخير شيءٌ إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً، فكان يأمر غلمانَه أن يتجاوزوا عن المعسر»، قال: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»^(٤).

قد يعجب المرء من رحمة الله بعبده تجاوز عن فقير فيكافؤه بالنجاة من النار والخلود في الجنة، ولكنه يكون أكثر عجباً حين يرحم الله امرأة من البغايا ويغفر

(١) أخرجه مسلم [٩١٨].

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٨٠]، وانظر «الصحيحة» [٤٨٠].

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٤، ٥٦٥٥، ٦٦٠٢)، (٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨)، ومسلم [٩٢٣]، وتقعقع: أي في سكرات الموت.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (ج٣- المساقاة- ٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٩٣]، والترمذي (ج٣- ١٣٠٧)، وأحمد (ج٤- ١١٨).

لها من أجل شربة ماء سقتها لكلب، فما أرحم الله، وما أكرمه، وما أعظمه!!
 فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ
 الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَعَفَّرَ لَهَا بِهِ»^(١).

٨- من جوائز الرحمن لمن رحم إخوانه: فمن رحم الناس رحمه الله، ومن
 قضى حاجة إخوانه، قضى الله حاجته، ومن أحسن إلى الناس، أحسن الله إليه،
 والجزاء من جنس العمل.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ
 عَزَّجَلَّ سُرُورٌ يَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبَةً أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جَوْعًا،
 وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ
 سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
 وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سَوْءَ الْخَلْقِ
 يَفْسُدُ الْعَمَلُ كَمَا يَفْسُدُ الْخَلُّ الْعَسَلُ»^(٢).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا
 يَسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ
 كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

٩- الجماعة رحمة: قَالَ الْعَلَمَاءُ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿

[هُود: ١١٨-١١٩]

(١) متفق عليه، يطيف: يدور حول «رَكِيَّة» وهي البئر.

(٢) صحيح، «السلسلة الصحيحة» رقم [٩٠٦].

(٣) متفق عليه.

وقد جاء في بعض الحديث: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»، وقال النبي ﷺ: «يد الله مع الجماعة».

ويقصد بالجماعة: أي جماعة المسلمين والرفقة الصالحة فإن لزومهم كله خير، فإنهم يذكرونك إن غفلت، ويعلمونك إن جهلت، ويواسونك إن أُصبت. فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء، وعُدَّةٌ في البلاء، ولا تصاحب إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله عزَّ وجلَّ، ولا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره».

سابعاً- دعاء الله باسميه «الرحمن، الرحيم»:

١- دعاء الثناء والحمد: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ النَّبِيُّ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدي عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثني عليَّ عبدي...»^(١).

٢- ومن ذلك أيضاً دعاء المسألة والطلب: قال ابن كثير: «قال ابن المبارك: «الرحمن إذا سُئِلَ أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من لم يسأل الله يَغْضَبْ عليه»^(٢)، وقال بعض الشعراء:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجبُ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (ج١- الصلاة- ٣٨)، وأحمد (ج١٣/ ٧٢٨٩).

(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي صالح الخوزي.

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

فمن عرف رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسَعَتْهَا ازداد فيها طمعًا، واشتد فيما عند الله طلبًا وعزم في سؤال حاجته.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعِزَّزَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «وَلِيَعِزَّزَ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»^(١).

وعن أنس بن مالك قال: «قال النبي ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟! أن تقولِي إذا أصبحت وإذا أمسيت: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(٢).

ومن دعاء المؤمنين ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [الْعَنْكَرَان: ٨]، وكان من دعاء أصحاب الكهف لما هجروا قومهم خوفًا منهم وهربًا من طغيانهم وظلمهم فلم يجدوا ملاذًا إلا رحمة الله تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٤٧).

(٢) إسناده حسن، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» [٥٧٠]، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٤٨]، والبخاري في «الزوائد»، والحاكم (١/ ٥٤٥)، والبيهقي في «الأسماء» (ص ١١٢) من طرق عن زيد بن الحباب حدثني عثمان بن موهب الهاشمي قال: «سمعت أنس بن مالك يقول فذكره»، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

«الملك، المالك، المليك»

جل جلاله وتقدسست أسماؤه

(الملك): هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: «ملك الناس»، ولا يقال: «مَلِكُ الأشياء» والملكُ الحقُّ الدائم لله.. والملكوت مختص بملكِ الله تعالى وهو مصدر مَلَكَ أدخلت فيه التاء نحو: رحموت، ورهبوت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، والمملكة: سلطان المَلِكِ وبقاعه التي يتملكها.

وملاك الأمر: ما يُعْتَمَد عليه منه، وقيل: «القلب ملاك الجسد»، والملاكُ: التزويج، وأملكوه: زوجه، شبه الزوج بملكٍ عليها في سياسته، وبهذا النظر قيل: «كاد العروس أن يكون ملكًا»^(١).

قال ابن سيده: المَلِكُ، والمُلْكُ، والمَلِكُ: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به، وتملكه: أي ملكه قهراً، وأملكه الشيء وملكه إياه تملكاً جعله ملكاً له.

الدليل على ورود هذه الأسماء الكريمة:

أما اسم الله الملك، فقد جاء في القرآن عدة مرات؛ منها قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣]

(١) «المفردات» للراغب (ص ٤٧٢).

وأما اسم المليك فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقد جاء اسم «المالك» في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

المعنى في حق الله عَزَّوَجَلَّ:

قال الزجاج: «وقال أصحاب المعاني: الملك، النافذ الأمر في ملكه إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه، فالملك أعظم من المالك، والله تعالى مالك المالكين كلهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى»^(٢).

قال الخطابي: «الملك: هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات، فأما المالك: فهو خاص الملك»^(٣).

وقال الليث: «الملك هو الله تعالى وتقدس، ملك الملوكة، له الملك وهو مالك يوم الدين»^(٤).

وقال ابن جرير: الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا تحت سلطانه»^(٥).

وقال ابن كثير: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣]، أي: المالك

(١) رواه مسلم.

(٢) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٣٠).

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٤٠).

(٤) «اللسان» (٦/٤٢٦٦).

(٥) «جامع البيان» (٣٦/٢٨) بتصرف.

لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة^(١).

وقال ابن القيم: «الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرف في خلقه بقوله وأمره، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك؛ إذ المالك هو المتصرف بفعله، والملك هو المتصرف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره»^(٢).

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

١ - لا ملك إلا الله :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ملك إلا الله»^(٣).

وَقَالَ الْجَلِّي: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْعَنْزَلَن: ٢٦]، ولا يملك أحد شيئاً إلا من بعد إذنه.

وَقَالَ الْجَلِّي: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٤٧].

٢ - فعال لما يريد :

١ - قال ابن القيم: «الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرف في خلقه بقوله وأمره»^(٤). وَقَالَ الْجَلِّي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يَسِينَ: ٨٢].

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٤٤٣).

(٢) «بدائع الفوائد» (٤/١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢١٤٣).

(٤) «بدائع الفوائد» (٤/١٦٥).

فالمملك الحق هو الله جَلَّالُهُ، فكل شيء تحت قهره ويحدث بقدره ويتحرك بأمره كما جاء في الحديث القدسي أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يقول الله تعالى: «أفعل ما أريد، إنما أمري بشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون» (١).

فقد ملك الله كل شيء بأمره ونهيه وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- في خلق السماوات والأرض: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]، قال للسماء: «أخرجي شمسك وقمرك ونجومك»، وقال للأرض: «شققي أنهارك وأخرجي ثمارك»، فقالتا: «أتينا طائعين» (٢).

٢- في خلق آدم وذريته: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الْأَنْعَام: ٥٩].

٣- في نجاة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من النار: فعندما كَسَّرَ الأصنام التي تُعبد من دون الله أراد قومه أن يحرقوه، فلما ألقوه في النار ما بعث الله ريحاً لتطفئها ولا ماءً ليخمدوها ولا ملكاً ليخرج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنما تكلم بكلمة إلى النار فخضعت لأمر الملك الجبار، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا نَارُكُوفِي بِرَدَا وَسَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٦٩].

٤- في عقوبة أصحاب السبت: لما اعتدى أصحاب السبت واحتالوا على أمر الله فاصطادوا يوم السبت عاقبهم الله ولكن بم عاقبهم؟ عاقبهم بكلمة منه، كلمة غيرت حياتهم وصورتهم وأخرتهم إلى أبشع حال، فأما صورتهم فتحولت

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٥/٤)، وأحمد (١٥٤، ٧٧/٥)، وابن ماجه نحوهما (٤٢٥٧/٢).

(٢) أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٢٧) وقال: «تفسير الصحابي عند الشيخين مسند».

إلى صورة القرد ونهايتهم في جهنم وبئس الورد المورود، وذلك جزاء ناقض العهود، إنهم اليهود.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ٦٥﴾
فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦].

وقَالَ تَجَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الاحزاب: ١٦٦].

سبحان الملك، بكلمة منه أصبحوا قردة، فإن الأجساد ملك لله فهو خالقها ومدبرها ورازقها وملكها وهي تدين له بالولاء والطاعة كبقية مخلوقات الله، فعندما قال لهم: كونوا قردة استقبلت أجسامهم الأمر فأصبحت أجسام قردة واستقبلت أيديهم وأرجلهم الأمر فأصبحت أيدي وأرجل قردة، بل وقلوبهم أصبحت قلوب قردة، كما قال مجاهد.

سبحان الله! أجسامهم بين أيديهم، وقلوبهم في أجوافهم ولا يملكون منها مثقال ذرة ويملكها الله ﷻ من فوق سبع سموات بكلمة واحدة، ﴿فَسَبَّحْنَهُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٨٣].

ذَلَّ الْمُلُوكَ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكِ الْمُلُوكِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ:

فإن ملوك الأرض قد اختصوا في الدنيا بالعزة والمنعة والسلطان والقوة وهذه نعمة من الله عليهم فمن شكرها فقد فاز ومن كفر تلك النعمة ولم يؤد شكر هذه الخصوصية اختصه الله بعذابٍ من عنده، والجزاء من جنس العمل، فمن ذلك.

١ - غَلَقُ أَبْوَابِ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِمْ: فإن الله عَزَّجَلَّ قد جمع لهم أسباب

الحكم والعطاء وجعل بيدهم خزائن الأرض فمن حجبها عن الضعفاء والمساكين حجب الله عنه ما ينفعه وعطل عليه حاجته.

فقد قال النبي ﷺ: «ما من إمام أو وائل يغلقُ بابه دون ذوي الحاجة والخلة، والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته، وحاجته ومسكنته»^(١).

٢- احتجاب الله عنهم يوم القيامة: فمن ملك من أمر الناس شيئاً تطلّعوا إليه ورجوا ما عنده، فإن حجب نفسه عنهم وحرّمهم مما يرجون احتجب الله عنه يوم القيامة وحرّمه مما يرجو من النجاة.

فقد قال النبي ﷺ: «من ولي من أمور المسلمين شيئاً فاحتجب دون خلته، وحاجتهم، وفقيرهم، وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته، وفاقتهم، وفقيرهم»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، ومملوكٌ كذاب، وعائلٌ مستكبر»^(٣).

٣- يأتي الملوك إلى الله مغلولة أيديهم إلى أعناقهم: فكما كانوا أحراراً طلقاء في الأرض لا يسألهم أحدٌ من الخلق ولا يتقيدون في حركتهم بكبكية الرعية فإنهم يأتون يوم القيامة مغلولين إلى الله عزَّ وجلَّ.

قال النبي ﷺ: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله مغلوله يده إلى

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن عمر بن مرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٥٥٦١]، و«الصحيحة» رقم [٦٣٠].

(٢) صحيح: لأبي داود، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرک» عن أبي مريم الأزدي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٦٤٧١]، و«الصحيحة» رقم (٦٢٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة.

عنقه، فكّه برّه أو أوثقه إثمه، أوّلها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»^(١).

٤- ويحرمون من شفاعة النبي ﷺ: فكما أن الظلمة من ملوك الأرض ظلموا الناس حقوقهم، ولم يعدلوا فيهم بشرع الله ولم يشفع عندهم ضعف الرعية ومسكنتهم فإنهم يُحرّمون من شفاعة النبي ﷺ.

فقد قال النبي ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكلُّ غالٍ مارق»^(٢).

٥- لا يدخلون الجنة: فكما أن الأمن والعدل يكون نعيمًا للضعفاء والمساكين، بل ولكل الرعية وقد حرمهم منهم الملك الظالم وغشّهم وضيّع مصالحهم فإنه يُحرّم من دخول الجنة. فقد قال النبي ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته، إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة»^(٣).

٦- وهم أشد الناس عذابًا: فإن أشد الظلم ما كان من ولي الأمر وأعظم الألم من الجور هو ألم تعذيبه لما له من قوة وما عنده من سلطان، فإن عذب الناس لا يجدون من بطشه مفرًا إلا إلى الله؛ ولذلك فإن الظالم من الملوك لن يجد مفرًا من النار، فقد قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَاجٍ اسْتَرَعِيَ رَعِيَّةً فَغَشَّهَا فَهُوَ فِي النَّارِ»^(٤).

(١) حسن: أحمد في «مسنده» عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٥٥٩٤]، و«الصحيح» رقم [٣٤٨].

(٢) حسن: الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٦٩٢] و«الصحيح» رقم [٤٧٠].

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار.

(٤) صحيح: رواه ابن عساكر عن معقل بن يسار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٢٧١٠]، و«الصحيح» رقم [١٧٥٤].

وقال النبي ﷺ «أشد الناس يوم القيامة عذاباً إمام جائر»^(١).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يؤتى بالولادة يوم القيامة عادِلُهُمْ وجائرُهُمْ، حتى يقفوا على جسر جهنم، فيقول الله عزَّ وجلَّ: «فيكم طلبتي، فلا يبقى جائرٌ في حكمه، مُرْتَشٍ في قضائه، مِمْلٌ سَمَعَهُ أَحَدَ الخصمين إلا هوى في النار سبعين خريفاً، ويؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحد فيقول الله: «لم ضربت فوق ما أمرتك؟»، فيقول: «يا رب، غضبت لك»، فيقول: «أكان لغضبك أن يكون أشد من غضبي؟! ويؤتى بالذي قصر، فيقول: «عبدى لم قصرت؟». فيقول: «رحمته»، فيقول: «أكان لرحمتك أن تكون أشد من رحمتي؟»^(٢).

٧- لمن الملك اليوم؟ قَالَ تَجَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غَافِرٌ: ١٦]، وهو يوم القيامة الذي يزول فيه كل مالك ومملوك إلا ملك الملوك جَلَّ جَلَالُهُ، قَالَ تَجَالَى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الْفَرَّاق: ٢٦].

وعن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها عِلْمٌ لأحد»^(٣)، ليس عليها مملكة لملك، ولا سلطنة لذي سلطان، ولا قوة لحاكم، ولا حكم لقاضي، ولا قدرة لوالي، ليس على الأرض معلم لذي عرش ولا تاج ولا صولجان، و﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الْفَرَّاق: ٢٦].

(١) حسن: رواه أبو يعلى في «مسنده»، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي سعيد وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [١٠١٢].

(٢) حسن لغيره: أخرجه أبو يعلى كما في «كنز العمال» (ج٦/١٤٧٦٩).

(٣) رواه البخاري (٣٧٢/١٣) الرقاق، ومسلم (١٣٤/١٧) صفة القيامة، واللفظ له، والعِلْمُ: أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَقْبُضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مَلُوكُ الْأَرْضِ»^(١) .

فَقَدْ ذَهَبَ الْمُلُوكُ وَمَا مَلَكُوا، وَقَدْ فَنِيَ الْحُكَّامُ، وَمَا حَكَمُوا، فَقَدْ هَلَكَ كَسْرَى وَقِصْرٌ، وَذِي يَزْنٍ، وَسَاسَانٌ، وَ﴿ أَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ لِلرَّحْمَنِ ﴾. وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ^(٢):

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ	فَلَا يُغَرِّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دَوْلُ	مِنْ سِرِّهِ زَمَنَ سَاعَتِهِ أَزْمَانُ
وَعَالَمُ الْكُونِ لَا تَبْقَى مُحَاسِنُهُ	وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُؤُورًا تِيْجَانُ مِنْ يَمِينِ	وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ مَنْ إِرْمِ	وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفَرَسِ سَاسَانُ
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ	وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ	قَضَوْا فَكَأَنَ الْكُلَّ مَا كَانُوا

٥- النهي عن التسمية بملك الملوك: عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَخْنَعُ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ».

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٦٥١٩)، ومسلم (١٧ / ١٣١) صفة القيامة.

(٢) شعر لأبي البقاء الرندي الأندلسي من قصيدته في «رثاء الأندلس»، وقد حذفت البيت الرابع والخامس حتى لا أطيل على القارئ وهما:

يمزق الدهر حتما كل سابعة إذا نبت مشرفيات وخرصان
وتنتفي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

وفي رواية: «أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى بملك الأملاك»^(١).

قال سفيان: «مثل شاهان شاه: أي ملك الملوك باللغة الفارسية».

ففيه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بدمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو مراد بالدم^(٢).

ومعنى أخنع: أي أوضع اسم وأذله، قال أبو عبيد: «الخانع الذليل وخنع الرجل ذلًا».

قال ابن بطل: «وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلًا حتى أخنى: أي أفحش اسم من الخنا وهو الفحش في القول».

وجاء في رواية مسلم: «أغىظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه».

قال ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء^(٣).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أيضًا قال: «**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك؛ لا ملك إلا الله»**»^(٤).

٦- التواضع: فإن من عرف أن الله هو الملك الحق، فلا بد له من أن يتواضع

(١) رواه البخاري (١٠/٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم (٢١/٢١٤٣).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٩٠) باختصار، بأي لسان: أي بأي لغة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه أحمد (٢/٤٩٢).

ولا يرفع نفسه فوق منزلة العبيد حتى لو كان من الملوك فإنه لا يعدو كونه عبداً فقيراً يقع تحت قهر الله وسلطانه.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ...» (١).

فبماذا يجيب الجبارون والمتكبرون بعد هذا النداء؟ وقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً لربه، ومن أجل ذلك اختار أن يكون عبداً رسولاً وأبى أن يكون ملكاً نبياً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَلَسَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: «إِنَّ هَذَا الْمَلِكُ مَا نَزَلَ مِنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ»، فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ»، قَالَ: «أَفْمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟» قَالَ جَبْرِيلُ: «تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا» (٢).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مَتَكْنًا يَقُولُ: «آكَلْتُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلَسْتُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ» (٣).

٧- لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى: فإياك ومعصية الله عَزَّ وَجَلَّ فإنها منطقة خطيرة، وبقعة وعرة، فمن ارتكب شيئاً من محارم الله فقد تعدى حده وعرض نفسه لعقوبة الملك، فمن أراد لنفسه النجاة فليتنقِ عقوبة الملك باجتناب محارمه.

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢٤) (ص: ٢٣١).

(٣) صحيح لغيره: أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» [٦١٠]، والبغوي [ج ١٣/ ٣٦٨٣].

فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وبينهما مشتهيات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكلِّ ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...»^(١).

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يتركون ثلاثة أرباع الحلال خشية الحرام، وكان ابن عمر يقول: «أحب أن أجعل بيني وبين الحرام حائلاً من الحلال»، وجاء في بعض الحديث: «لن يبلغ العبد أن يكون تقياً حتى يدع ما لا بأس به خشية مما به بأس».

٨- ليس كمثله شيء في ملكه:

أولاً- ملك الخلق سبي وملك الله ذاتي:

فإن الخلق لا يكونون ملوكاً إلا بأسباب الملك، فلا بد له من مملكة يملكها أو ناس يحكمهم، ولا بد له كذلك من أعوان على ملكه، فلا بد له من بطانة تحميه، ووزراء يُشاورهم، وجنود ينفذون أمره على الرعية، فملوك الخلق يحتاجون إلى ملكهم.

أما الله عَزَّوَجَلَّ، فإن ملكه ذاتي لا يحتاج إلى سموات ولا أرض ولا عرش ولا شيء أبداً، فهو الملك قبل الخلق، وهو الملك بعد الخلق، وهو الملك بدون الخلق، وكذلك ليس لله وزير ولا نظير ولا بطانة، حتى جنود الله فإنهم لا يحمونه ولا يملكون له نفعاً ولا ضرراً، إنما هو الذي بيده النفع والضرر وحده وبيده الملك

(١) متفق عليه، وبقيته: «...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

وحده، والخلق كلهم لله وبالله ويحتاجون إلى الله ولا يحتاج هو إلى أحد منهم.

ملك الخلق فان، وملك الله باق:

فإن الفناء قد كُتب على المخلوقات، فيما أن يفنى المُلْك بضياعه من يد صاحبه فتسلب المملكة من صاحبها أو يزول الملوك أنفسهم عن ممالكهم بالمرض، أو يجور عليهم من هو أشد قوة من الملوك، أو يموت ويترك ذلك.

أما الله عَزَّجَلَّ فإنه الحي القيوم، ملكه ثابت، لا يتغير، باق لا يفنى، دائم لا يزول، فلا يفارقه ملكه، ولا يزول عنه بجور جائر ولا بظلم ظالم، **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]**، **﴿وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْيِي﴾ [الزمر: ٨٨]**، فهو صاحب القوة والعظمة والكبرياء، **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]**.

وكذلك لا يفارق هو ملكه بالغياب أو الموت؛ لذلك انظر إلى الحسرة والألم الذي يحدث للملوك عند تركهم المُلْك بل والدنيا وما فيها.

فقد حُكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: **﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الباقية: ٢٨-٢٩]**.

ورُوي عن المأمون أنه افترش رمادًا واضطجع عليه وقال: «يا من لا يزول ملكه، ارحم من زال ملكه، ويا من لا يموت ارحم من يموت».

هذا ما يساويه الملك في الدنيا: سأل هارون الرشيد بعض العلماء أن ينصحه فقال له: «يا أمير المؤمنين، إذا عطشت وحُبس عنك الماء فكم تساوي شربة الماء عندك؟ فقال هارون الرشيد: «نصف ملكي»، فقال له: «وإذا شربتها وحُسبت

في جسدك فكم يساوي إخراجها؟» قال: «النصف الآخر من ملكي». قال: «يا أمير المؤمنين، اتق الله في ملك نصفه شربة ماء والنصف الآخر إخراجها». فبكى هارون الرشيد.

٩ - دعاء الله بهذه الأسماء الكريمة:

١ - عن أبي رَضاَ اللَّهِ عَنْهُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ^(١) وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَحُيِّتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حَرَزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»^(٢).

٢ - وعن أبي أيوب الأنصاري رَضاَ اللَّهِ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٣).

٣ - عن أبي رَضاَ اللَّهِ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، «حَمْدِي عَبْدِي»، وَإِذَا قَالَ: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، قَالَ: «أَتْنِي عَبْدِي»، وَإِذَا قَالَ: «مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ»، قَالَ: «مَجَّدْنِي عَبْدِي»، وَقَالَ مَرَّةً: «فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي»»^(٤).

(١) أي: في ثواب عتقها.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح، أخرجه مسلم (ج: ١ - الصلاة ٣٨)، وأحمد (ج: ١٣/ ٧٢٨٩)، والحميدي (ج: ٢/ ٩٧٣)، والبيهقي (ج: ٢) (ص: ٣٨)، والترمذي (ج: ٥/ ٢٩٥٣)، وابن ماجه (ج: ٢/ ٣٧٨٤).

«القدوس» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

وله معنيان في اللغة:

الأول- أن «القدوس» فعول من القدس وهو الطهارة، و«القدّس» بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز؛ لأنه يُتقدّس منه: أي يُطهّر منه.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٣٠]

قال الزجاج: «معنى «نقدس لك» أي: نظهر أنفسنا لك».

ولهذا قال: «بيت المقدس» أي: البيت المطهر، أو المكان الذي يُطهَّر به من الذنوب.

وقال الفراء: «الأرض المقدسة الطاهرة، وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، و«روح القدس» هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ معناه روح الطهارة، أي: خُلِقَ من الطهارة.

وقيل: لأنه ينزل بالْقُدُس من الله، أي: بما يُطهَّر به نفوسنا وهو القرآن، والحكمة، والفيض الإلهي.

المعنى الثاني- أن القدس: هي البركة، والأرض المقدسة أي: المباركة، وهو قول قتادة، وإليه ذهب ابن الأعرابي، ويقويه أن الله تعالى قد بيّن أن الأرض المقدسة مباركة، وذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ ﴿[الْبَقَرَةُ: ١٢٤]﴾، وهي الأرض المقدسة.

«والْقُدُّوس» على وزن: «فَعُول» بالضم من أبنية المبالغة^(١).

الدليل الشرعي:

وقد ورد في القرآن والسُّنة، أما في القرآن فقد جاء في موضعين:

الأول- في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحِشْر: ٦٣].

الثاني- في مطلع سورة الجمعة وهو قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الْجُمُعَةُ: ١].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن القيم: «القدوس»: المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به^(٢).

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٣٠]، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، ننزهك ونبرؤك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك^(٣) اهـ.

(١) من كتاب «النهج الأسمى»، وقد عزاه إلى «النهاية» لابن الأثير (٢٣/٥)، و«اللسان» (٣٥٤٩/٥)، و«أسماء الله الحسنى» (ص: ٣٠)، «شأن الدعاء» (ص: ٤٠).

(٢) كتاب «الأسماء الحسنى» من مؤلفات ابن القيم (ص: ١٠٣).

(٣) «جامع البيان» (١/١٦٧) من كتاب «النهج الأسمى» (ص: ١١٠).

وقال البيهقي: «القدوس» هو الطاهر من العيوب المنزه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفة يستحقها بذاته^(١).

وقال الغزالي: هو المنزه عن كل وصف يدركه حسٌّ، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضي به تفكير^(٢).

وقال ابن كثير في معنى القدوس: أي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال^(٣).

وقال الآلوسي: «القدوس: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصاناً أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به، أو الذي لا يحد ولا يتصور»^(٤).

وقال ابن القيم في (النونية):

هذا ومن أوصافه القدوس ذا الـ تنزيه بالتعظيم للرحمن
من آثار الإيمان بالاسم الكريم

١ - القدسية التامة لله من جميع الوجوه:

فهو القدوس في أسمائه وصفاته وأفعاله، فأسماءه كلها حُسن لا شرّ فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها حكمة وعزة لا خلل فيها، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو القدوس من كل النقائص والعيوب منزّه عن كل الآفات، فمن ذلك

(١) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٤)، وانظر كذلك: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٢٣)، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي (ص: ١٨٦).

(٢) «المقصد الأسنى» (ص: ٣٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٦٣).

(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ٦٢).

على سبيل المثال:

أولاً - تقدّس أن يكون له شريك:

قَالَ الْعَالِي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٢:٢٥٥]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ
الْضَّمَدُ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

ثانياً - تقدّس أن يكون له زوجة أو ولد:

أخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبًّا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾
[الجن: ٣].

وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ
قَلْبُونٌ﴾ [١١٦: ٢].

ثالثاً - تقدّس عن الموت، والنوم:

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال النبي ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»^(١).

رابعاً - تقدّس عن الظلم:

قَالَ الْعَالِي فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي،
وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(٢).

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٥)، ومسلم (١/ ١٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (ج٤ - البر والصلة/ ٥٥)، (ج: ٤) (ص: ١٩٩٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠)،
والحاكم (ج: ٤) (ص: ٢٤١)، والبيهقي (ج: ٦) (ص: ٩٣).

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وذلك مع قدرته على خلقه فهو خالقهم ومالكهم، ولذلك فقد ورد اسم «القدوس» مرتين في القرآن اقترن فيهما باسمه الملك جَلَّ جَلَالُهُ.

خامسًا - تقدس عن الكذب:

فقوله الصدق وخبره الحق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١١٢].

سادسًا - تقدس عن الضلال والنسيان:

أخبر تعالى عن نبيه موسى أنه قال: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

سابعًا: تقدس عن الفقر والبخل جل جلاله وتقدسست أسماؤه:

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعُنُوا مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿بَيَّأَهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال النبي ﷺ: «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرايتم ما أنفق منذ خلق الله السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده»^(١).

ثامنًا: تقدس عن الفناء:

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الحج: ٢٦-٢٧].

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «لما خلقت بيدي» (رقم الحديث ٧٤١١) (٣٩٣/١٣) مع الفتح.

تاسعاً: تقدّس عن الشبيه والمثيل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلم يُقدّس الله من شبهه بخلقه أو نفى عنه أسماء وصفاته فكلاهما على ضلال مبين.

ولو استقصينا أوجه التقديس لله عَزَّجَلَّ ما استطعنا أبداً ولا أحصيناها؛ لأنها لا نهاية لها وقال النبي ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

ليس كمثله شيء في قدسيته:

فسبحان الله الملك القدوس عن كل نقص وعيب، ومن قدسيته أنه ليس كمثله شيء فيها؛ وذلك لأسباب كثيرة منها:

أولاً- قدسية الله تامة وكاملة، وقدسية الخلق ناقصة:

فإن قدسية الخلق وطهارتهم إنما تكون في حالٍ دون حال، وفي جهة دون أخرى، وعلى كل حال، ومهما بلغت درجة كمال المخلوق، فهي قدسية تناسب المخلوق الضعيف الناقص؛ فقد يتطهر العبد وقت العبادة في الصلاة أو غيرها ولكنه لا يملك هذا في جماعه لزوجته أو حال قضائه لحاجته، وقد يطهر نفسه بالطاعة والعبادة ولكنه يتدنس مرة أخرى بالمعصية والذنوب، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون»^(٢).

وقد يقدر العبد نفسه بألا يذلها للناس ويتعفف عما في أيديهم، ولكنه سيظل دائماً أبداً محتاجاً إلى الله، فقيراً لغناه ذليلاً لعزته.

(١) رواه مسلم «كتاب الصلاة» باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٢) حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» [٢٣٤١].

أما الله جَلَّ جَلَالُهُ فهو القدوس من جميع الوجوه، منزّه عن كل نقص من جميع الجهات مُبرأ من كل عيبٍ.

ثانياً - قدسية الله دائمة، وقدسية الخلق مؤقتة:

فقدسية الخلق لها بداية ولها نهاية فوجودهم سبقه العدم، ويلحقه الفناء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الأنبياء: ١]، وَقَالَ تَعَالَى لَنَبِيِّهِ زَكَرِيَّا: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩].

فقد سبق قدسية الخلق عدمهم، وقد كان قبل كمالهم نقصهم ويلحق بكل ذلك فناؤهم فقدسية الخلق محدودة بالوقت والحال.

فعن بسر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بزق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يا ابن آدم، أتى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأتأى أو أن الصدقة»^(١).

وَيُرَوَّى أَنَّ أَحَدَ الْمُلُوكِ كَانَ مَاشِيًا فِي مَوَكِبِهِ فَرَأَى رَجُلًا جَالِسًا تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ لَمْ يَقُمْ الرَّجُلُ وَلَمْ يَعْظُمْهُ، فَقَالَ لَهُ: «أَوْ لَا تَعْرِفْنِي؟»، قَالَ: «بَلْ أَعْرِفُكَ»، «أَوَّلُكَ نَظْفَةٌ قَذَرَةٌ، وَآخِرُكَ جِيْفَةٌ مَزْرَةٌ، وَأَنْتَ بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي بَطْنِكَ الْعَذْرَةَ»^(٢).

(١) حسن: «المسند» (٢١٠/٤)، وأخرجه من أربعة طرق عن حريز عن ابن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش القرشي به، وأخرجه ابن ماجه (٢٧٠٧/٢)، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح»، والوئيد: صوت شدة الوطء على الأرض، والتراقي: عظام بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) العذرة: أي البراز.

أَمَّا قَدْسِيَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَهِيَ قَدْسِيَّةٌ دَائِمَةٌ فَلَمْ يَسْبِقْ وَجُودُهَا عَدَمٌ، وَلَا دَنْسٌ وَلَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ وَلَا خَلَلٌ، وَلَيْسَ لَهَا نِهَايَةٌ وَلَا فَنَاءٌ.

ثالثاً- التقديس الحق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يكون بشره:

كما قال تعالى عن الملائكة في قولهم: ﴿وَنَحْنُ سُبِّحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فالتقديس لله وتقديس الله بمعنى واحد، وأفضل ما يمكن تقديس الله به هو عبادته بما جاء في شرعه من كتاب وسنة رسوله بالعقائد الصحيحة، والأقوال الطيبة والأعمال الصالحة، وهذا ما ارتضاه الله لنفسه من خلقه، ومن ذلك:

أولاً- تقديس الله بالتوحيد والإيمان الصحيح:

فأعظم ما يُقَدِّسُ العبادُ به ربهم هو الإيمان والتوحيد ونفي الشركاء عنه والأنداد وتنزيهه عن كل نقص وعيب نسبه إليه الكافرون والمشركون؛ لذلك حين سئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنوب قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»^(١)؛ ولأن الشرك هو أعظم السبِّ لله ﷻ وتقديس أسماؤه فقد ٦ في الحديث القدسي: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصمد، لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كفواً أحد»^(٢).

(١) رواه البخاري، وأحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٧٤ / ٨).

في شرح الأسماء الحُسنى

١٠١

ومن أجل ذلك كان أعظم الأعمال وأفضلها هو الإيمان بالله.

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «إيمانٌ بالله ورسوله...»^(١).

ثانياً- تقديس الله بالقلوب:

فإن الله ينظر إلى القلوب فلا بد من تطهيرها لتليق بنظر الله إليها، فعن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»^(٢).

وفي رواية لمسلم أيضاً زاد فيها: «...وأعمالكم».

فمن ذلك حسنُ الظن بالله تعالى وحبُّه وخشيته والتوكل عليه وحب النبي ﷺ وحب المؤمنين في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وتطهير القلوب من النفاق والرياء والشهوات المحرمة؛ ليسلم القلب لتقديس الله عزَّوَجَلَّ، فقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

ثالثاً- تقديس الله بالأعمال:

كالطهارة: وهي تقديس البدن ليليق بعبادة الله وتلاوة كلامه المقدس والوقوف بين يديه في الصلاة.

والصلاة: فإن العبد يقدس الله فيها بالتسبيح والتكبير والتعظيم، وكذلك

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٧ / ١) مع «الفتح» كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، رقم الحديث [٢٦].

(٢) رواه مسلم.

بالركوع والسجود؛ ولذلك فإن الصلاة تطهر العبد من دنس المعاصي والذنوب من جهتين:

الأولى - أنها سبب لطهارته من ذنوبه السابقة، عن أبي رَضا الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟»، قالوا: «لا يبقى من درنه شيء»، قال: «فذاك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(١).

الثانية - النهي عن الخبائث فيما يعرض له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [التكوير: ٤٥].

والزكاة: بأن يطيب ما ينفق في سبيل الله، فقد قال النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(٢).

وهي كذلك تطهير للنفس من الخبائث، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقد كانت عائشة رَضِيَ الله عنها تطيب الصدقة وتعطرها قبل أن تعطيها السائل وتقول: «إنها لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل».

دعاء الله باسمه القدوس:

١ - فقد كان النبي ﷺ يذكر الله بهذا الاسم في ركوعه وسجوده، وهو دعاء ثناء وحمد.

(١) متفق عليه، والدرن: الوسخ.

(٢) رواه مسلم.

في شرح الأسماء الحُسنى



فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

٢- ذكر الله وتسميحه به بعد الوتر:

فقد كان النبي ﷺ يسبح الله به بعد فراغه من صلاة الوتر كما جاء في حديث أبي بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، فإذا سلم قال: «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات»^(٢).



(١) أخرجه مسلم [٤٨٧] «كتاب الصلاة»، باب ما يقول في الركوع والسجود.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الإمام أحمد (١٢٣/٥)، وأبو داود [١٤٣٠]، والنسائي في الوتر (٢٤٤/٣)، وابن أبي شيبه في «المصنف» [٩٧٦٢] عن طلحة الأيامي عن زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب مرفوعاً به.

«السلام» سُبحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

السَّلَامُ، والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقْلِبِ سَلِيمٌ﴾ أي: مُتَعَرِّجٍ من الدغل فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلِّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ فهذا في الظاهر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾، أي: سلامة، والسلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة؛ إذ فيها بقاء بلا فناء و غنى بلا فقر، وعِزٌّ بلا ذُل، وصحة بلا سقم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

والسلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، قيل: وُصِفَ بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق^(١).

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم الكريم مرة واحدة في كتاب الله، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وجاء في الحديث الشريف: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»^(٢).

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (٤٢١-٤٢٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

معنى الاسم في حق الله تبارك وتعالى:

قال ابن كثير: «السلام» أي: من جميع العيوب والنقائص لكمالهِ في ذاته وصفاته وأفعاله^(١).

قال ابن القيم: اسم «السلام» متضمن للكمال السالم من كل ما يضاده، فهو السلام الحق من كل وجه كما هو النزاهة البرية عن نقائص البشر من كل وجه.

وقال أيضاً: «السلام» الذي سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم.. فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر، ومن التسمية به، ومن فعله ومن نسبته إليه.

فهو السلام سبحانه وتعالى: أي سلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص، المسلم لخلقه من الظلم، ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها «سلام»، والجنة بأنها «دار السلام» وتحية أهلها السلام، وأثنى على أوليائه بالقول السلام، كل ذلك السالم من العيوب^(٢).

وقال أيضاً: فإطلاق السلام على الله تعالى اسماً من أسمائه فهو أولى وأحق بهذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، فهو سبحانه سلام في ذاته من كل عيب ونقص يتخيلهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣١).

(٢) «شفاء العليل» ص (١٧٩).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٧).

قال الآلوسي في تفسيره: السلام ذو السلام من كل نقص وآفة^(١).

وقال البيهقي: «السلام» هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة وهذه صفة يستحقها بذاته^(٢).

قال ابن القيم في (النونية):

وهو السلام على الحقيقة سالمٌ من كل تمثيلٍ ومن نقصان^(٣)

الحي فهو السلام من الموت والنوم: قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

الغني فهو السلام من الفقر: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١].

الحكيم فهو السلام من الطيش: قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١].

القدير فهو السلام من العجز والضعف: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

(١) «روح المعاني» (٢٨/٦٣) نقلاً عن كتاب «النهج الأسمى» للنجدي (١/١١٦).

(٢) «الاعتقاد» ص (٥٥) من كتاب «النهج الأسمى» (١/١١٦).

(٣) «النونية».

سميع فهو السلام من الصمم: قَالَ عِزَّى: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٤].

قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ....».

وقالت عائشة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ
الْمُجَادِلَةُ تَشْكُو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١].

* * *

«المؤمن» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

(المؤمن): له معنيان في اللغة.

الأول - التصديق.

قال الزجاج: «أصل الإيمان التصديق والثقة».

وقال الله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، أي: لفرط محبتك يوسف لا تصدقنا^(١).

الثاني - الأمان الذي هو ضد الإخافة.

قال تعالى: ﴿وَأَمْنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

قال تعالى: ﴿وَهَذَا أَلْبَدُ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، أي: الآمن - يعني مكة.

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «(المؤمن) أي: أَمِنَ خَلْقَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ»^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

هو المؤمن الذي يؤمن بنفسه وبوحدانيته. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَوْمِنُ الَّذِي يُؤْمِنُ بِنَفْسِهِ وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ﴾.

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٣١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم.

إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوتُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴿[آل عمران: ١٨].

وإن كان التصديق هو معرفة الشيء على حقيقته كما هو، فإن ذلك لا يكون إلا لله سبحانه؛ إذ هو يعلم الغيب كما يعلم الشهادة.

ويعلم السر كما يعلم العلن.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

والله عَزَّجَلَّ هو الذي يهب عباده الأمن في الدنيا والآخرة، ولا يأتي الأمن الحقيقي إلا من جهته سبحانه.

«أما في الدنيا»:

فقد وعد الله عباده المؤمنين بالتمكين بعد الاستضعاف، والأمن بعد الخوف.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

«وأما في الآخرة»:

فإنه سبحانه يؤمن المؤمنين مما لا يستحقونه من العذاب، ويهبهم الأمن والهداية.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

[الأنعام: ٨٢]

وقال تعالى: ﴿أَفَنَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].

آيات الله في أمن الحرم المبارك:

- فيأمن الذين يسكنونه عندما يخاف الناس.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَنُخَاطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ ءَفِئَالِبَطِلٍ

يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

- ويأتيهم رزقهم من ثمرات الزروع والصناعات من كل مكان.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا

وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

ولعل الله سبحانه قد استجاب دعاء رسوله وخليفه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه

لمكة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ مَن ءَامَنَ مِنْهُمْ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ولذلك أمر الله عباده أن يَحِجُّوا إليه، وقد مهَّد لهم سُبُل الرزق والأمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ

ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

مواقف عظيمة لتصديق الله للمؤمنين:

١ - حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أخبر النبي ﷺ بما قاله المنافقون، فلما سألهم رسول الله ﷺ كذبوا زيِّداً، فصَدَّقَهُم رسول الله ﷺ، ولكن الله سبحانه صدَّقه، وأظهر برائته. وهذا هو الصحيح.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَيْتَنِي رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّا الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَاءَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ وَأَصْحَابِيهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَرَأَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ»^(١).

صدق الله فصدق الله:

٢ - تصديق الله لمن أراد الوصول إليه بمنازل الشهداء وغيرها، فمن صدَّق الله سبحانه في شيء صدَّقَهُ الله، وصدقَهُ الله. فقد أسلم رجلٌ فأعطاه رسول الله ﷺ بعض المال.

قَالَ الرَّجُلُ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَيَّ حَلْقُهُ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ.

فَقَالَ: «إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدُقِكَ»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ،

(١) رواه البخاري.

فَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ»^(١)

٣- موقف الأنصار حين فتح رسول الله ﷺ مكة.

فخافوا أن يجلس النبي ﷺ في مكة ويتركهم ويترك مدينتهم، فقالوا أشياء، ثم اعتذروا عنها، فصَدَّقَهُمُ اللَّهُ سبحانه. وهذا هو الموقف.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ». قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَذْرَكْتُهُ رَغْبَةً فِي قَرَبَتِي؟».

قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: «كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضَّنَّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِيكُمْ، وَيَعِزِّرَانِيكُمْ»^(٢).

ومن حقوق الإيمان؛ أن يأمن المؤمنون من شر بعضهم البعض، فيعيشوا في أمانٍ وطمأنينة.

قال النبي ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن».

قيل: ومن يا رسول الله؟

(١) رواه النسائي في «سننه» (١٩٥٣)، والحاكم في «المستدرک»، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(١).

و قال أيضًا ﷺ: «المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

أما في حجة الوداع؛ فقد وصف النبي ﷺ المؤمن بأنه أمانٌ لأخوانه في أموالهم وأنفسهم، فقال ﷺ: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَنْ أَمِنَ الناسُ على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سَلِمَ الناس من لسانه ويده»^(٣).

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩، ١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠، ٤٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/٢١)، وإسناده صحيح.

«العزیز» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

العزُّ في الأصل القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة: الرفعة والامتناع، «ولله العزة» أي: وله العزة والغلبة^(١).

«العزیز»: الذي يَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).
[٢٦: توبكنعلا]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

«العزیز»: قد يأتي بمعنى القليل الوجود (أي: النادر) المنقطع النظير، يقال: «عزَّ الشيء عزة فهو عزیز»: غير موجود، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، أي: يصعب مناله ووجود مثله^(٣).

«العزیز» الجليل الشأن، الشریف القدر، العظيم سبحانه^(٤).

الدليل الشرعي:

جاء هذا الاسم الكريم في كتاب الله قرابة التسعين مرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦].

(١) «النهج الأسمى» (٢/ ١٣٥).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (٥٦٣).

(٣) «المفردات» (٥٦٤)، «الاشتقاق» (٢٣٩).

(٤) «الاشتقاق» (٢٣٧)، (٢٣٩).

وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [ص: ٦٦].

المعنى في حق الله سبحانه وتعالى:

قال ابن كثير: «والله عزيز» أي: منيع الجناب عظيم السلطان^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء وما شاء كان بلا ممانع لأنه القاهر لكل شيء^(٢).

وقال ابن كيسان: معناه الذي لا يعجزه شيء، دليله: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣).

وقال الحليمي: «العزيز» معناه الذي لا يُوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه، فإن العزيز في «لسان العرب» هو من: العزة والصلابة^(٤).

وقيل: «العزيز» الذي لا مثل له بيانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥).

وقال السَّعدي: «العزيز» الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، دانت له الخليقة وخضعت لعظمته^(٦).

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢٥).

(٣) «النهج الأسنى» (١/ ١٣٦).

(٤) نفسه (١/ ١٣٧).

(٥) نفسه (١/ ١٣٦).

(٦) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٠-٣٠١) عن «النهج الأسنى» (١/ ١٣٧).

قال ابن القيم:

وهو العزيزُ فلن يرامَ جَنَابُهُ أَنَّى يُرامَ جنابُ ذي السلطانِ؟!
وهو العزيزُ القاهرُ الغلابُ^(١) لم يغلبه شيءٌ هذه صفتانِ
وهو العزيزُ بقوة هي وَضْفُهُ فالعزة حينئذٍ ثلاث معانٍ
وهي التي كَمَلَتْ له سبحانه من كل وجه عادم النقصانِ^(٢)
من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن الله هو العزيز من كل الوجوه وبكل المعاني، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَتَاوَى: ١٠].

فمن أوجه تلك العزة:

١ - عزيزٌ في وحدانيته^(٣) «سبحانه»:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم قال بعدها مبيناً معنى الانفراد والأحدية: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. أي أن الأحد هو العزيز الذي انفرد بأوصاف الكمال الذي لا مثيل له^(٤).

٢ - عزيزٌ في ذاته وصفاته:

فليس لأحدٍ مثل ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ

(١) «الغلاب» ليس من الأسماء الحسنى.

(٢) «النونية».

(٣) سبق في معاني «العزيز» أي: هو العزيز في الوجود الذي نَدَّر وجوده في ثاني له.

(٤) «أسماء الله الحسنى» (١٧/٢) د/ محمود الرضواني.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١].

٣- عزيز في كلامه :

فالقُرآن عزيز، وقد وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت: ٤١-٤٢].

قال قتادة: أعزّه الله؛ لأنه كلامه وحفظه من الباطل ^(١).

فالقُرآن عزيز على كل من أراد به باطل أو تحريف، كما قال العجّال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وقال العجّال: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿[الإسراء: ٨٨].

وكذلك هو الله العزيز في كلامه إذا أراد شيئاً حدث وإذا أمر بشيء كان، قال العجّال: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة: ٤٠].

٤- العزيز في كبريائه وعظمته «سبحانه» :

قال العجّال: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قال مجاهد: أي هو العظيم الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه ^(٢)، وقال تعالى في الحديث القدسي: «العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذّبته» ^(٣). وفي لفظ آخر: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً

(١) انظر «النهج الأسمى» (١/١٤١).

(٢) ابن كثير (٤/١٤٨).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢)، ومسلم «البر والصلة» (٤/١٣٦).

منهما أسكنته ناري»^(١).

٥- العزيز في انتقامه عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

قال ابن جرير: «العزيز» الشديد في انتقامه من أعدائه، وقال: «العزيز» في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد أن يدفعه عنه^(٢).

فقد أغرق الله فرعون، وخسف بقارون، ومسح بني إسرائيل إلى قردة وخنازير، وقلب قرية لوط عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل.

فانظر كيف انتقم الله من عاد وثمود: فما أغنت عنهم قوتهم، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۚ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٤-٦].

وتأمل كيف أغرق قوم نوح: فلم يردوا عن أنفسهم العذاب ولم ينصرهم أحد من الخلق، قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوْا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

فسبحان الله كيف عاقبهم الله بعقوبتين كلاهما أشد من الأخرى، «أحلاهما مر» الغرق والحرق فالغرق في الدنيا والنار في الآخرة «فإن أجسادهم في النار وهي تحترق من عذاب البرزخ».

(١) رواه مسلم.

(٢) «النهج الأسمى» (١/١٣٦).

قال ابن كثير: أي نُقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار^(١).

فسبحان الله عاقبهم بالنار وهم غرقى في الماء (والنار ضد الماء).

وتدبر كيف خسف الله بقارون:

قَالَ الْجَلِّي: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خسف بهم إلى الأرض السابعة^(٢).

وقال ابن كثير: ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله^(٣).

وكيف أهلك أصحاب الفيل:

قَالَ الْجَلِّي: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل].

أرسل عليها طيراً مع كل منها ثلاثة أحجار واحد بمنقاره، اثنين برجليه فحلقت عليهم وأرسلت تلك الحجارة عليهم فهلكوا هلاكاً سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون، وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم^(٤).

(١) ابن كثير (٤/ ٤١٣).

(٢) نفسه (٣/ ٣٧٨).

(٣) نفسه (٣/ ٣٧٨).

(٤) ابن كثير (٤/ ٥٣٦).

عقوبات تنتظر العصاة من تلك الأمة :

فإن من عزة الله سبحانه أنه حكم على العصاة بعقوبة تنالهم لا محالة، إذا هم عصوه ولا يستطيعون لها دفعاً ولا منها هرباً إلا أن يتوبوا إلى الله عزَّجَلَّ أو يعفو الله عنهم يشاء.

قال النبي ﷺ: «خمس بخمس؛ ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر»^(١).

وما فشت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ابتلاهم.

٦ - العزيز في نصر أنبيائه وأوليائه :

فالله سبحانه هو العزيز في نصر أنبيائه وأوليائه فينصرهم نصراً قوياً في نفسه فريداً في نوعه، وقد عَقَّبَ الله على نصره لرسله باسمه العزيز سبحانه، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وقد وصف الله نصره لنبيه ﷺ بأنه نصر عزيز، قال تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣].

ولما نصر أهل بدر قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

أي: قليل عدوكم؛ لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣٥).

وعن عياض الأشعري، قال لأبي عبيدة يوم اليرموك: إنه قد جأش إلينا الموت واستحددناه، فكتب إلينا: إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحصن جندًا، الله عزَّ وجلَّ؛ فاستنصروه؛ فإن محمدًا ﷺ قد نُصر في يوم بدر في أقل من عدتكم فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ وأصبنا أموالاً^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١٢٦:٤]، أي: هو ذو العِزَّة التي لا ترام، والحكمة في قدره، والأحكام^(٢).

«تُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ»

وَهُؤُلَاءِ يُذِلُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

١ - من حادَّ الله ورسوله :

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

قال ابن كثير: الذين في حدٍّ والشرع في حدٍّ أي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة^(٣).

٢ - اليهود أذل الخلق :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٩).

قال ابن كثير: لا يزالون مستذلين، مَنْ وجدهم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغارُ وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون.

وقال الحسن وقتادة: يُعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

وقال الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين، وقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجيبهم الجزية^(١).

وذلك لكفرهم الذي لم يصل إليه غيرهم، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

[البقرة: ٦١]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبيٍّ ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار»^(٢).

معصية الله ورسوله:

قال النبي ﷺ: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»^(٣).

وانظر إلى هرقل حين أبى الصحابي الكريم أبو عبيدة بن الجراح وإخوانه أن يدخلوا على أخيه، وكان أمير جيش الروم وكان اسمه تذارق، وكان معه يومئذ ثلاثون رواقاً في عسكره، وثلاثون سرادقاً كلها من ديباج، فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوها وقالوا: لا نستحل الحرير فابرز لنا فبرز إلى فرش ممهدة وبلغ ذلك هرقل فقال: «ألم أقل لكم! هذا أول الذل.

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٣١٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٩٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/٣٧٤).

أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشئوم^(١).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «هانوا على الله فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم». وقال أيضًا: «أبى الله إلا أن يُذل أهل معصيته فمهما طقطقت بهم البُغْل وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية في رقابهم».

الكبر:

قال الله في الحديث القدسي: «العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني بشيءٍ منهما عَذَّبْتُه»^(٢).

فمن هذا العذاب أن المتكبرين يُحْشَرُونَ أَذَلَّةً يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ وَالْحَقَارِ؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ»^(٣) فِي صُورِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سَجَنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ (بُولَس) فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ عَصَاةَ أَهْلِ النَّارِ»^(٤).

مَنْ لَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ «سَبَحَانَهُ»:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ»^(٥) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿[القلم: ٤٢-٤٣]».

(١) رواه أحمد وأحمد واللفظ له عن ابن عمر، انظر «المسند» رقم الحديث (٥١١٥، ١٢٢/٧) وصحح الشيخ / أحمد شاكر إسناده، وانظر هامش المسند (١٢٢/٧).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٩/٧)، و«تاريخ الطبري» (٤٠٣/٣)، وقول هرقل «المولود المشئوم» يقصد به رسول الله ﷺ وأقول: بل هرقل وقومه جميعاً هم المشئومون بمعصيتهم لله ورسوله.

(٣) الذر: هو النمل الصغير.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢) ومسلم «البر والصلة» (١٣٦/٤).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»^(١).

فإن العزة لله سبحانه وللمؤمنين الذين عبدوه في الدنيا، وسجدت له جباههم، وذلت له أعناقهم فيجازيهم الله بعز السجود له في الآخرة ثم يأخذهم إلى الجنة، أما الكافرون والمنافقون فلم يسجدوا له في الدنيا مع سلامتهم وقدرتهم على ذلك، وتكبروا عن أمره سبحانه فأذلهم الله يوم القيامة ثم إلى جهنم وبئس المصير والجزاء من جنس العمل.

الرغبة في الدنيا :

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَرَأَى سَكَّةً وَشَيْئًا مِنْ آلَةِ الْحَرْث فَقَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الدَّلَّ»^(٢).

ترك الجهاد في سبيل الله :

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(٣).

(١) رواه أحمد، وروى عن ابن عمرو وقال ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الشانية»: موقوف، إسناده حسن، انظر (٣٧٥/٧) حديث رقم (٤٦٢٩) عن المطالب.

(٢) رواه البخاري ومسلم (ابن كثير ٤/٢٩٣).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٢١) مع الفتح.

من أسباب العزة «هؤلاء يُعزُّهم الله»

إن الله هو العزيز وله العزة جميعاً ولا يأخذ أحدٌ من العزة شيئاً إلا إذا أعطاه الله منها، قَالَ الْعَالِي: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأعظم سبب يعزُّ الله به عباده هو طاعته وعبادته جَلَّالَهُ، فمن هذه الأسباب:

١ - الإيمان بالله:

فإن الشرك غاية الذل والإيمان الصادق غاية العز، قَالَ الْعَالِي: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الْمُنَافِقُونَ: ٨).

عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ إِمَّا بِعِزِّ عَزِيزٍ وَإِمَّا بِذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَيُعِزُّوهُ بِهِ وَإِمَّا يُذِلُّهُمْ فَيَذِلُّونَ لَهُ»^(١).

الإسلام هو غاية العز:

ولما خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ - وَمَعَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ - فَاتُوا عَلَى مَخَاضَةٍ، وَعَمْرٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَتَزَلَّ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْتَ تَخْلَعُ خُفَّيْكَ، وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ وَتَخْوِضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوْهَ لَوْ يَقِلُّ ذَا غَيْرِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتَهُ نَكَالًا لِأُمَّةٍ

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢) وقال الألباني (٦٦٣/٢): صحيح وصححه أيضاً الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول» (٧٦٥/١١).

في شرح الأسماء الحسنى

١٢٧

محمد، إنا كُنَّا أَذَلَّ قومٍ فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العِز بغير ما أعزنا الله به أَذَلَّنَا الله^(١).

الإسلام أعز الأنساب:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقَيْسٍ أو تميم

عن النبي ﷺ أنه قال: «انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ، لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ، فَأُوحَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتَ هَذَيْنِ الْمُتَنَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَنَمِّيُّ أَوِ الْمُتَنَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ، وَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ، وَأَمَّا أَنْتَ الْمُتَنَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ، فَأَنْتَ ثَالِثُهُمْ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

العز في الاستغناء عن الناس:

قال جبريل للنبي ﷺ: «... واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزّه استغناؤه عن الناس»^(٣).

ولله درُّ القائل:

لا تخضعن لمخلوقٍ على طمع فإن ذلك نقصٌ منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه فأمر ربك بين الكاف والنون

الصبر على الظلم:

قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي.

(٢) صحيح: أخرجه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (جده ص ١٢٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٣١/١): إسناده صحيح.

صَدَقَ، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا^(١).

العفو عند المقدرة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ... قَالَ: يَا رَبِّ! أَيُّ عِبَادِكَ أَتَقَى؟ قَالَ: «الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى»... قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: «الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَرَ...»^(٢).

قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ السَّلَفُ يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَدْلُوا فَإِنْ قَدَرُوا عَفَوْا^(٣).

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنباري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حسن، أخرجه ابن حبان (ج١٦).

(٣) «فتح الباري» (١١٩/٥).

«الْجَبَّارُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال الأصفهاني^(١): أصل (الجبر) - إصلاح الشيء بنوع من القهر.

يُقال: (جَبَرْتُهُ فَانْجَبَرَ، وَاجْتَبَرَ).

وقد قيل: (جَبَرْتُهُ فَجَبَرَ).

وسُمِّيَ السلطان جبرًا، كقول الشاعر:

وانعم صباحًا أيها الجبر..

لقهره الناس على ما يريد، أو لإصلاح أمورهم.

وأما في وصفه تعالى نحو: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٣٢].

فقد قيل: سُمِّيَ بذلك من قولهم: جبرتُ الفقير لأنه سبحانه هو الذي يجبر

الناس بفائض نعمه، وقيل: لأنه يجبر الناس على ما يريد.

واشتُقَّ من لفظ جبر العظم، والجيرة: للخرقة التي تُشد على المَجْبُور،

والجِارة للخشبة التي تُشد عليه، وجمعها: جبائر.

والجبر خلاف الكسر: جبر العظم يجبره جبرًا، والجبر أن تغني الرجل من

الفقر، أو يَجْبُرُ عظمه من الكسر^(٢).

والجبار في وصف الناس: العظيم القوي الطويل.

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (١٨٣-١٨٥).

(٢) انظر: «النهاية» لابن الأثير (١/٢٣٥)، و«لسان العرب» (١/٥٣٥)، و«تفسير الأسماء» للزجاج

(ص ٣٤)، وشأن الدعاء (ص ٤٨).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

أما في الإنسان: فالجبار يُقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من تعالى لا يستحقها، وهذا لا يُقال إلا على طريق الذم، كقوله تعالى: ﴿وخاب كل جبارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]^(١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد الاسم في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال الطبري: «(الجبار) يعني المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم»^(٢).

وقال قتادة: «جبر خلقه على ما يشاء من أمره»^(٣).

ويُقال: هو الذي جبر مفقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق^(٤).

ويُقال: بل الجبار فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات إذا علا واكتهل.

ويُقال للنخلة التي لا تنالها اليد طولاً: الجبارة^(٥).

(١) «مفردات القرآن» (١٨٤).

(٢) «الطبري» (٣٦/٢٨)، وابن كثير (٣٤٣/٤).

(٣) رواه ابن جرير عنه بإسناد صحيح، وانظر: «النهج الأسنى» (١٤٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) «فتح القدير» (٢٠٨/٥).

قال النجدي^(١):

قال الشوكاني: «(الجبار) جبروت الله وعظمته، والعرب تُسمِّي الملك: الجبار». .

قال السعدي: «(الجبار) هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجبار للقلوب المنكسرة والجبار للضعيف العاجز ولمن لا ذبه ولجأ إليه». وهو ما نظمه ابن القيم في (النونية):

وكذلك الجبار من أوصافه	والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا	ذا كسرة فالجبر منه داني
والثاني جبر القهر بالعز الذي	لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مُسمى ثالث وهو العلو	فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم جبارة للنخلة العليا	التي فاتت لكل بنان
فيكون معنى الجبار على وجوه:	

- ١ - (الجبار): هو العليُّ على خلقه، وفَعَّال من أبنية المبالغة.
- ٢ - (الجبار): هو المُصْلِح لأُمُور خلقه من جبر الكسر إذا أصلحه، وجبر الفقير إذا أغناه.
- ٣ - (الجبار): هو القاهر خلقه على ما أراد، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، أي: لست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى ولم تُكَلِّف بذلك.

(١) انظر: «النهج الأسمى» للنجدي.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

١ - إن الله هو الجبار فقد قهر خلقه على ما يصلحهم:

— فقد جبرهم على الخلق ولو خيروا لما استطاعوا أن يحركوا عضواً، ولا أغمضوا جفناً، ولا أخفقوا قلباً، ولا أجرؤا دمًا.

﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

— وقد جبرهم على الحياة، لا يملكون نفساً، ولا ينفخون روحاً، ولا يدفعون موتاً، لا عن أنفسهم ولا عن غيرهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

— وقد جبرهم على الرزق فلا يأكلون إلا من رزقه، ولا يرزقون إلا من فضله، ولا يأخذون إلا من خزائنه (سبحان) ولو خيروا لطفوا وبغوا.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الحجر: ٢١].

٢ - هو الجبار لكل كسير:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

فقد جبر الله المبتلى بالأجر. قال النبي ﷺ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(١).

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٣١)، باب: [الصبر على البلاء]، وحسنه الألباني.

أي: عظمة الثواب مقرونة مع عظمة البلاء كيفية وكمية جزاءً وفاقاً وأجرًا طباقاً^(١).

٣- وجبر المريض بالشفاء:

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: ٨٠].

٤- وجبر المذنب بالتوبة وجبر التائبين بالمغفرة والقبول، ثم نادهم بقوله: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٥- وجبر المظلومين بإجابة دعائهم والانتقام ممن ظلمهم:

قال النبي ﷺ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيَسَّ بَيْنَهَا وَيَنَ اللَّهُ حِجَابٌ»^(٢).

وجبر أمة النبي ﷺ بعظيم الأجر على قليل العمل ومن ذلك تخفيف الصلاة؛ فهي خمس في العمل خمسون في الأجر.

فعندما فرض الله الصلاة خمسين قال النبي ﷺ: «يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضَعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفَّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَثَ أُمَّثَالَهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ...»^(٣).

- ومن كرامة الجبار لأهل الجنة:

أنه سبحانه يكرمهم بخبرة يجبر بها خواطرهم ويسعد بها قلوبهم عما لا قوه

(١) شرح محمد فؤاد عبد الباقي على «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٣٣٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٨).

(٣) رواه البخاري (٧٥١٧)، باب: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا].

في الدنيا من عناء، ولكن ما حجم هذه الخبزة؟ إنها كحجم الكرة الأرضية بما فيها.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة...»^(١).

- والله هو الجبار ذو القوة والعظمة والجبروت:

ومن عظمته سبحانه وقوته أن السموات والأرض في يده.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وانظر إلى وصف النبي ﷺ لهذا المشهد العظيم المهيب ليد الجبار (سبحانه).

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ وَقَبْضَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهُمَا وَيَسْطِطُهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ فَأَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟». قَالَ: وَيَمِيلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ تَحَرَّكَ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ سَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟^(٢).

- ليس كمثله شيء في جبروته سبحانه:

قال الأصفهاني: والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة

(١) رواه البخاري (٦٥٢٠). قال مصطفى البغا في تعليقه على الحديث: «خبزة»: قطعة عجينة مخبوزة وهي الرغيف. «يتكفؤها»: يميلها ويقلبها، والمعنى: أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف الكبير يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ من الحساب، والله تعالى قادر على كل شيء، «نزلاً»: أي ضيافة» (١٠٨/٨)

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٧٥)، باب: [ذكر البعث].

من تعالى لا يستحقها وهذا لا يقال إلا على طريق الذم.

- الجبارون هم الخائبون:

كقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

- وهم الأشقياء في الدنيا والآخرة:

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

- وهم المطبوع على قلوبهم:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

- والجبابة ومن اتبعهم هالكون:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [هود: ٥٩-٦٠].

- أما في النار فهذا جزاؤهم:

قال النبي ﷺ: «تحات الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين...»^(١).

وقال النبي ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان،

ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وكل من دعا مع الله إلهاً آخر،

وبالمصورين»^(٢).

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) رواه أحمد (٣٣٦/٢)، والترمذي (٢٦٩٨)، عن أبي هريرة مرفوعاً وإسناده صحيح.

دعاء الله سبحانه باسمه الجبار

- الدعاء بين السجدين:

فكان النبي ﷺ يدعو بين السجدين فيقول: «اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني»^(١).

قال ابن الأثير: «وأجبرني» أي: مثل معنى جبر الله مصيئته، أي: رد عليه ما ذهب وأعاد إليه ما فقد وعوضه، وأصله من جَبَرَ الكسر.

- تعظيم الجبار سبحانه بالدعاء في الصلاة:

فقد كان النبي ﷺ يدعو ربه بالتعظيم والجبروت في قيامه وسجوده وركوعه.

- في القيام:

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صلى مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فسمعه حين كَبَّرَ قال ﷺ: «الله أكبر ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة...»^(٢).

- في الركوع:

كان النبي ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»، ثم سجد بقدر ركوعه يقول في سجوده: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة...»^(٣).

(١) رواه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، والحاكم، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٨٧٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٦٦٠)، باب: [ما يقوله في القيام]، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٧٢٢)، وصححه، والألباني عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت...»، ثم ذكر الحديث».

«الْمُتَكَبِّرُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال ابن سيده: الْكِبَرُ نَقِضُ الصَّغَرِ، وَكَبَّرَ الْأَمْرَ: جَعَلَهُ كَبِيرًا، وَاسْتَكْبَرَهُ رَأَاهُ كَبِيرًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَاهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، أَي: أَعْظَمْنَهُ.

والتكبير: التعظيم والتكبير، والاستكبار: التعظيم.

والكبر: الرفعة في الشرف، والكبرياء: الملك كقوله سبحانه: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٦٨].

والكبرياء أيضًا: العظمة والتجبر^(١).

قال الأصفهاني: «وَالْتَّكَبَّرُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما - أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وُصِفَ اللهُ تعالى بالمتكبر.

قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

والثاني - أن يكون متكلفًا لذلك متشبعًا^(٢) بما لا يستحق؛ وذلك في وصف

عامة الناس نحو:

﴿فَبَسَّ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

وقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

(١) «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٣٩ - ١٤٠)، «لسان العرب» (٥/ ٣٨٠٧ - ٣٨١٠).

(٢) متشبعًا: يدَّعي ما ليس له.

أما الاستكبار: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، ويريد أن يكون كبيراً عظيماً في حين أنه صغيرٌ حقيرٌ وهذا هو حال إبليس.

قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤].

فأراد أن يترفع ويتكبر على آدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال الله (تعالى) في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] ^(١).

والتاء التي في (المتكبر) ليست تاء التعاطي والتكلف، كما يقال: «فلان يتعظم وليس بعظيم، ويتسخرى وليس بسخي»، وإنما هي تاء التفرد والتخصيص.

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال النسفي: «هو البليغ الكبرياء والعظمة» ^(٢).

قال قتادة: «(المتكبر) أي: تكبر عن كل شر» ^(٣).

وقيل: «(المتكبر) هو الذي تكبر عن ظلم عباده» ^(٤).

(١) «مفردات القرآن» للراغب (٦٩٦).

(٢) «تفسير النسفي» (٤/ ٢٤٥).

(٣) رواه الطبراني (٣٧/ ٢٨)، وابن كثير (٤/ ٣٤٣).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٤٨)، و«الاعتقاد» (ص ٥٥).

وقال الخطابي: هو المتعالى عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة^(١).

وقال القرطبي: «(المتكبر) الذي تكبر برؤيته فلا شيء مثله».

وقيل: «(المتكبر) عن كل سوء المُتَعَزِّم عما لا يليق من صفات الحدث والذم».

وقيل: «هو المتكبر عن صفات النقص التي تصيب الخلق، كالضعف، والفقر، والفناء، والموت، والسنة، والنوم».

قال ابن منظور: «الكبرياء والكبر: هي العظمة والتجبر».

وقيل: «هي عبارة عن كمال الذات ولا يوصف بها إلا الله تعالى»^(٢).

وقيل: «(الكبرياء) الترفع عن الانقياد وذلك لا يستحقه غير الله سبحانه».

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١ - إن الله هو الكبير المتكبر في ذاته بالحق؛

فالله سبحانه هو المتكبر بالحق.

فهو الكبير وكل ما دونه صغير، وهو العظيم وكل ما دونه ضئيل وحقير إلا من كرمه الله ورفع شأنه.

فإن الله تعالى كامل الذات متعال الصفات.

(١) «القرطبي» (٤٧/١٨)، و«فتح القدير» (٢٠٨/٥).

(٢) «موسوعة نضرة النعيم» (١١/٥٢-٥٣).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فليس لله شريك في ملكه ولا في خلقه، وليس له معين، ولا ولي.^٦

قَالَ تَعَالَى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾.

[الر حمن: ٢٦-٢٧]

فهو لا يظلم: قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿الكهف: ٤٩﴾.

ولا ينسى: قال تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

ولا ينام: قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

كيف سينظر المؤمنون الى ربهم الكبير فى الجنة!!؟

ورداً الكبرياء على وجهه سبحانه، وانظر إلى هذا الحديث وتأمله جيداً.

في شرح الأسماء الحُسنى

١٤١

قال النبي ﷺ في وصف الجنة: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(١).

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِيَّاكُمْ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«اللهم إنا نعوذ بك من سوء الكبر»:

وهذه طائفة من صفات المتكبرين يردُّون الحق ويحتقرون الناس.

قال النبي ﷺ: «الكبر: بطر الحق وغمط الناس»^(٢).

وبطر الحق: هو دفعه وإنكاره تجبراً، غمط الناس: احتقارهم.

الخيلاء:

قال النبي ﷺ: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء»^(٣).

الإعجاب بالنفس والتبختر:

قال النبي ﷺ: «بينما رجل يتبخر يمشى في بردته قد أعجبتة نفسه فخسف الله به

الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٤).

(١) رواه مسلم (١٨٠)، باب: [رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى]

(٢) رواه مسلم (٩١)، وبطر الحق هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، وغمط الناس: احتقارهم.

(٣) رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥).

(٤) رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) واللفظ له.

الترفع والتعالي:

قال النبي ﷺ: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه^(١) حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم»^(٢).

رفض النصيحة والتعالي عليها:

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً أكل عند الرسول الله ﷺ بشماله، فقال النبي ﷺ: «كل بيمينك». قال: لا أستطيع.

قال: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكبر.
قال: فما رفعها إلى فيه^(٣)، أي: شلَّت يده.

حرصه على قيام الناس له:

قال النبي ﷺ: «من سرّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»^(٤).

الفخر بالأنساب:

قال النبي ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة»^(٥).

(١) يذهب بنفسه: أي يرفع ويتكبر.

(٢) الترمذي (٢٠٠٠) وقال: حديث حسن غريب، والمنذري في «الترغيب» (٣/ ٥٧١)، وقال: رواه الترمذي وقال: حسن، وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٣١٨): الحديث حسن.

(٣) رواه مسلم (٢٠٢١).

(٤) أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٢١٢).

(٥) رواه مسلم (٩٣٤)، باب: [التشديد في النياحة].

وقد تفاخر رجلٌ بسبعة من آبائه فكان معهم فى النار وآخر قد تواضع مع اثنين من آبائه فكان معهم فى الجنة... الحديث».

وتلك عقوبة المتكبرين؛

المتكبرون من أهل النار؛

لقد عظمَ اللهُ تحريم الكبرياء فهو من صفات الله التي لا يصح منازعته فيها وفاعله من أصحاب النار.

قال رسول الله ﷺ: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدًا منهما ألقيته فى جهنم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «احتجَّت النار والجنة فقالت هذه: -أي: النار- يدخلني الجبارون والمتكبرون».

- حرمان المتكبرين من الجنة؛

مثقال ذرة من كبر تمنع دخول جنة عرضها السماوات والأرض.

قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٢).

- حرمانهم من نظر الله إليهم وكلامه وتزكيته لهم؛

فما أشرَّها من عقوبة، وما أوخمها من عاقبة للمستكبرين أن يُحرَموا من ربهم، و سوف يُحجبون عنه.

قال النبي ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شيخ زان، ومملوكٌ كذاب، وعائلٌ مستكبر»^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٦٢٠)، وابن ماجه (٤١٧٤) واللفظ له، وصححه الألباني.

(٢) مسلم (٩١).

(٣) رواه مسلم (١٠٧).

- المتكبر كالذريوم القيامة :

وهذا جزاء من جنس العمل حيث كان المتكبرون يتعالون ويتفاخرون على الناس فاذا بهم يوم القيامة يُجَازون بضد ما كانوا يهونون، ويصبحوا أصغر الناس أحجامًا، ويُدهسون بالأقدام وإذا بهم مهانين من حيث كانوا متكبرين.

قال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ المتكبرون يوم القيامة امثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»^(١).

التعوذ بالله من سوء الكبر:

هذا دعاء كان يدعو به النبي ﷺ في كل ليلة.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال: «أَمْسِينَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ أَنِي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

(الكِبَر): أي كبر السن والهزم والخرف والرد إلى أرذل العمر، الكِبَر: يسكون الباء بمعنى التعاضم على الناس وذكر الخطابي الحديث بالوجهين و صوب الفتح.

(١) الترمذي (٢٤٩٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبغوي في «شرح السنة» (١٣، ١٦٨) وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٣)، باب: [التعوذ من الشر ما عمل ومن شر ما لم يعمل].

«الخالق - الخلاق» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

١- الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء (من غير مثال سابق أو تقليد).
قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]. أي: أبدعهما بدلالة قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

٢- ويُستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو: أنه سبحانه خلق كل الناس من آدم عليه السلام: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، وخلق الإنسان من قطرة ماء: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

واسمه «الخلاق» سبحانه؛ فهو صيغة مبالغة لكثرة وعظمة ما خلق سبحانه وتعالى وأبدع. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وروده في القرآن الكريم:

- ورد اسم «الخالق» سبحانه مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ خَلِيقُ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

- وورد اسمه «الخلاق» سبحانه مرتين.

في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]،
وفي قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

معنى الاسم في حق الله الله خالق كل شيء

فما من شيء فوق السماء، أو تحت الماء، ولا حجر في جبل، ولا حجر في سهل، ولا إنس ولا جان، ولا طائر ولا حيوان، ولا حشرة في جحر، ولا حوت في بحر إلا وهو من خَلَقِ الله سبحانه، ومن صُنِعَ يديه.. تباركت أسماؤه وجلَّت صفاته.

ثم يقول سبحانه في كلمة جامعة مانعة: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَرُ﴾ [الرعد: ١٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَرَبُّهَا، وَمَلِكُهَا، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ وَقَهْرِهِ وَكَلَائَتِهِ»^(١).

- أعرابي يبحث عن خالقه :

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَكَانَ يَعْجَبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ»^(٢).

فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟
قال: «صدق».

قال: فمن خلق السماء؟

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١١).

فلم يخلق الله شيئاً ثم ترك لغيره شيئاً آخر ليخلقهن فلم يخلق الكبير وترك الصغير، بل كله من خلقه، شق أو منحدر، فمنشا الخلق واحد وأصلهم.

(٢) رجل أرسله النبي ﷺ إليهم.

قال: «الله».

قال: فمن خلق الأرض؟

قال: «الله».

قال: فمن نصَّب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟^(١).

قال: «الله».

قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصَّب هذه الجبال، آله

أرسلك؟

قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا.

قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك آله، أمرك بهذا؟

قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟

قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟

قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا؟

قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟

قال: «نعم».

(١) وفي رواية: «ونصب فيها الجبال، وجعل فيها المتافع» رواه النسائي في «سننه» (٢٠٩١)، باب: [وجوب الصيام]، وصححه الألباني.

قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟
قال: «صدق».

قال: ثم ولى، قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن؟
فقال النبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»^(١).

خلق الخلق من العدم:

فلقد أنشأ الله الخلق من لا شيء، أي: أنه سبحانه خلق الخلق والمواد الأولية التي خلّقوا منها أيضاً، فإن الله قد خلق الإنسان من تراب، فمن خلق التراب؟ إنه الله أيضاً.

قال تعالى لنبيه زكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

وكذلك جعل الله سبحانه الأرض كنزاً للحياة، فجعل على الأرض أشجاراً وثماراً وأزهاراً، وبث فيها من المخلوقات ما علمنا منها وما لم نعلم، وجعل خلالها بحاراً، وأنهاراً، وما فيها من خيرات البر والبحر.

كل هذا من الماء، ثم يخبرك بذلك، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥].

فمن خلق الماء إذا؟! إنه الله سبحانه.

وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

(١) رواه مسلم (١٢)، باب: [في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين].

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩].

خلق على غير مثال سابق:

فكل من يصنع ينظر إلى ما صنعه غيره ليقلده ويستفيد منه في تصميمه وتركيبه، وربما أضاف إليه، وطوّره فيه.

وهناك علم يُقال له (علم محاكاة هندسة الطبيعة) يهتم بالنظر إلى المخلوقات من الطيور والأسماك والحشرات، بل والنبات؛ ليستفيدوا منها في صنع الآلات والسيارات والطائرات.

فعلى سبيل المثال:

«في تصميم جسم الطائرات». فقد أخذوا الجناحين والذيل للطائرة من أجنحة الطيور وذيلها، ولكن الجسم قد اخذوه من جسم الدولفين؛ لأنه انسيابي، ومقاومة الماء والهواء له ضعيفة جدًا. وجسم الطائرة الشبح التي لا تظهر على أجهزة الرادار قد اخذوه من جسم الفراشة.

هذا حالهم ولكن خلق الله .. شيء آخر!!

فلقد خلق الله سبحانه خلقه كلهم ولم يكن شيئاً مثلهم من قبلهم قط. فلم يكن قبل السماء سماءً ليواسي رفعها، ولا قبل الأرض أرضٌ ليقلد بسطها، ولا قبل البشر بشرٌ ولا قبل المخلوقات مخلوقات ولا قبل الأحياء أحياء... ليحاكي شكلها وتكوينها.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧].

قال ابن كثير: «أي: خالقهما على غير مثال سبق»^(١).

وقال ابن جرير: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما، ومعنى (المُبدِع): المُنشئ والمُحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحدٌ، وهو بارئ، وخالقه، وموجدُه من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه»^(٢).

- خلق في إتقان وإحسان:

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧].

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

ثم يأمر الخلق أن يبحثوا في السماوات والأرض مُتحدِّين إياهم أن يجدوا عيباً واحداً، أو خللاً حادثاً.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المملك: ٣-٤].

- وهو خلق الخلق وما أنشأوه:

فلقد خلق الله سبحانه الخلق والمصنوعات التي صنعوها.

ربما يقول قائل: «كيف خلقها الله، ونحن الذين صنعناها؟!»

فقد فكرنا فيها بعقولنا؟ وعملناها بأيدينا، وجمّعنا أجزائها بأنفسنا؟

واستخرجنا المواد التي صُنعت منها؟

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩٨) ت. سلامة.

(٢) المصدر السابق.

أقول لك: «من الذي خلق الصانع والمخترع لأي صناعة أو اختراع؟! من الذي خلق العقول، ووهبها التفكير، وهداها لما لم يهد إليه غيرها؟! من الذي خلق الأجساد التي عملت، والأيدي التي صنعت، والمواد التي صنعوا منها تلك المصنوعات؟!

بل من وهب الحياة للمخترعين والصانعين والعمال والموظفين حتى مكّنهم من إتمام ما يصنعون؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

لذلك كله.. ولمن يفكر بهذه الطريقة فإن الله قد قال، وصدق فيما قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

عن حذيفة مرفوعاً، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يصنع كل صانع وصنعه»^(١)، وفي رواية: «إن الله خالق كل صانع وصنعه»^(٢).

ولو أن مُخترعاً أو صانعاً صنع جهازاً لصناعة الملابس أو الإلكترونيات؛ أيكون الجهاز أو الآلة هي الصانعة؟، أم الصانع الحقيقي هو مخترع الآلة ومُشغّلها؟؟؟

أو أن مهندساً اخترع جهازاً للحاسب الآلي؛ ليعمل آلاف العمليات في الدقيقة الواحدة. أيُنسب الفضل للكمبيوتر، أم يُنسب الفضل لمن صنعه أولاً وآخرًا؟!

(١) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٧٣)؛ وهو من أعظم المؤلفات التي تتحدث عن هذا الموضوع.
(٢) رواه الحاكم، وهو مُخَرَّج في «الصحيحة» (١٦٣٧).

ولله المثل الأعلى ..

فالمصنوعات التي تُصنع بأيدي البشر لا يصنعها إلا مخلوق لله سبحانه؛ فهو الذي أعطاه القدرة، وأنشأ له الفكرة، ووهبه الحياة، حتى المواد الخام (كالحديد، والمعادن، ...) هو الذي خلقها وهدها لها، وعلمه كيف يستخدمها.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۖ﴾ [الأعلى: ٢-٣].

- سهولة الخلق وهوانه على الله سبحانه :

كل شيء أَرَادَهُ الله سبحانه يفعلُه بل يأمر بحدوثه فيحدث بحرفين اثنين يقولهما سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. هما (ك ، ن).

قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿[يس: ٨١-٨٢].

قال ابن كثير: «أي: يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار».

وكما قال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له «كن» قوله، فيكون^(١)

- خلق الخلق وما يحتاجون إليه :

لَمَّا خَلَقَ اللهُ خَلْقَهُ؛ لم يتركهم للبحث عن أسباب حياتهم، أو لاختراع ما يحتاجون من أقواتهم، ولكنه سبحانه خلق لهم كل ما يحتاجون إليه أولاً، ووضع لهم في الأرض؛ حيث محياهم ومعاشهم، ثم علمهم كيف يستثمرونها.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

(١) «تفسير ابن كثير» (٥٩٦/٦) ت. سلامة.

فَسَوَّيْنَهُنَّ سَوَّيَاتٍ مِّمَّا سَمَوَاتٍ ﴿البقرة: ٢٩﴾، فخلقهم وخلق لهم ما يحتاجون إليه، ولم يُكَلِّفهم خلق أنفسهم، ولا خلق أرزاقهم.

وقال تعالى على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]

- خلق الله بإعجاز وتحدٍ:

وهذه صفة لله سبحانه في خلقه؛ حيث لا مجال لتقليد ما خلق، ولا محاكاة ما صنع، وأن كل المحاولات في ذلك محاولات فاشلة وميتة قبل ولايتها للناس أكثر فشلاً لأنهم لم يعرفوا خالقهم ولم يهتدوا لبارئهم. ولقد تحدى الله سبحانه كل الناس في أصغر الأشياء؛ كالحبة والذرة، فقال عَزَّوَجَلَّ: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة»^(١).

هؤلاء المساكين لا يملكون إلا الرسم أو التصوير لصور صمَّاء لا روح فيها.

مَنْ يَخْلُقُ حَبَّةً أَوْ ذَرَّةً؟

قال تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة»^(٢)، وفي رواية: «... فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة»^(٣).

قال النبي ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يُعَذَّبون يوم القيامة، ويُقال لهم: أحيوا ما

(١) رواه البخاري (٥٩٥٣)، باب: [نقض الصور].

(٢) سبق تخرجه.

(٣) رواه البخاري (٧٥٥٩).

«خَلَقْتُمْ»^(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَدْكُورًا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

الكون كتابٌ والكائنات حروف

الكون كتابٌ والكائنات حروف، والقدرة أقلام، والقارئ أميٌّ، وعنوان الدرس ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

✍ اقرأ القدرة في الشمس الساطعة، والنجوم اللامعة تجدها في الخمائل والجداول والسنابل، في الساقية والغدير، في الماء النмир، في الضياء و في الظلماء، في الورقة والبرقة.

✍ الطيور الصادحة، الأنهار السارحة، الماء والهواء، والسنا تدعوك للعبودية.

✍ القمر بهالته وطلعته الرضية في هيبتة وصمته، في سكون مشيه وارتفاع محله وسمو مكانه وجمال منظره، آية لكل ذي عقل على حسن خلق أحسن الخالقين.

✍ الجبال رافعة رؤوسها، مثبتة أقدامها، ساكنة في عظمة، مرتفعة في عنفوان، جاثمة في قوة آية على تفرده ووحدانيتها.

✍ انظر إلى الشمس كيف أبدع سناها، وسيرها إلى منتهاها، وبلغها مداها، وزين القمر وحسن طلعه، وبث نوره وحسن زينته، وبث النجوم ما بين منظوم ومنتثور، وراعى لك الجمال لنظرة عينك وإحساس نفسك، فجعل

(١) رواه البخاري (٧٥٥٧).

النجوم كالفضة الماثورة على ثوبٍ أسود، ثم قال لك:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ [الحجر: ١٦].

إحسان الخلق يدل على جمال الخالق سبحانه:

إحسانه في الخلق يدل على جماله، وعظمة الكون تدل على جلاله، وكثرة الرزق تدل على غناه.

وكيف يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل!!!

٦ - لم يتعب في خلقه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا

مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

ثم تحدّاهم الله سبحانه بشيء من أصغر مخلوقاته في نظرهم، وأقلهم شأنًا في حياتهم وهو «الذباب»، فلن يخلقه أحدٌ من المعبودات المعظّمات في نفوسهم، ولا يستطيعون.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ

وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣].

من آثار الإيمان باسم الله الخالق سبحانه:

أداء حق الله على خلقه:

وحق الله على خلقه هو العبادة، وتلك هي الغاية من الخلق، فكما أنك لم

تُخلَقَ بنفسك، فإنك لم تَخْلُقِ لنفسك.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليعرفوني فيحبوني، فيعبدوني.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورد في بعض الكتب الإلهية: «يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبنى تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء»^(١).

وقال الله سبحانه لخلقه كلاماً عظيماً يفهمه كل عاقل، وتحدث إليهم حديثاً سهلاً يقبله كل منصف.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].
توحيد الخالق فطرة العقلاء والحنفاء:

فهذه الفطرة قد عرفها العقلاء في كل مكان، وهذه العقيدة قد اهتدى إليها الحنفاء في كل زمان.

بما أن الله هو الخالق وحده فلا بد أن يُعبد وحده!!

فلقد اهتدى إليها زيد بن عمرو بن نُفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد من الأحناف الوحدين قبل بعثة النبي ﷺ، وكان يرى المشركين يذبحون لغير الله وهو خالقهم، ويعبدون غيره وهو رازقهم فينكر عليهم... وكان يقول لهم: «إني لست أكل مما تذبحون

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٦) ت سلامة.

على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه»^(١).

وكان يعيب على قريش ذبائهم -ويعلل ذلك بقوله-: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله»^(٢). إنكاراً لذلك، وتعظيمًا له^(٣).

الشرك بالخالق هو أعظم الذنوب؛

تلك هي الموازين المقلوبة، والمفاهيم المغلوطة، وعنوان الفطر المتكسة. إنه الشرك، وأبرز علامة لفساد العقول وضعفها أن يُعبد العبد المخلوق ويُترك الخالق، ويُرجى المرزوق ويُنسى الرزاق.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألت النبي ﷺ: أي الذنوب أعظم عند الله؟، قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»، قلت: إن ذلك عظيم»^(٤).

٨- أفمن يخلق كمن لا يخلق؟!!

فإن كانت الآلهة المعبودة في القديم كاللادة، والعزى، ومناة عند مُشركي العرب، أو فينوس، وأتلانتك، وأوليمبك، وكيوبيد عند اليونان، أو بوذا لدى عباد بوذا في الصين والهند واليابان وغيرها من بلاد آسيا، أو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لدى من

(١) رواه البخاري (٣٨٢٦)، باب: [حديث زيد بن عمر بن نفيل - (عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)].

(٢) المصدر السابق. «إنكاراً لذلك» أي: منكرًا عليهم فعل ذلك، «إعظامًا له» أي: الله تعالى خالقها.

(٣) رواه الحاكم في (المستدرک) (٤٩٥٦)، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم.

(٤) رواه البخاري (٤٤٧٧)، باب: [قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾]، ومسلم (١٤١)، باب: [كون الشرك أقبح الذنوب]، وللحديث بقية وهي: (... قلت: ثم أي؟، قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يُطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تُزاني حليلة جارك»).

❖ أنصابكم: «جمع نُصَب»، وهو كل ما نُصب وعُظم من دون الله عَزَّجَلْ؛ وقيل: هي حجارة كانت حول الكعبة يذبحون عليها الأصنام.

يعبدونه من مُشركي النصارى وغيرهم، لم يخلق أحدٌ منهم شيئاً ولو مثقال ذرة، بل هم مخلوقون، ولا يملك أحدٌ منهم لنفسه، ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً؛ لأنهم ضعفاء فقراء مخلوقون بل ميتون.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتُ عَذْرَٰئِمْ أَحْيَاءُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُوراً ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

٩- خلق لغير حاجة، لما يخلق؟!!

فكل من يخلق شيئاً يصنعه يحتاج إليه.

أما الله (سبحانه) فلم يخلق شيئاً لحاجة إليه، أو رغبة لمعونة منه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

ثم هدى..

✍ فإن الرب سبحانه لم يخلق الخلق سدى، ولذلك أرشدهم سُبُل الهدى،

✍ فيسّر كل مخلوق لما خُلق له، وأَهَّلَهُ لأداء المِراد منه،

✍ فجعل للطائر جناحين يطير بهما في الهواء،

✍ وجعل للسّمك زعانف يسبح بها في الماء،

✍ وجعل للدواب قوائم تجري بها في البيداء،

✍ وجعل للنجوم أفلاكاً تسرح بها في الفضاء،

﴿ وجعل من الشمس سراجاً للحرارة والضياء. ﴾

قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝﴾ [الأعلى: ١-٣].

هو الذي دلَّ الحمامة أن تبني عشَّها، والحُمرة أن تُشيد وكرها، والعنكبوت أن تنسج بيتها، والنملة أن تُهيء مسكنها، والضب أن يحفر جُحره، والوحش أن يُعمّر كناسه، والأسد أن يبني عرينه.

مَنْ عَلَّمَ النَّمْلَةَ أَنْ	تُشِيدَ جُحْرًا فِي التُّرَابِ!!
مَنْ عَلَّمَ النَّحْلَةَ أَنْ	تَنْسِجَ بَيْتًا مِنْ لُعَابٍ
مَنْ عَلَّمَ الْعُصْفُورَ أَنْ	يَنْظُمَ عِشًّا فِي الْهَضَابِ
ذَاكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَبْدَعَ	فِي الْخَلْقِ الْعَجَابِ

ما غرَّكَ بربك الكريم:

لقد خلقتك الله ورزقك، وأحياك وحبأك، وإذا مرضت شفاك، وعلمك ما لم تكن تعلم، وعرفك ما كنت تجهل وأنامك وأيقظك، وحسَّنَ خلقك، وهَيَّأَ رِزْقَكَ، وسخر لك الشمس والقمر، وحملك في البر والبحر، وأعطاك ما لم يعطك أحد أو يدعي -ولو كذبًا- أنه قد أعطاك شيئاً منه، ثم أرسل لك رسولا وأنزل لك كتاباً ويسَّرَ لك منهاجاً ليدلك عليه سبحانه..

وبعد ذلك تقول: أين الله!!

بل أين أنت يا مسكين!!

أوجدك من عدم ثم شككت في وجوده.

وأعطاك بلا حق لك عنده ثم أنكرت حقوقه.

وحباك بلا معروف لك لديه، ثم جحدت معروفه.

وقد كساك بنعمه من مشاش رأسك إلى أخمص قدميك وقد غمرتك إحسانه
وجميل عطائه.

فهل شكرت؟!

هل آمنت؟!

هل أطعت؟!

هل عبت؟!

ثم قال لك: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿[الانفطار]﴾.

كان ابن عباس إذا سمع هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ يبكي
ويقول: غرني بك جهلي يا رب.

أمم لا تعرف ربها..

فقد أغوى الشيطان أممًا حتى نسوا ربهم، وأضلَّ عقولًا حتى جحدوا
خالقهم وهذه أمثلة لهم.

يقول راجيف غاندي حفيد الزعيم الهندي المعروف غاندي: «أمي البقرة أحبُّ إليَّ من أمي
التي ولدتني؛ لأن البقرة تُعطيني اللبن ولا تطلب مني شيئًا، ولكن أمي إذا أَرْضَعَتْنِي
طلبت مني أشياء».

والسؤال: من الذي ولدته منهما؟ البقرة أم أمه؟!!

ومن الذي خلقه وهو في بطن أمه؟ أكان للبقرة في ذلك دخل؟!! أو كان لها

في النعم التي تغمره فضل؟!

وهل البقرة صنعت هذا اللبن؟ أم هو مصنوع بداخلها؟

وهل هي خلقتها؟ أم هو مخلوقٌ مثلها؟

بل الفضل و الخلق كله لله..

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: ٧١-٧٥].

الشيوعية الخاسرة:

إنها الشيوعية الخاسرة أرض بلا سماء ويوم بلا غد وعمل بلا خاتمة وسعي بلا نتيجة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]
[الزيّات في مجلة الرسالة]

✍ الشيوعيون الذين كانوا يقولون: نكفر بثلاثة، و نؤمن بثلاثة:

✍ نكفر بالله والدين والملكية الخاصة.

✍ ونؤمن بلينين وستالين والاشتراكية (الملكية العامة).

أما (لينين)..

الذي قال: «سوف أسلط الجوع على المسلمين حتى أنهم لن ينسوا فقط دينهم بل سينسوا حتى ربهم»..

النهاية.. سُلط عليه الجنون والهديان حتى كانوا يوثقونه في كرسيه المتحرك؛ لأنه كان يتبرز ويأكل برازه!!

وأما (ستالين)..

فقد عذب وقتل ملايين من المسلمين، وقتل كل من يدعو إلى التوحيد وعذب وأهان كل من قال: «إن للكون خالقاً».

النهاية.. سُلِّطَ عليه مَنْ وضع له السم في الطعام وظل أياماً يتألم ويطلب الموت ولا يجده!!

ثم قال من قتلوه: ها هو الآن يموت كما تموت الكلاب الضالة في الطرقات!!

أما عن الملحدين ونظرياتهم:

فها هو (داروين)..

صاحب نظرية النشأة والتطور، النظرية التي أنكر فيها الخالق والذي قال إن الكون جاء صدفة وأن الطبيعة هي التي تفرز الخلق، وما الحياة إلا أرحام تدفع وقبور تبلع، وأن الإنسان أصله قرذٌ ولكنه تطور حتى أصبح إنساناً.

كان يسمع ويبصر، لكنه كفر بالسميع البصير الذي أعطاه السمع والبصر والعقل والتفكير، وفكر في كل شيء إلا ربه وأثبت كل مخلوق وأنكر خالقه

النهاية.. بعد نظريته هذه بعدة أشهر فقط سُلِّطَ عليه حشرة تسمى الباناتوشكا تبولت على جسده فأصابته الهلوسة والغثيان بل والكآبة لعشرات السنين حتى قتلته... ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

قال بعض الباحثين في مأساة داروين وموته: مؤسف أن الذي حنط الحيوانات واحتفظ بها إلى يومنا هذا لم يوجد منه عضوٌ محفوظ ليعرفوا كيف موته!!

إذ إن الرجل الذي حكم على الخلق بنشأتهم لم يعرف كيف نشأ مرضه!!
والذي جزم بنظرية التطور لم يدري كيف تطورت حياته حتى أصبحت
جحيماً لا يستطيع فيه النوم ولا الأكل ولا حتى النظر إلى الطبيعة التي كفر
بخالقها، ولم يستطع استخدام دواء نبت في أرض بسطها الله ودحاها.
وتراهم في غاية الجرأة وهم يقولون: منذ خمسين مليون سنة كان للكون
صفات كذا وكذا، ومنذ عشرين مليون من السنين كانت نشأة النبات أو الحيوان
وحتى الإنسان بطريقة كذا..
فهذا المشهد لم يشهده وهذا الموقف لم يحضروه ويجعلون أعينهم ترى
مالم تر.

وقد رد الله عليهم بكلمة واحدة تبطل مزاعمهم كلها فقال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾ [الكهف: ٥١].
ولقد أسلم عمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما رأى الصنم الذي كان يعبد
يتبول عليه الثعلب، فقال: لو كان إلهاً ما فعل به هكذا!!!
وقال:

أربُّ يبول الثعلبان برأسه؟؟ ذُلُّ من بالت عليه الثعلبُ

فهل يسلم من يعلم عجز داروين وفشله وجنونه؟

أما عن الملحداً الأكبر في عالم البشر فقد قال: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].
هكذا سأل فرعون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال موسى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

لقد سمع فرعون لتوّه كلمة لم يتوقعها، وثقلت عليه معانيها فلم يطقها، فاحتاج لمن يواسيه في صدمته، ويُعينه في محنته، فاستعان بملاؤه ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة سارع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بإطلاق سهام الحق على الجميع، وصبّ طوفان التوحيد فوق رؤوسهم: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦].

فانتقل فرعون من اتهام القضية وإنكارها إلى اتهام صاحبها وحامل لوائها. قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

فردّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الحجر إلى راميهِ، والسهم إلى باريهِ وهو يرشدهم إلى وظائف العقول السليمة، والفطر المستقيمة في الاهتداء لخالقها، فإن كان هناك عقل فليكن زادكم إلى معرفة ربكم: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

الآن.. هناك فريقان يختصمان، موسى ومعه ربّه سبحانه يوجهه وينصره هو والذين آمنوا معه.

وفرعون ومعه قوة تُطغيهِ، وملاؤهم يمالؤهُ ويُلْهِيه، وجنود وأسلحة تُغرّهُ وتعميه، وكما عمى عن الحق في الأولى، عمى عن هلاكه في الآخرة.

النهاية.. سُلط على نفسه فذهب إلى عذابه، واقتحم نهايته برجله

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾
[النازعات: ٢٣-٢٦].

ثم جعله الله عبرة لمن خلفه ومثلا لكل الفراعين من بعده فقال سبحانه
لفرعون يوم هلاكه: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَن خَلَفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ
آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

* * *

«الْبَارِيءُ» سُبحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال الأصفهاني:

أصل البرء والبراءة والتبري: التقصي - (أي البعد والإنفصال) - مما يكره مجاورته، ولذلك قيل:

برأت من المرض، وتبرئت من فلان، وتبرأت، وأبرأته من كذا، وبرأته، ورجل برئ، وقوم برآء، وبريئون، برأ من الدين، وأبرأك الله منه، وبرراك: أي جعلك بريئاً.

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١].

وقال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

والْبَارِيءُ خُصَّ بوصف الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، والبرية: الخلق: وسميت برية لكونها بريئة من التبري: أي: التراب، بدلالة قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [غافر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]^(١).

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (١٢١-١٢٢).

برأ الله الخلق - يبرأ.. خلقهم على غير مثال، ومنه البرأى في أسمائه تعالى: قال في (النهاية) هو الذي خلق الخلق لا عن مثال.

والتبرأ بالفتح أول ليلة من الشهر سميت بذلك لتبروء القمر من الشمس، وبارئت شريكى: إذا فارقت^(١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم البرأى مرة واحدة في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَرِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

المعنى في حق الله تعالى:

قال ابن جرير: «البرأى» الذي يبرأ الخلق فأوجدهم بقدرته^(٢).

قال الزجاج: «البرأى» يقال برأ الله الخلق فهو يبرؤهم برأ: إذا فطرهم.

والتبرء من تبرئة الشيء من الشيء من قولهم برأ فلان من المرض، وتبرئت من الدين، أبرأ منه، فبعض الخلق إذا فصل من بعض سُمى فاعله بارئاً^(٣).

قال الخطابي: «البرأى» هو الخالق، ثم قال: إلا أن لهذه اللفظة الاختصاص بالحيوان - أي: الأحياء ذوي الأرواح - ما ليس لها بغيره من الخلق، وقلما يُستعمل في خلق السموات والأرض.

والبرء أخص من الخلق وللأول اختصاص بخلق الحيوان، وقلما يُستعمل

(١) «العباب الزاخر» (٣/١).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٣٨/٢٨).

(٣) «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٢٧).

في غيره كبراً الله النَّسَمَةَ وخلق السموات والأرض^(١).

وقال علي رضي الله عنه في قسَمِهِ: «لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة»^(٢).

قال الخليلي: «البارىء» يحتمل معنيين:

أحدهما: «الموجد» لما كان في معلومه من أصناف الخلائق، وهذا هو الذي يشير إليه عز وجل بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

والآخر: «البارىء»: أي هو الذي أبدع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء ثم خلق منها الأجسام المختلفة كما قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، وقال سبحانه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٣) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿[الرحمن: ١٤-١٥]^(٣).

ويمكن أن نلخص القول في معنى «البارىء» سبحانه على وجوه، منها^(٤):

١- أن «البارىء» يدل على أنه تعالى خلق الإنسان من التراب كما قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥]، وأن أصله من التبرى وهو التراب.

٢- «البارىء» هو الذي فصل بعض الخلق عن بعض أي: ميز بعضه عن بعض، وأن أصله من البرء الذي هو القطع والفصل.

(١) «تاج العروس» (١/ ١٤٥) باب: برأ.

(٢) رواه البخاري (٣٠٤٧)، باب: [فكالك الأسير].

(٣) «المنهاج» (١/ ١٩٢-١٩٣)، وانظر «النهج الأسمى» (١/ ١٦٦).

(٤) «النهج الأسمى» (١/ ١٦٦).

٣- هناك معنى ذكره الزمخشري فقال: «البارى» هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت كما قال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: خلقهم خلقاً مستوياً ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب ولا خلل، أبرياء من ذلك كله.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١ - عظمة البارئ سبحانه في خلق الإنسان :

إذ خلق الله الإنسان وبرأه من طين..

فقد برأ الله في الإنسان وجهاً جميلاً، وفيه أذانان تسمعان وتميزان القريب من البعيد، وعينان تبصران وبهما ما شاء الله من ألوان وأعصاب وخلايا للإبصار وتميز الألوان والأشكال، ولسان ينطق ويتذوق، وعقل يفهم ويميز ويرسل إشارات وأوامره إلى أعضاء تطيع أوامره بانسجام وتناغم في أقل من جزء من الثانية الواحدة، وكل هذا خلال عروق وأعصاب تصل أعدادها إلى مئات الآلاف وفوق ذلك كله قلب يشعر ويحب ويبغض وينشرح وينقبض بل ويؤمن بخالقه سبحانه.

كل ذلك أبرأه الله من التبرى (أي: التراب).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿ [المؤمنون: ١٢-١٤].

٢- التواضع:

فإنه من خلق من تراب وسيتحول هو نفسه إلى تراب لا يصح الفخر ولا الكبر ولا التعالي.

قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التين»^(١).

قال شاعر:

يا ابن التراب ومأكل التراب غداً أقصر فإنك مأكول ومشروب

٣- كل ما قدر الله أن يكون فسيكون:

لأنه سبحانه هو البارئ الذي يخرج الخلق من القدر المكتوب إلى الحدوث، ومن الغيب إلى الشهادة.

قال النبي ﷺ: «ما كتب الله خلق نَسَمَةٍ هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون»^(٢).

٤- (كل ما خبيء فسيظهر وكل ما قدر فسيحدث):

فإن الله سبحانه قدر الأرزاق أولاً، ثم أبرأها ثانياً، فما قدر لك سيأتيك، وما خبياً لك فسوف يبرئه الله لك ويظهره عندما يريد، وما أصابك فلا مفر منه فلا تحزن.

(١) رواه أبو داود (٥١١٦)، وحسنه الألباني «صحيح أبي داود» (٤٢٦٩)، والترمذي (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه مسلم (١٤٣٨)، باب: [حكم العزل]، وفيه أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يعزلوا -أي: يحاولوا منع النساء من الحمل عند الجماع-، فقال النبي ﷺ: «لا عليكم أن لا تفعلوا...». وذكر الحديث.

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ [الحديد: ٢٢-٢٣].

سُئِلَ الحسن البصري عن هذه الآية، فقال: «سبحان الله! ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسيمة»^(١).

وقال النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة...»^(٢).

قال عكرمة: «ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً»^(٣).

ما قدر الله لك من رزق فستأخذه:

وقال النبي ﷺ: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٤).

٥- الباريء هو الذي يبرئ الأشياء بعضها من بعض:

- فهو الذي يبرئ الجنين من بطن أمه فيخرجه طفلاً.

(١) «تفسير ابن كثير» (٢٩/٨) تفسير [الآية ٢٢] من سورة الحديد.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢٧/٨).

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٩٤).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

- وهو الذي يُبرئ المظلوم من تهمة.

قال تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾. [الأحزاب: ٦٩]

- وهو الذي يُبرئ البدن من المرض فيُشفى.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

- ولا يُبرئ مريضاً إلا الباري سبحانه.

قال النبي ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أُصيب دواء برأ بإذن الله عز وجل»^(١).

وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

[آل عمران: ٤٩]

فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟^(٢).

إنما هو الباري سبحانه وتعالى الذي يبرئهم بإذنه سبحانه.

وبرأ الثمرة من الشجرة وأخرج الحي من الميت وأخرج الميت من الحي.

قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

(١) رواه مسلم (٢٢٠٤)، باب: [لكل داء دواء واستحباب التداوي].

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٥) في [الآية ٤٩] من سورة آل عمران.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

وقد تبرأ الله ورسوله ﷺ من المشركين:

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

وأمر بالتبرؤ منهم:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

إبراهيم عليه السلام يتبرأ من أبيه لكفره:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

ثم أمر الله المؤمنين باتباع إبراهيم (عليه السلام) ومن مثله:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهو الذي برأ أمنا عائشة رضي الله عنها مما افتراه عليها المنافقون والمجرمون في حادثة الإفك فأنزل الله برأتها:

قال تعالى: ﴿الْحَيْثُ لَلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوكِ لِلْخَيْثِيتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

أي: ما كان الله ليَجْعَلَ عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة؛ لأنه

أَطِيبُ مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَوْ كَانَتْ خَبِيثَةً لَمَا صَلَحَتْ لَهُ، لَا شَرَّعًا وَلَا قَدَرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أَي: هُمْ بَعْدَاءَ عَمَّا يَقُولُهُ أَهْلُ الْإِلَافِ وَالْعُدُوانِ، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أَي: بِسَبَبِ مَا قِيلَ فِيهِمْ مِنَ الْكَذِبِ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أَي: عِنْدَ اللَّهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَفِيهِ وَعْدٌ بِأَنْ تَكُونَ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ (١).

وتروي أمنا الكريمة الطاهرة ما لاقته وعانته في ذلك ولم يستطع أحد أن يبرئها إلا الله وحده فتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سمعت ما يتهمها به المنافقون والمجرمون:

قَالَتْ: «فَبِتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، ... وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذَا اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذْنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدْتُ قَالَتْ: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحَسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَحِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [ص: ١٧٦] فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣٤/٦) في [الآية ٢٦] من سورة النور.

قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَّةُ حَدِيثَةِ السَّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرْتُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيَّةٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيَّةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ لَتُصَدِّقَنِي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيدٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَا أَنَا أَحَقُّرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَأَكَ اللَّهُ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الآيَاتِ....)^(١).

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)

«المصور» سُبحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الصورة: ما ينتقش به الأعيان، ويتميز بها عن غيرها وذلك ضربان؛ أحدهما: محسوس يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحصان بالمعانية.

الثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والرؤية والمعاني التي اختص بها شيء بشيء، كما قال تعالى: ﴿صَوَّرْنَكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] ^(١).

قال الزجاج: المصور هو مفعّل من الصورة وهو تعالى مصوّر كل صورة لا على مثال احتذاه، ولا رسم ارتسمه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ^(٢).

قال أبو القاسم الزجاجي: المصور اسم الفاعل من صوّر يُصوّر إذا فعل الصورة والمصدر التصوير، والصورة: شخص الشيء وهيئته من طول وعرض وكبر وصغر وما اتصل بذلك وتعلّق به مما يكمله فيرى مصوراً، فالله عزّ وجلّ مصوّر الصور وخالقها ^(٣).

الدليل الشرعي:

جاء في القرآن الكريم مرة واحدة:

(١) «تفسير الأسماء» ص (٣٧).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٤٩٧).

(٣) «اشتقاق الأسماء» ص (٢٤٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

المعنى الشرعي في حق الله تعالى:

قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]؛ أي: الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفطار: ٨]، ولهذا قال: «المصوِّر» أي الذي ينفذ ما يريد إيجاداً على الصفة التي يريد^(١).

قال ابن جرير: المصور خلقه كيف شاء وكيف يشاء.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَقَدَلَكَ﴾ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ [الأنفطار: ٧-٨]، أي: صرّفك وأمالك إلى أي صورة شاء إما إلى صورة حسنة وإما إلى غير ذلك^(٢).

قال الخطابي: «المصوِّر» هو الذي أنشأ الخلق على صور مختلفة ليتعارفوا بها فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: التصوِّر التخطيط والتشكيل، ثم قال: وخلق الله - جل وتعالى - الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خَلَقَ: جعله علقة ثم مضغة ثم جعلها صورة وهو التشكيل الذي به يكون ذا صورة وهيئة يعرف بها ويتميز بها عن غيره بسماتها: ﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٢).

(٢) «الطبري» (٢٨/ ٣٧)، (٣٠/ ٥٥) نقلاً عن كتاب «النهج الأسنى» (٢/ ١٦٨).

(٣) «شأن الدعاء» ص (٥١-٥٢) و«فتح القدير» (٥/ ٢٠٨) و«الاعتقاد» للبيهقي ص (٥٦).

من آثار الإيمان باسم الله «المصور» سبحانه

إن الله عزَّ وجلَّ هو المصور وحده لكل خلقه :

قَالَ تَجَالَى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [عَاقِر: ٦٤].

وقَالَ تَجَالَى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: ٣].

صور الإنسان هي أحسن الصور في الخلق :

قَالَ تَجَالَى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤].

قال ابن كثير: إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، فنصب القامة وسوى الأعضاء وحسنها.

تكريم ما صورّه الله والنهي عن إهانتة بالضرب والشتم :

عن أبي رَحْمَةَ اللَّهِ عَنْهُ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ، وَلَا يَقُولُ قَبْحَ اللَّهِ وَجْهَكَ، وَوَجْهَهُ مَنْ يُشَبِّهُ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(١).

وفي رواية: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(٢) طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا...»^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٥١٢).

(٢) قال ابن حجر في «الفتح» (٣/١١) في قوله: «على صورته» وقد اختلف إلى ماذا يعود الضمير؟ فقيل: إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات. وقال أيضًا (٥/١٨٣) والأكثر على أن الضمير يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها، ثم ذكر رأي من أعاد الضمير على الله سبحانه وأدلتته ثم قال: «فتقرر إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن سبحانه».

(٣) البخاري (٦٢٢٧).

قال النووي: قال العلماء: إنما نهى عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه فيخشى من ضربه أن تبطل أو تشوه كلها أو بعضها.

لا تقبح الوجه الذي صورته الله سبحانه: لا تقل: قبح الله وجهك ووجه أشبه وجهك...

روي أن لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان رجلاً أسمر وقد عابه رجلٌ في وجهه، فقال له لقمان: «أتعيب على النقش أم على النقاش».

الوعيد لمن أراد أن يخلق كخلق الله :

أشد الناس عذاباً المصوِّرون:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(١).

أظلم الناس من ذهب يخلق كخلق الله:

«أظلم الناس هم المصوِّرون»؛ عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يُخَلِّقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»^(٢).

يقال للمصوِّرين أحيوا ما خلقتم:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠).

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩).

يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ^(١)، وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وَيُكَلَّفُوا بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا صُورُهُ:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»^(٣).

لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَصُورَ:

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه اشترى غلامًا حجامًا فقال: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدِّمِّ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكَلَهُ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْمَصُورَ»^(٤).

لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ:

عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَصَاوِيرُ»^(٥).

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا لَمْ يَدْخُلْ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا اشْتَرَتْ ثُمُرَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَقُلْتُ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا أَذْنَبْتُ، قَالَ: «مَا هَذِهِ الثُّمُرَةُ؟» قُلْتُ: لِيَتَجَلَّسَ

(١) رواه البخاري (٥٩٥١، ٧٥٥٨).

(٢) رواه البخاري (٧٩٥٧).

(٣) رواه البخاري (٥٩٦٣).

(٤) رواه البخاري (٥٩٦٢).

(٥) رواه البخاري (٥٩٤٩) باب التّصاوير.

عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ»^(١).

وهذا حكم استعمال الصور:

قال ابن حجر في (الفتح) في قوله ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ» وتقديمه لها إنما قدمها اهتماماً بالزجر عن اتخاذ الصور؛ لأن التوعد إذا حصل لصانعها فهو حاصل لمستعملها؛ لأنها لا تُصنع إلا لتُستعمل فالصانع متسبب، والمستعمل مباشر فيكون أولى بالوعيد، ويُستفاد منه أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة منسوجة خلافاً لمن استثنى النسيج وقال: إنه ليس بتصوير^(٢).

أول عبادة لغير الله كان سببها الصور:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت^(٣).

قال ابن جرير: فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى

(١) رواه البخاري (٥٩٥٧)، المنقرة: رويت بضم النون وفتحها وكسرهما، وهي الوسادة التي يجلس عليها وجمعها «نهارق».

(٢) انظر «فتح الباري» (١٠/ ٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠).

العبادة فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقطون المطر فعبدوهم^(١).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم^(٢).

هم شرار الخلق:

وشرك اليهود والنصارى أيضًا كان سببه الصور:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَقَالَتْ: «أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فهو لاء جمعوا بين الفتنين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل^(٤).

وكفار قريش كذلك كانوا يعبدون الصور:

لما فتح رسول الله مكة ودخل الكعبة وجد فيها صورًا من تماثيل وصور صوّروها لإبراهيم وإسماعيل ومريم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم، وصورة مريم، فقال ﷺ: «أَمَا هُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا

(١) تفسير الطبراني (٩٨/٢٩).

(٢) «إغاثة اللهفان» (٢٠٣/١).

(٣) رواه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨)، ومسلم (٥٢٨) وغيرهما.

(٤) «إغاثة اللهفان» (٢٠٣/١).

إِبْرَاهِيمَ مُصَوَّرَ فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ»^(١).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى الصُّورَ فِي الْبَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا فَمُحِيتَ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِأَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامَ فَقَالَ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا اسْتَقْسَمَا بِالْأَزْلَامِ قَطُّ»^(٢).

كراهة الصلاة في ثياب فيها صور أو أمامها :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ قَرَامٌ لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَمِيطِي عَنِّي؛ فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ لِي فِي صَلَاتِي»^(٣).

تعرض لي: أي أنظر إليها فتشغلني.

وفي الفتح: إِنْ الصُّورُ إِذَا كَانَتْ تُثْلِيهِ الْمَصْلِي وَهِيَ مُقَابِلُهُ فَكَذَا ثَلْيِهِ وَهُوَ لَا بَسْهَ بَلْ حَالَةُ اللَّبَسِ أَشَدَّ^(٤).

إتلاف الصورة ونقضها :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِبٌ إِلَّا نَقَضَهُ، وَفِي رَوَايَةِ الْكَشْمِيهَنِيِّ: «تصاوير» بدل «تصاليب»^(٥).

قال ابن بطال: فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَنْقُضُ الصُّورَةَ سِوَاءَ

(١) رواه البخاري (٣٣٥١).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٢). وقوله ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ»: أي المشرِكِينَ الَّذِينَ صَوَّرُوا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْكَعْبَةِ يَسْتَقْسِمَانِ بِالْأَزْلَامِ، تَضْلِيلًا لِلنَّاسِ.

(٣) رواه البخاري (٥٩٥٩).

(٤) انظر «فتح الباري» (١٠/٣٩١).

(٥) رواه البخاري (٥٩٥٢)، وانظر «فتح الباري» (١٠/٣٨٥).

كانت مما له ظل أم لا، وسواء كانت مما توطأ أم لا، سواء في الثياب وفي الحيطان وفي الفراش والأوراق وغيرها^(١).

قال ابن حجر: والذي يظهر أن البخاري استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي تشترك مع الصليب في المعنى وهو عبادتهما من دون الله^(٢).

لا ينظر الله إلى صور الناس:

إن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٣).

فمن نظر إلى صور الناس فقط لا يدري ما ستر عنه في قلوبهم، ومن أعجب بظواهرهم لا يعلم ما في نفوسهم فكم من صورة جميلة كان لها قلب شيطان، وكم من وجه حسن كان له قلب ذئب، وكم من أشعث أغبر مطرود بالأبواب وهو عند الله من أصحاب الدرجات العلى.

هو لا يحسن الله صورتهم بطاعته:

«آدم» أجمل البشر: قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم بيده»^(٤).

وجه النبي ﷺ أحسن من القمر: عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر وعليه حلة

(١) «الفتح» (١٠/٣٨٥).

(٢) نفسه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

حمراء فإذا هو عندي أحسن من القمر^(١).

هو لاء غر محجلين: عن أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ....»^(٢).

أهل الجنة على صورة آدم عَلَيْهِ السَّلَام: قال النبي ﷺ في أهل الجنة: «... وَأَزْوَاجُهُمُ الْخُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(٣).
بيض الوجوه:

عن صهيب رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ»^(٤).

أول زمرة على صورة القمر ومن بعدهم كالكوكب الدري: عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً؛ لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ...»^(٥).

(١) «سنن الترمذي».

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

وقَبَّحَ صُورَهُمْ هَؤُلَاءِ بِمَعْصِيَتِهِمْ:

مسخ الله اليهود على صورة القردة والخنازير:

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦]

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٠].

الحيات مسخ الجن: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَّاتُ مَسْخُ الْجِنِّ»^(١).

أمة من بني إسرائيل مسخت فئران:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ، إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاةِ شَرِبَتْ»، فَحَدَّثْتُ كَعْبًا، فَقَالَ: أَأَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ لِي مِرَارًا، فَقُلْتُ: أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: الْفَأْرَةُ مَسْخٌ.

مسخ أبي إبراهيم عليه السلام إلى ضبع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ! مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»^(٢).

(١) «مسند أحمد».

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٠)، (٤٧٦٩) الذبيح: الضبع.

وفي رواية: «فَيَمَسُخُ اللَّهُ أَبَاهُ ضَبْعًا، فَيَأْخُذُ بِأَنْفِهِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي! أَبُوكَ هُوَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ»^(١).

قال ابن حجر: والحكمة في مسخه ضبعًا أن الضبع من أحرق الحيوان وآزر كان من أحرق البشر لأنه بعد أن أظهر له ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات^(٢).

صور المتكبرين مثل الذر (النمل) يوم القيامة :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيَسْأَفُونَ إِلَى سَجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى (بُولَس)، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»^(٣).

ليس كمثله شيء في تصويره :

الله يصوّر من يشاء (مشيئته نافذة فيما أراد تصويره)، قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفطار: ٨].

عظيم قدرته سبحانه في تصويره وعجز غيره :

فالله عَزَّجَلَّ يخلق ويصوّر خلقه بقدرته، فانظر إلى عظيم قدرة الله في خلق الإنسان وتصويره وهو في بطن أمه. والله فوق عرشه سبحانه قَالَتِ الْعَالِي: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

(١) انظر «الفتح» (٨/ ٥٠٠).

(٢) نفسه.

(٣) رواه النسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن.

تصوير الله لخلقه على غير مثال سابق (والمصورون مقلدون) :

فلا يُقلد غيره في تصوير خلقه وتشكيل صورهم؛ لأنه الأول سبحانه فلم يسبقه أحد لا في الوجود ولا في الخلق والتصوير، ولا في غيرها، وكل من صوّر شيئاً إنما يصوّر ما خلق الله ويُقلد هيئته ويحاول أن يشبهها بهذا المخلوق.

قال تعالى في الحديث القدسي: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي».

وقال النبي ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ».

كل شيء يصوره الله من خلقه وصنعه وغيره لا يخلق:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ﴾ [التغابن: ٣].

فالمصورون وما يصورونه من خلق الله وحده:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

«العلي - الأعلى - المتعال»

جل جلاله تقدست أسماؤه

المعنى اللغوي:

يأتي العلو في اللغة على أربعة معاني:

- ١ - علو كل شيء: ارتفاعه: ويقال: علا فلانُ الجبل إذا رقيه ويعلو علواً.
- ٢ - القهر والغلبة: يقال: علا فلانُ فلاناً إذا قهره، وعلوت الرجل غلبته، ومن قول العرب:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرٍ
٣ - رفعة الشأن وعلو القدر: تقول العرب: على كعبه أي ارتفع شأنه، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤]، والمعنى: هي الأشرف والأفضل بالإضافة إلى هذا العالم، وتعالى: أي ترفع.

- ٤ - الكبر: كما قال تعالى في فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [التَّصْوِ: ٤]، وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يُونُس: ٨٣]، وأيضاً كما قال تعالى في قوم فرعون: ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [الْمُؤْتَفِك: ٤٦].

ورود هذه الأسماء في القرآن الكريم:

ورد اسم الله «العلي» في ثمانية مواضع منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِي اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْدَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبْدَ

اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿[الْحَجَّ: ٦٢].

- وقوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غَافِر: ١٢].

وأما اسم «الأعلى» فقد جاء في موضعين:

- في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الْإِنشَاء: ١]، وقوله: ﴿إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الْبَيْت: ٢٠].

- وأما «المتعال» فقد جاء مرة واحدة في قوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرَّحْمَن: ٩].

معنى الأسماء في حق الله تعالى:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الْحَجَّ: ٦٢]، كما قال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٥]، وقال: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرَّحْمَن: ٩]، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه تعالى وتقدس، وتنزه عَزَّجَلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً.

فتعالى الله عما يقول الجهمية وأشباههم أن الله في كل مكان، وأنه أعلى وأسفل ووسط، ومع كل شيء، وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو سبحانه وصف نفسه بالعلو، وهو من صفات المدح له بذلك، والتعظيم؛ لأنه من صفات الكمال كما مدح نفسه بأنه

العظيم، والعليم، والقدير والعزيز والحليم ونحو ذلك وأنه الحي القيوم، ونحو ذلك من معاني أسمائه الحسنى فلا يجوز أن يتصف بأضداد هذه الصفات».

فلا يجوز أن يوصف بضد الحياة والقيومية والعلم والقدرة مثل الموت والنوم والجهل والعجز واللغوب، ولا بضد العزة وهو الذل، ولا بضد الحكمة وهو السفه، فكذلك لا يُوصف بضد العلو وهو السفل، ولا بضد العظيم وهو الحقير، بل هو سبحانه مُنزه عن هذه النقائص المنافية لصفات الكمال الثابتة له، فثبوت الكمال له ينفي اتصافه بأضدادها وهي النقائص.^(١) اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

هذا ومن توحيدهم إثبات أو	صاف الكمال لربنا الرحمن
كعلوّ سبحانه فوق السمـ	ساوات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلي بذاته سبحانه	إذ يستحيل خلاف ذا بيان
وهو الذي حقاً على العرش استوى	قد قام بالتدبير للأكوان

من آثار الإيمان بهذه الأسماء الكريمة

١ - وجوب الإيمان بالعلو المطلق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من كل الوجوه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو العلي فكل أنواع العـ و له فثابتة بلا نكران^(٢)

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٩٧-٩٨).

(٢) «النونية» (٢/٢١٣-٢١٤).

وقال السعدي: «العليُّ الأعلى»: وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات وعلو القدر والصفات، وعلو القهر والكبرياء، فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى. ^(١) اهـ.

إذن فجميع أنواع ومعاني العلوم ثابتة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دُونَ أَنْ نَعْطِلَ أَوْ نُوَوِّلَ شيئاً منها، ومن أنواع العلو لله جَلَّ جَلَالُهُ ما يلي:

أولاً- إن الله هو العلي في ذاته ^(٢):

فقد قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وأخبر تعالى أن الأعمال الصالحة والكلام الطيب إليه يصعدان.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [ذو: ١٠]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [جاف: ١٥].

قال ابن كثير في تلك الآية: يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم على جميع مخلوقاته ^(٣).

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «العقيدة المشهورة عنه»: «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها، من

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٠).

(٢) فقد تضمنت هذه الأشياء إثبات علو ذات ربنا سبحانه وأنه على كل شيء وفوق كل شيء ولا شيء فوقه، بل هو فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وهو أعلم بنفسه.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٧٢).

غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستور على عرشه في سمائه دون أرضه»^(١).

٢ - ثبوت الإيمان لمن آمن بعلو الله تبارك وتعالى:

من غير تعطيل ولا تأويل، فهذا هو الرسول ﷺ يشهد بالإيمان لمن آمن بعلو الله.

فعن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكان لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحدٍ والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ قلتُ: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «أنتني بها»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»^(٢).

قال أبو سعيد الدارمي: ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عَزَّجَلَّ في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبداً فأعتق لم يُجز في رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله في السماء.^(٣) اهـ.

٣ - التواضع وذل المتعالي والتكبر:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من تواضع لله تخشعاً رفعه الله، ومن تكبر تجبراً قسمه الله. وقد كان النبي ﷺ أعظم الناس تواضعاً لربه، فكان يقول: «أكل كما

(١) «نقض تأسيس الجهمية» (٢/ ٣٨).

(٢) رواه أحمد (٤٤٨/٥)، ومسلم (١/ ٥٧٣).

(٣) «الرد على الجهمية» (ص: ٣٩).

يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»^(١).

وانظر إلى ذكائه ﷺ وكم كان ربانيًا، فعندما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم»، وعندما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»^(٢)، فاختار للناس تعظيم الله في حال الخضوع وهو الركوع، وأمرهم في أعظم موقف تذلل فيه جباههم وتغبر فيه وجوههم بأن يذكروا الله ويسبحوه باسمه الأعلى ليتذكروا ذلتهم لعزته وخضوعهم لقوته، فيكون ذلك سبب عزهم وهو أقرب المواقف للعبد من ربه، فقد قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء»^(٣).

٤- ما علا شيء من الدنيا إلا وضع؛

وما من طيرٍ طار وارتفع إلا كما طار وقع

عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة رسول الله ﷺ العصابة لا تسبق أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه النبي ﷺ فقال: «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»^(٤).

وصدق من قال: الدنيا إذا حلت أو حلت، وإذا كست أو كست، وكم من ملكٍ له علامات، فلما علامات.

(١) تقدم تحريجه.

(٢) أخرجه الطيالسي [١٠٩٣]، وأحمد (٤/ ١٥٥)، وأبو داود [٨٦٩]، وابن ماجه [٨٨٧]، وابن خزيمة (٦٠٠/ ٦٧٠)، وابن حبان [١٨٩٨]، والحاكم (١/ ٢٢٥) وصححه أيضًا الحاكم، وتعقبه الذهبي، وانظر: «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (٧/ ١٧٦)، و«الإرواء» (٢/ ٤٠).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

أما تعالى الذي يعني التكبر ورغبة الترفع بالنفس عن الناس يجعل العبد جباراً متكبراً حتى يظن نفسه نداً لله جَلَّ جَلَالُهُ فيكون في ذلك هلاكه، كما قال فرعون لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿[النَّازِعَات: ٢٤-٢٦].

والمتكبر الذي يريد تعالى على خلق الله إنما ينازع الله صفاته، وقد قال تعالى في الحديث القدسي: «العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيءٍ منهما عذبتُهُ» (١).
ما من يدٍ إلا ويد الله فوقها ولا ظالم إلا سيّلى بظالم
٥- الإخلاص:

فإذا علم العبد أن الله تعالى هو العلي الأعلى فوق خلقه فهو فوقهم قاهر، وعليهم قادر فلا بد وأن يخشاه وحده، ويرجوه وحده ويطلب منه الثواب وحده، وقد وصف الله المخلصين بذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتْبَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الْبَيْت: ١٩-٢٠]
٦- إن الله يحب معالي الأمور:

إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو العلي، ولذلك فهو يحب معالي الأمور في كل شيء كالتوحيد والجهاد وحسن الخلق... وهكذا.
 وقد روي في بعض الحديث قال: «إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها» (٢).

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٥٥٢].

(٢) عزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر، والضياء في «المختارة» عن سعد تبعا للسيوطي في «زوائد الجامع الصغير» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢/١٢٣).

٧- «أولئك لهم الدرجات العلى»:

فإن الله عزَّ وجلَّ هو الذي يرفع ويخفض ولا يعلو أحدٌ إلا بطاعته، ولعلو الناس عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أسباب.

فمن أسباب العلو:

١- الإيمان والعلم، قَالَ الْجَلِيلُ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[الجملة: ١١].

فإن الله يرفع بالعلم العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك، وقد جاء في الصحيح أن نافع بن الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان وكان قد استعمله على أهل مكة فقال له عمر: «من استخلفت على أهل الوادي؟» قال: استخلفت عليهم ابن أبيزى فقال: ومن ابن أبيزى؟ فقال: رجل من مواليها، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»^(١).

قال إبراهيم الحربي: كان عطاء بن رباح عبداً أسود لامرأة من مكة وكان أنفه باقلا، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين على عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، فقال سليمان لابنيه، قوما فقاما، فقال: يا بُنَيَّ لَا تَقْصُرَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنِّي لَا أُنْسَى ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْعَبْدِ الْأَسْوَدِ.

(١) رواه مسلم (٩٨/٦) «صلاة المسافرين».

وقال الحربي: وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخله في بدنه وكان منكباة خارجين كأنهما زجان فقالت أمه: يا بني لا تكون في مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك، فولي قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرتعد حتى يقوم.

وقال عبد الله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عزٌّ فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها.

قال سفيان بن عيينة: أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

وصدق القائل:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففرز بعلم تعيش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

٢- القرآن تلاوته وحفظه والعمل به:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»^(١).

فإن الله يرفع صاحب القرآن في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا بالبركة في العمر والسعة في الرزق وحب الناس. وأما في الآخرة فإن صاحب القرآن

(١) سبق تحريجه.

يرفعه الله في الجنة ولا يزال يُرقيه حتى آخر آية معه.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق^(١) ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فَإِنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرَةِ الكرامِ البرَّةِ والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران»^(٣).

والماهر: أي: الذي يُحيد لفظه على ما ينبغي بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته، (مع السفرة) أي: الملائكة أو الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أي: معهم في منازلهم في الآخرة.

قال القاضي: «يُحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى. قال: ويُحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم»^(٤).

٣- التواضع:

لله ما أجمل هذه الصفة وما أعظمها فكم قربت من الله عبداً بعيداً وكم أعقبت بعد تعبٍ عهداً سعيداً، وكم أثمرت بعد خمول ذكرٍ صيتاً مجيداً، وكم رفعت بعد ذلٍّ عبداً رشيداً. والجزاء من جنس العمل.

(١) وارتق: أي: في درج الجنة بقدر ما حفظته من أي القرآن.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) شرح الحديث في «صحيح مسلم» (٨٤/٦) بشرح النووي «فضيلة حافظ القرآن».

في شرح الأسماء الحسنى

٢٠١

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [الْقَصَصُ: ١٨٣].

وقال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقةً من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة»^(٢) بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: (ارفع حكمته) وإذا تكبر قيل للملك: (ضع حكمته)^(٣).

ولذلك فإن المتكبر والذي يُريد العلو على الخلق فإن الله يجزيه بضد ما قصد.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سَجَنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسُ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٤).

وقيل: إن التواضع: «هو أن تخرج من بيتك فما تلقى أحدًا إلا ظننته خيرًا منك».

٤ - «الشهادة في سبيل الله»: فإن الشهيد قد قاتل لتكون كلمة الله هي العليا،

(١) رواه مسلم.

(٢) الحكمة هي: لجام الدابة ولكل إنسان من بني آدم حكمة يمسكها ملك من الملائكة.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج: ٢ / ١٢٩٣٩).

(٤) رواه الإمام أحمد، وروى عن ابن عمرو وقال ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»: موقوف، إسناده حسن، انظر: (٤ / ٣٧٥) حديث رقم [٤٦٢٩] عن المطالب، و(الذر) هو: النمل الصغير.

وَقُتِلَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَجَازَاهُ اللَّهُ بِأَنْ رَفَعَهُ وَأَعْلَى دَرَجَاتِهِ فِي الْجَنَّةِ فَمِنْ ذَلِكَ:

أولاً- جُعل مأواهم تحت العرش:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ تَحْتَ الْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ»^(١).

ثانياً- للمجاهدين في الجنة مائة درجة:

عن أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ»^(٢).

ثالثاً- من الشهداء من يسكن الفردوس الأعلى:

عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنِ سَرَّاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَحْدِثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ - وَكَانَ قَتْلُ يَوْمِ بَدْرٍ - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ اجْتَهِدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ فَقَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى»^(٣)، اللَّهُ أَكْبَرُ! مَا أَهْنَاهُ مِنْ عَيْشٍ، وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ رِزْقٍ فِي الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى أَتَدْرِي أَخِي الْحَبِيبُ مَا هِيَ الْفَرْدُوسُ؟.

لَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدُوسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ،

(١) رواه مسلم، والترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (١١/٦)، ومسلم (٢٨/١٣) الإمارة، والترمذي (٨/١٠) صفة الجنة، وابن ماجه [٤٣٣١] «الزهد».

(٣) أخرجه البخاري [٢٨٠٩] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»^(١).

رابعاً- من الشهداء من يكلمه الله بغير حجاب:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر، مالي أراك منكسراً؟». قلت: يا رسول الله! استشهد أبي، قتل يوم أحدٍ وترك عيلاً ودينياً، قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟»، قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً»^(٢)، فقال: «يا عبدي تمنّ عليّ أعطك»، قال: يا رب! تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عزَّ وجلَّ: «إنه قد سبق مني: أنهم إليها لا يرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٦٩]^(٣).

٩- ليس كمثله شيء في علوه:

فإن الله هو العلي الأعلى جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، فلا يدانيه أحد في علوه، ولا يماثله شيء في رفعته، وذلك من وجوه منها:

١- له العلو المطلق من جميع الوجوه:

فما من أحد من الخلق بلغ علواً إلا كان علواً ناقصاً، فقد يعلو في مالٍ ولا يعلو في رياسة أو حكم، أو يعلو في الدنيا ولا يعلو في الآخرة، وقد يعلو في وقتٍ دون آخر، أو في حال دون حال، كمثّل من يعلو في حال قوته دون ضعفه، أو

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠/٧٤٢٣) من حديث أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كفاحاً: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٠١٠/٥)، وابن ماجه (١٩٠/١) (٢٨٠٠/٢).

مرضه، أو شبابه دون هرمه. أما العلو المطلق من جميع الوجوه وفي كل الأحوال فهو لله عَزَّجَلَّ، فإن الله تعالى هو العلي الذي لا أعلى منه ولا يعلو عليه بل لا يدانيه أحد من خلقه.

ولذلك قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه قد علا في الأرض وتكبر فيها ولم يستطع أن يعلو في السماء.

٢- علو الله دائم:

فعلو الخلق مؤقت يسبقه العدم ويلحقه الفناء. أما علو الله عَزَّجَلَّ فهو علو لم يسبقه انخفاض ولا يلحقه دنو، دائم لا يتغير، ثابت لا يتبدل.

٣- رحمته في علوه:

فكل من أصابه شيء من علو الدنيا فإنه يتعد عن الضعفاء والمساكين، وقد يأنف منهم. أما الله - سبحانه وبحمده - قريب في علوه، رحيم في كبريائه، ودود في عظمته، عفو في قدرته، لا يمنعه شيء عن خلقه إذا دُعي أجاب، ولا يقف على بابه الحُجَّاب، قَالَ الْعَالِي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].



«العظيم» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

عَظَمَ: (العين، الظاء، الميم) أصل واحد يدل على كِبَر وقوة.
تقول: عَظُمَ يَعْظُمُ عِظْمًا وَعَظْمَتُهُ أَنَا، فإذا عَظُمَ في عينك قلت: أعظمته واستعظمته.

والعَظْمُ معروف وهو سُمِّيَ بذلك لقوته وشدته^(١).
(العظيم): الذي جاوز حدود العقول أن تقف على صفات كماله ونعوت جلاله.
فما لا يُتصور أن يحيط العقل أصلاً بكنه حقيقته وصفته منها، فهو العظيم المطلق، وهو الله تعالى.

(عظيم القوم): هو الذي ليس فوقه أحدٌ منهم، فلا تكون الصفة به إلا مع السؤدد والسلطان، وكتب رسول الله ﷺ: (إلى كِسرى عظيم الفرس) أي: ملكهم ورئيسهم.

و(العظيم) في أسماء الله تعالى بمعنى: عظيم الشأن، والامتناع عن مساواة الصغير له.

وأصل الكلمة: القوة، ومنه سُمِّيَ العظم عِظْمًا لقوته^(٢)، وأصله في عظمة الأحجام، ولكن نُقل بعد ذلك لعظمة الشأن، كقوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

(١) «مقاييس اللغة» (٤/ ٣٥٥).

(٢) «مُعجم الفروق اللغوية» (١/ ٣٦١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن ست مرات، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- وقوله سبحانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].
- وقوله عزَّجَل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦].
- وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣].

المعنى في حق الله سبحانه:

قال الزجاجي: «(العظيم) ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه عزَّجَل. كذلك تعرف العرب في خطبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: مَنْ عظيم بني فلان اليوم؟ أي: من له العظمة والرئاسة منهم؟ فيقال له: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماء القوم، أي: رؤسائهم وذو الجلالة والرئاسة منهم.

العظيم المطلق هو الله سبحانه:

قال الغزالي: «وكل عظيم غير الله عزَّجَل ناقص وليس بعظيم مُطلق؛ لأنه إنما يظهر بالمقارنة لمن هو مثله، أو من هو أقل منه، أما الله سبحانه فإنه العظيم المطلق لا بالمقارنة بغيره سبحانه»^(١).

قال الأصفهاني: «العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضاً.

(١) «المقصد الأسنى» (١/ ١٠٥) بتصرف يسير.

فمن الناس من يعظم لمالٍ، ومنهم من يعظم لفضلٍ، ومنهم من يعظم لعلمٍ،
ومنهم من يعظم لسلطانٍ، ومنهم من يعظم لجاهٍ.
وكل واحدٍ من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى، والله عزَّجَلَّ يُعَظِّمُ في
الأحوال كلها»^(١).

وقال الكافرون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣٠].
يريدون: عظيم الرئاسة وليس عظيم الخلقة^(٢).

قال ابن الأثير: «هو الذي جاوز قدره عزَّجَلَّ حدود العقل حتى لا تتصوَّر الإحاطة
بكنهه وحقيقته»^(٣).

(العظيم): هو ما لا تدركه العقول ولا الأبصار، فإذا كانت العظمة تُطلق
على كبير الحجم، فإن هناك ما تحيط به كالشجرة العظيمة، ولكنك قد تحيط
بأطرافها إذا نظرت إليها.

أما الجبل العظيم مثل جبال (الهيما لايا) أو (كاليمنجارو) فإنها تصل إلى
آلاف الكيلومترات طولاً، وإلى آلاف الأمتار ارتفاعاً، وهذا لا تستطيع الإحاطة
به ببصرك، فإذا قلنا هذا بالمقارنة إلى الأرض أصبحت الكرة الأرضية عظيمة،
فلا يمكن لأحد أن يحيط بأطرافها إذا نظر إليها؛ إذ هي أعظم منه بكثير.

(١) «الحُجَّة في المحجة» (ق/ ١٥ ب - ١١٦ أ)، وانظر: «الأسمى» (٢٨١).

(٢) «اشتقاق الأسماء» (ص ١١١ - ١١٢)، وانظر: «النهج الأسمى» (٢/ ٢٨٣).

(٣) «النهاية» (٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

فإذا أضفت عظمة الأرض إلى عظمة السماوات بما فيها من شمس، وأقمار، ونجوم، ومجرات بعضها أكبر من الأرض بملايين المرات علمت عجزك عن الإحاطة بعظمة الكون نظرًا، وعقلًا أيضًا لأنه أكبر من قدراتك الحسية والعقلية، فما بال عظمة الخالق العظيم.

قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

ذكر بعض علماء الفلك أنهم اكتشفوا أن هناك نجومًا فارقت مواقعها منذ آلاف السنين في طريقها إلى الأرض، وما بقي إلا مواقعها.

وفي القرآن: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

عظمة الله في خلقه (الخلق يُسَبِّح بعظمة خالقه) :

انظر إلى الأرض الشاسعة، والبحار الواسعة، وإلى الجبال الراسخة، وإلى القمم الشامخة كلها تحدثك عن عظمة خالقها سبحانه.

بل انظر إلى السماء العالية، وأبراجها المنيفة، وأحجامها المخيفة.

وأن مجرة درب التبانة التي ينتمي إليه كوكبنا الأرض، تحتوي ما بين (٢٠٠ إلى ٤٠٠ مليار) نجم ومن ضمنها الشمس ويبلغ عرضها حوالي (١٠٠ ألف

سنة ضوئية وسمكها حوالي (١٠٠٠ سنة ضوئية) ونحن نعيش على حافة تلك المجرة. بقي لك أن تعلم السنة الضوئية وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة تبلغ سرعة الضوء (٣٠٠ ألف كيلو متر/ ثانية) وبهذه السرعة فإن الضوء يقطع (١٨ مليون كيلو متر) في الدقيقة الواحدة، وهذه تسمى الدقيقة الضوئية. ولقد اكتشف علماء الفلك منذ عشرات السنين نجماً أكبر من حجم الشمس بثلاثة آلاف مرة^(١).

هذا ما استطعنا أن نعرفه، وما لا نعرفه أكثر، وقد رأينا بعض هذه الآيات.

ولكن انظر إلى ما لم نره ولا سبيل لأحدنا إدراكه!

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَرَأْسُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»^(٢).

قال الأصفهاني: فينبغي لمن عرف حق عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله^(٣).

التواضع وترك التعاضم:

العظمة هي صفة لله سبحانه، وإذا وُصفَ العبد بالعظمة فهو ذم^(٤).

(١) «موسوعة ويكيبيديا».

(٢) رواه الطبراني (١/١٥٦)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٠)، و«الأحاديث القدسية» للشيخ مصطفى العدوي (ص ٢٤٣)، (١٧٦).

(٣) «الحجة في المحجة» (ق/ ١٥ ب - ١٦ أ)، وانظر: «الأسمى» (١/ ٢٨٣).

(٤) «تهذيب اللغة» (٢/ ١٨٢).

قال تعالى في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم»^(١).

وقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلٍ جواظٍ مُستكبر»^(٢).

الجواظ: شديد الصوت في الشر، متكبر، مختال في مشيته.

الله أعظم من كل عظيم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وَقِيلَ: إِنَّ الْحَجَّاجَ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ الصَّبْرُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ مَا أَصْفَقَ وَجْهَكَ وَأَقْلَ حَيَاءَكَ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ وَتَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ خَبَتْ وَضَلَّ سَعْيُكَ.

فَقَالَ لِلْحَرَسِ: خُذُوهُ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ لَهُ: مَا الَّذِي جَرَأَكَ عَلَيَّ؟

فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ أَنْتَ تَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ وَلَا أَجْتَرِئُ عَلَيْكَ وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى لَا أَجْتَرِئُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَجْتَرِئُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ فَقَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهُ. فَأُطْلِقَ.^(٣)

(١) مسلم (٢٦٢٠)، وابن ماجه (٤١٧٤) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٤٩١٨)، (٦٠٧١)، باب: [الكبر].

(٣) موارد الظمآن في دروس الزمان (١٠٣/٢)

وَدَخَلَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى السُّلْطَانِ فَوَعَظَهُ وَشَدَّدَ فِي الْمَوْعِظَةِ فَعَاتَبَهُ وَلَدَّهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: يَا بَنِي لَقَدْ رَأَيْتُ السُّلْطَانَ فِي تِلْكَ الْعِظْمَةِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهَيِّنَهُ لِيَلَّا تَكْبُرَ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فِتْنُودِيهِ.

وَلَقَدْ اسْتَحْضَرْتُ هَيْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ أُخَاطِبُهُ، فَصَارَ السُّلْطَانُ أَقَلَّ مِنَ الْقِطِّ عِنْدِي.

وَلَوْ كَانَتْ بِنَفْسِي لَدَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُهُ الدُّنْيَا كُلَّهَا^(١).
وَأُجِبِرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَى مَلِكٍ مِصْرَ وَطُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَلْبَسَ مَلَابِسَ خَاصَّةً فَأَبَى وَقَالَ: كَيْفَ أَتَجَمَّلُ لَهُ بِلِبَاسٍ لَا أَتَجَمَّلُ بِهِ لِرَبِّي فِي الصَّلَاةِ^(٢).
قال نوح لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

روى البخاري في (التفسير) عن ابن عباس: (وقارًا): أي عظمة^(٣).
وقال النبي ﷺ: «يا أمة محمد، والله ما من أحدٍ أغير من الله أن يزيني عبده، أو تزني أمته. يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا»^(٤).
(ما أعلم): من عظمة الله تعالى، وشدة عقابه لأهل المعاصي، وما أعلم من أحوال القيامة^(٥).

(١) نفس المصدر (٢/ ١٠٤)

(٢) نفسه

(٣) رواه البخاري، باب: [يَوْمَ يُكْتَفَى عَنْ سَاقٍ] [القلم: ٤٢].

(٤) رواه البخاري (١٠٤٤)، باب: [الصدقة من الكسوف].

(٥) تعليق مصطفى البغا على «صحيح البخاري».

ولما كان الله عظيمًا، وكلامه عظيمًا، وشأنه عظيمًا كان الشرك به ظلمًا عظيمًا.

قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فإن الشرك قد أخذ حق الله العظيم وأعطاه للحقير، وصرف حق الكبير إلى الصغير، فما الذي عبده المشركون من دون الله؟!!

شجر - حجر - بقر - بشر

كلها أمام الله صغيرة، وبالمقارنة له - سبحانه - حقيرة!!

فإن الشجر يكاد يُقطع ولا يثمر.

وإن الحجر لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يُبصر.

وإن البقر يُستخدم ويُضرب ويُسحب ويُجر.

وإن البشر فيه من النقص والضعف ما يكفي للعبد ليعتبر

ومع ذلك.. فإن الله هو الذي خلقهم جميعًا، بل خلق كل شيء.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عن الله؟

قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خالقك»، قلت: إن ذلك لعظيم^(١).

تعظيم الله وتعظيم حرما ته وشعائره:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

قال محمد بن أبي موسى: «الوقوف بعرفة ومزدلفة والجمار والرمي والبُدن

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧)، باب: [قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾] [البقرة: ٢٢].

والحلق من شعائر الله»^(١).

وقال ابن عمر: «أعظم الشعائر: البيت الحرام»^(٢).

قال القرطبي: «(شعائر الله) هي كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعر وأعلم»، وقال: «ومنه: شعار القوم في الحرب، أي: علاماتهم التي يتعارفون بها، فشعائر الله أعلام دينه، لاسيما ما يتعلق بالمناسك»^(٣).

الدعاء باسم الله العظيم سبحانه:

- تعظيم الله في الركوع والسجود.

فإن الصلاة كلها تحيات طيبات لله سبحانه، ومنها: الركوع الذي يدل على التعظيم والخضوع للعظيم تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والسجود يدل على الذل والخشوع وذكر الله فيهما يكون بالتعظيم.

قال النبي ﷺ: «إني نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعُظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٤).

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: (لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فقال: «اجعلوها في سجودكم»^(٥).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٢٣/٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «تفسير القرطبي» (٥٦/١٢) - تفسير [الآية ٣٢ من سورة الحج].

(٤) رواه مسلم (٤٧٩/١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٧٨٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ذكر آخر في الركوع والسجود:

عن مالك الأشجعي أن النبي كان يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»، ثم سجد بقدر ركوعه يقول في سجوده: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»^(١).

إعظام الرغبة في الله.

أعظم الرغبة في الله، فإنه غني كريم، وثق في عطائه فإنه عظيم، وأقبل على دعائه فإنه حيي رحيم فلا يستكثر شيئاً سئله، ولا يستعظم طلباً سَمِعَهُ.

قال النبي ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليغزم المسألة، وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»^(٢).

يتعاظمه: أي يراه عظيماً مهما كان.

وهذا دعاء لتفريج الكرب.

فما من كربٍ عظيمٍ إلا والله أعظم منه، وما من همٍّ كبيرٍ إلا والله أكبر منه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^(٣).

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٨٧٣)، باب: [ما يقول في ركوعه وسجوده]، وصححه الألباني، والنسائي في «سننه» (١١٣٢) وصححه الألباني أيضاً.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩)، باب: [العزم بالدعاء].

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٥)، باب: [دعاء الكرب].

«الواسع» تَبَارَكَ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال الجوهري: الوسع والسعة: الجدة والطاقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أي: على قدر غناه وسعته. وأوسع الرجل: إذا صار ذا سعة وغنى.

قال الأصبهاني: السعة تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الأفعال، كالقدرة، والجلود ونحو ذلك. ففي الأماكن قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرْضِي وَسْعَةً﴾، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسْعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا﴾، وفي الحال كقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ﴾، وكقوله جل ذكره: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾، وفي القدرة قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾، قيل: لا يكلفهم إلا ما يثمر لهم السعة أي: جنة عرضها السموات والأرض كما قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فعبارة عن سعة قدرته وعلمه ورحمته وأفضاله كقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وكما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

وروده في القرآن الكريم:

جاء في القرآن ثمان مرات منها:

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الشُّرَى: ٣٢].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٤٧].

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصبهاني.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال الحليمي: «الواسع» ومعناه الكثير مقدوراته ومعلوماته المنبسط فضله ورحمته، وهذا تنزيه له من النقص والعلة واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ورحمته وسعت كل شيء^(١).

قال ابن جرير: «إن الله واسع عليم» يعني - جل ثناؤه - بقوله (واسع) يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير^(٢).

وقال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: والله واسع بفضلته فينعم به على من أحب، ويريد به من يشاء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل لملكه الذي يؤتیه وفضله الذي يعطيه، فيعطيه؛ ذلك لعلمه به وأنه لما أعطاه أهل إما للإصلاح به، وإما لينتفع هو به^(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: جواد يسع لما يُسأل^(٤)، وذلك كقوله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصبهاني.

(٢) «المنهاج» (١٩٨/١) ذكره في الأسماء التي تتبع نفى التشبيه عن الله جل وعلا، وكذا في (الأسماء).

(٣) «جامع البيان» (٤٠٣/١) وقال مثله ابن كثير (١/١٦٠).

(٤) «المصدر السابق» (٣٨١/٢).

وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أُدخِل البحر»^(١).

وفي المقصد: ﴿وَسِعٌ﴾: مشتق من السعة، والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم، وكيفما قدر وعلى أي شيء نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى؛ لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحة لبحر معلوماته، بل تنفذ البحار لو كانت مداً للكلماته، وإن نُظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف والذي لا ينتهي إلى طرف هو أحقّ باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق؛ لأن كل واسع بالإضافة (أي: بالمقارنة) إلى ما هو أوسع منه ضيق، وكل سعة تنتهي إلى طرف فالزيادة عليها متصورة، وما لا نهاية له ولا طرف فلا يُتصور عليه زيادة^(٢).

من آثار الإيمان باسم الله الواسع:

أولاً: العلم بأن الله هو الواسع الحق: في صفاته ونعوته فقد قال السعدي: الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناءً عليه كما قال النبي ﷺ: «لا أُحصى ثناءً عليك»^(٣)، بل هو كما أثنى على نفسه واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

(١) «مجاز القرآن» (١/ ٥١).

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر.

(٣) «المقصد الأسنى» (ص: ٧٥).

ومن صور السعة في أسماء الله وصفاته ما يلي:

١ - قاله عز وجل واسع في رحمته:

قَالَ تَجَالَى: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وقَالَ تَجَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الإعراف: ١٥٦]، قال النبي ﷺ: «إن لله مائة رحمة»^(١).

وقد سبق توضيح ذلك.

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [الحجرات: ٣٢]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٢).

٢ - (واسع الملك) فقد وسع الله ملكه على خلقه:

فوسع الأرض، قَالَ تَجَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، ووسع في السماء.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الأرض في السماء الأولى كحلقة في فلاة، وأن السماء الأولى في الثانية كحلقة في فلاة، وهكذا كل سماء في التي

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري [٩٤٦٩]، ومسلم (٢٧٥٢/١٨-١٩-٢٧٥٣/٢١) وراجع شرحنا لاسمه الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ فهناك توضيح لمعنى هذا الحديث.

تليها، حتى قال والسماوات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كحلقة في فلاة.

٣- واسع في رزقه:

قال الأصبهاني: ومن أسمائه الواسع وسعت رحمته الخلق أجمعين، وقيل وسع رزقه الخلق أجمعين، لا تجد أحداً إلا وهو يأكل رزقه، ولا يقدر أن يأكل غير ما رزق^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الشُّرَى: ٣٢].

٤- واسع في علمه:

وعلم الله من أعظم الصفات التي تجلت فيها سعة الله وأكثر الأسماء التي اقترنت باسم الواسع هو اسم العليم فقد ورد اسم الواسع ثمان مرات اقترن فيها باسم العليم سبع مرات؛ وهذا لكثرة الخلق وتعدددهم، فإن الله يعلم عدد قطرات المطر، وأوراق الشجر وحببات الثمر، والحسنات والسيئات؛ لذلك نجد أعظم الخلق إيماناً بالله عزَّجَلَّ يسبحون بحمده ويشنون عليه بسعة علمه.

فقد قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غَافِر: ٧]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الْأَنْعَام: ٨٧]، وسأل فرعون موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿ [طه: ٥١-٥٢]، فالله عزَّجَلَّ وسع علمه الماضي والحاضر والمستقبل ويعلم الغيب كما يعلم الشهادة قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ويعلم السر كما يعلم

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠/٥) وانظر شرحنا لاسميه الغفار والغفور تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

العلن قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِقَوْلٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣: ٨]، فلا يشغله علم الغيب عن الشهادة، ولا علم السر عن العلن، ولا الكثير عن القليل فقد وسعها جميعاً علماً وأحصاها عدداً قال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدْداً﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وكذلك يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يف يكون ذاك الأمر ذا إمكان
ولهذا لو أن أشجار الأرض أصبحت أقلاماً والبحر يمده من بعده سبعة
أبحر مداً لكتابة هذه الكلمات والمعلومات من كلمات الله لنفدت البحار
وتكسرت الأقلام ولم تنفذ كلمات الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقال ابن القيم:

كلماته جلّت عن الإحصاء والتعداد بل عن حصر ذي الحُسابين

لو أن أشجارَ البلاد جميعها الأقلام تكتبها بكل بنانٍ
والبحر تلقي فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمانٍ
نفدت ولم تنفذ بها كلماته ليس الكلام من الإله بفانٍ

٦- الواسع في شرعه:

فقد وسع الله شرعه على خلقه فوسع جميع أصنافهم وأحوالهم فمن ذلك:

أولاً- أنه يسع كل الناس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤:٢٨].

و قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^(١).

وقال أيضاً: «بعثت إلى الأبيض والأحمر»^(٢) قال مجاهد يعني الجن والإنس
وقال غيره: يعني العرب والعجم، والكل صحيح^(٣).

ثانياً- سعة الشرع لكل شيء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فما من شيء في الكون إلا
ولكتاب الله عليه سلطان إما تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة.

فقد وسع الشرع كل أحوال الناس في النوم واليقظة في الحياة والموت،
والصغير والكبير، الرجال والنساء، كما علمهم الإيمان والعبادات والطهارة

(١) في الصحيحين مرفوعاً عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٥).

والأخلاق والمعاملات كما وصف الغيب من الملائكة واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار، وجميع الحياة الدنيا والآخرة؛ لذا فإن شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوصف بالشمول والإحاطة.

ثالثاً - اليسر في الأحكام؛

قال القرطبي: الواسع أي يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم^(١).

فما من عزيمة إلا ومعها رخصة والأمر إن ضاق على الناس وسَّعه الله عليهم ومصدق ذلك من كتاب الله قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [١٨٥: ٢]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [٢: ٢٨٦].

وكقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ»^(٢).

فمن هذا اليسر:

١ - في الصلاة:

كانت خمسين فجعلها الله خمسا في العمل وخمسين في الأجر.

٢ - التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل

(١) «الأسنى» للقرطبي.

(٢) رواه البخاري.

رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم، فقال أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جزاك الله خيرًا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجًا، وجعل للمسلمين بركة^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٦:٨].

٣- الرخص للمسافر والمريض:

خففت الصلاة للمسافر فأصبحت الصلاة الرباعية ركعتين فقط، ورخص له في الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ورخص للصائم في الإفطار إن كان مسافرًا ثم يقضي في أيام آخر وكذلك للمريض.

٤- إباحة الطلاق لمن ضاقت عليهم حياتهم الزوجية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

قال ابن جرير: يُغْنِي الله الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله أما هذه فبزوج هو أصلح لها من المطلق، أو برزق واسع وعصمة، وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة أو عفة: «وكان الله واسعًا» يعني لهما في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه (حكيماً) فيما قضى بينهما من الفرقة والطلاق، ونسمع الآن عن اتجاه الغرب للرجوع إلى الطلاق بعد أن حرموه على أنفسهم وضيقوا ما وسعه الله عليهم.

(١) رواه أحمد والبخاري.

ثانيًا : من عبادة الله باسمه الواسع :

١ - الطمع في رحمة الله ومغفرته :

قَالَ تَجَالَى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ﴾ .

فمن علم أن الله واسع الرحمة طمع فيها وازداد رجاءه لها ولا ييأس منها أبدًا .
وعن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابياً قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ : «لقد حَجَّرْتَ واسِعاً»^(١) يريد رحمة الله .

٢ - الفرار بالدين من الفتن :

فإن الله قد وسع على خلقه في الأرض ليعبدوه فإن ضيق عليهم موضع وسع الله غيره قَالَ تَجَالَى : ﴿ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونِ ﴾ [التكْوِيْت : ٥٦] .
وعن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «البلادُ بلادُ الله ، والعبادُ عبادُ الله فحيثما أصبت خيراً فأقم»^(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شَعَفَ الجبال ، ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن»^(٣) .

(١) أخرجه البخاري [٦٠١٠] من حديث أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَجَّرَتْ أَي : ضيقَتْ ، والقائل يريد رحمة الله بعض رواه وكأنه أبو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظر : «فتح الباري» (١٠/٤٣٩) .

(٢) رواه أحمد (١٦٦/١) والطبراني [٢٥٠] من حديث الزبير بن العوام ، وضعفه محققو المسند ، والهيثمي في «المجمع» (٢٤/٧٢-٥/٢٥٥) والعراقي في «تخريج الإحياء» [٧٣٤] ، والسخاوي في «المقاصد» .

ولبعضه شاهد من حديث عروة أخرجه أبو داود [٣٠٧٦] مرسلًا بلفظ «الأرض أرض الله ، والعباد عباد الله» وقال الألباني : صحيح الإسناد «صحيح أبي داود» [٢٦٤١] .

وآخر من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الطبراني (٣١٨/١٨) [٨٢٣] بلفظ مرسل عروة المتقدم ، وقال في «المجمع» (٤/١٥٧) : رجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه البخاري .

ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين من الناس هناك أَصْحَمَةُ النجاشي ملك الحبشة - رحمه الله تعالى - فأواهم وأيدهم بنصره^(١).

وروي عن عطاء في قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةُ﴾ [الزمر: ١٠]، قال: إذا دُعِيتُم إلى معصيته فاهربوا ثم تلا الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

٣- الإنفاق في سبيل الله:

فإن الله واسع الرزق يوسع على من وسَّع على خلقه ويجازيه بأعظم مما أعطى وخيراً مما بذل حتى يجعله له سبعمائة ضعف أو يزيد؛ ولذلك عقب على جزاء المنفقين باسمه الواسع جَلَّ جَلَالُهُ.

قَالَ الْعَالِي: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يضاعفُ الحسنه بعشرٍ إلى سبعمائة ضعف»^(٢).

وعن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَرْبِّيْهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يَرْبِّيْ أَحَدُكُمْ فَلَوْهَ حَقٌّ تَكُونُ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٩٦).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وهو في «اللؤلؤ والمرجان» (ح: ٥٩٥).

٤- الصبر هو أوسع الرزق:

فإن الصبر جواد لا يکبو، وسلاح لا یفل وما رزق عبد الصبر إلا وُسّع عليه أمره في الدنيا والآخرة، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

وانظر إلى بشرى الصابرين يوم الفزع وأمنهم يوم الخوف، وتأمل ما أعطاهم الله يوم الحرمان فيجازي الناس بأعمالهم فإن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر ويجزي الصابرين بغير حساب والجزاء من جنس العمل. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَرُ: ١٠].

٥- حب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وطاعته هما أوسع الفضل:

فإن حب الله هو أعظم الرزق وأكرمه وأفضله فإذا رزقه الله عبدًا فقد وسع عليه في حياته الدنيا والآخرة؛ لذا فإن هذا الرزق العظيم والفضل العميم يحتاج إلى سعة الله في رزقه وفضله على خلقه، فانظر إلى الموضع الذي ذكر فيه أحباب الله وصفاتهم وتأمل كيف عَقَّبَ الله بعدها باسمه الواسع مما يدل على عظمة هذا الرزق وفضله ولا يأتي به إلا الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥٤]

ولذلك أنعم الله على نبيه ﷺ بأعظم السعة فوسع عليه حياته الدنيا والآخرة فشرح صدره بالإيمان وحبَّ الرحمن، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشَّحْخ: ١]

(١) متفق عليه.

ثالثاً: المعصية والتنطع هما أعظم أسباب الضيق:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد وسَّع على خلقه في شرعه؛ لذلك فمن خالف الشرع بالمعصية أو بالتشدد والتنطع فقد ضيق على نفسه ما وسعه الله عليه. فبالمعصية يُضيق على العبد رزقه كما جاء في بعض الآثار: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ».

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لظِلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ وَلَعْتَمَةٌ فِي الْوَجْهِ وَلِقْلَةٌ فِي الرِّزْقِ وَلِضَعْفٌ فِي الْبَدَنِ وَلِبْغُضَةٌ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ».

وضيق الصدر: قَالَ الْعِزَّى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

بل وتضيق الأرض كلها على العاصي، فعندما تخلف ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ عن غزوة تبوك وعلموا أنهم عصوا الله ورسوله ﷺ حزنوا على ذلك، واعتزلهم الناس، وضائق عليهم حياتهم، بل والأرض كلها وضائق عليهم أنفسهم حتى تاب الله عليهم وعفا عنهم (عليهم الرضوان)، قَالَ الْعِزَّى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

التنطع:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثاً.

دعاء الله باسمه الواسع

١ - الاستغفار:

من علم أن الله قد وسع كل شيء رحمة وعلماً فلا بد وأن يسترحم ربه، ويستغفره من ذنبه، ويدعوه بذلك كما قالت الملائكة في استغفارهم للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [تآؤف: ٧].

٢ - الاستخارة:

من علم أن الله واسع العلم يعلم السر والعلن والغب والشهادة، وأنه واسع القدرة فهو على كل شيء قادر، وفوق خلقه قاهر، ولا ينفع ولا يضر غيره إلا بأذنه لا يسعه إلا أن يفوض إليه أمره، ويتوكل عليه في كل شأنه، ويستخيره في صغير أمره وكبيره وكان هذا هو حال النبي ﷺ وأصحابه الكرام فقد كانوا يتبرأون من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته فأعزهم الله أعظم العز وكان لهم من التوفيق أعظم النصيب.

عن جابر رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن ويقول: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».

«الحكيم»

جل جلاله وتقدّست أسماؤه

المعنى اللغوي:

الحكمة: لدى الإنسان إصابة الحق بالعلم والعقل.

فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، و«الحكيم»: هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها.

والحكمة من الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا ما وُصف به لقمان في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

وقيل: الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وعلى هذا وُصف به القرآن لتضمنه الحكمة.

نحو: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، والحكيم: العالم وصاحب الحكمة^(١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم الله «الحكيم» في القرآن الكريم قرابة (٩١) مرة ومنها:

قوله سبحانه: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

(١) «المفردات» للراغب الأصفهاني (٢٤٩) بتصرف.

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].
المعنى في حق الله سبحانه:

قال ابن جرير: «الحكيم» الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل.

وقال في موضع آخر: حكيم فيما قضى بين عباده من قضاياه^(١).

قال ابن كثير: الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محلها بحكمته وعدله^(٢).

وقال الحليمي: «الحكيم» ومعناه الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم^(٣).

وقال الزجاج: حكيم بمعنى مُحَكِّم، والله تعالى مُحَكِّمٌ للأشياء كلها، متقن لكل ما خلق.

كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]^(٤).

(١) «جامع البيان» (٤٣٦/١)، (٣٦٣/٢).

(٢) «تفسير القرآن» (١٨٤/١، ٣١٥، ٤٥٩).

(٣) «المنهاج» (١٩١/١).

(٤) «تفسير الأسماء» (ص ٥٢).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

إن الله سبحانه هو الحكيم في كل شيء، قاله أو فعله، أعطاه أو منعه، قدره، أو خلقه.

١- فهو الحكيم في كلامه؛ فكلام الله كله حكمة، وقوله كله إحكام وعظمة، ومن ذلك ما قال الله في القرآن: ﴿يَس (١) وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [يس: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَضَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

٢- وهو الحكيم في قضائه وأحكامه، فإن أحكام الله لا تنشأ عن هوى، ولا يدخلها جهل ولا يتبعها خلل.

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

٣- وهو الحكيم في خلقه، خلق كل شيء آية في مكانه، ولا يغير.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

٤- وهو الحكيم في عطائه ومنعه، فيعطي من يستحق ما يستحق، فلا يسبق أحدًا أو انه، وكل شيء وكل رزق يأتي في زمانه، فإن أعطى أعطى بحكمة، وإن منع منع بحكمة، ما أعطى سرفًا، ولا منع بخلاً، وكل شيء عنده بمقدار.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

يؤتي الحكمة من يشاء؛ فالحكمة من أوسع الرزق، فإن أوتيها إنسانٌ أصبح له في الناس ذكرٌ كثيرٌ وأضحى له بينهم قدرٌ كبيرٌ.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال القرطبي^(١): واختلف العلماء في الحكمة هنا:

فقال السدي: هي النبوة.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه، ومتشابهه، وغريبه، ومقدمه، ومؤخره.

وقال مجاهد: الحكمة هي الفقه في القرآن، وقال أيضاً: الإصابة في القول والفعل.

وقال مالك بن أنس: الحكمة: المعرفة بدين الله والفقه في الدين والعمل به، وقال الربيع بن أنس: الحكمة الخشية.

قال القرطبي: وكل ما ذُكر قريبٌ من بعضه البعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذُكر فهو نوع من الحكمة، فكتاب الله حكمة، وسُنَّة نبيه ﷺ حكمة،

وأصل الحكمة ما يمتنع به من السَّفه، فقليل للعلم حكمة لأنه يمتنع به، وبه يُعلم الامتناع من السَّفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن، والعقل والفهم،

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٣٠).

وفي البخاري: قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

قال بعض الحكماء: مَنْ أُعْطِيَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَاضَعَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ دُنْيَاهُمْ، فَإِنَّمَا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي الدُّنْيَا: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧].

وسمى الحكمة من القرآن والسُّنَّةِ ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ^(١).

فَضَّلَ اللَّهُ أَنْبِيَائَهُ وَأَوْلِيَائَهُ بِالْحِكْمَةِ :

فقد أوحى الله الحكمة إلى الأنبياء، وزَيَّنَ بها الأولياء؛ فقد قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال عن نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: ٦٣].

وقال عن عبده الصالح لقمان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

(١) المرجع السابق.

الدعوة إلى الله بالحكمة

وهذا من رحمة الله بخلقه من العصاة والمذنبين بل وحتى من الكافرين إذ يأمر الدعوة بالرفق بهم واللين معهم في دعوتهم.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن جرير: الحكمة هو ما أنزل الله على نبيه ﷺ من القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحُسن خطاب، كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] ^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق. فالمُستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يُدعى بطريق الحكمة. والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن ^(٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (١٣/٤) تفسير الآية (١٢٥) من سورة النمل.

(٢) «التفسير القيم» (١/٣٥٩).

تعليم الحكمة من أعظم النعم:

قال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

الحكمة: العلم الذي يمنع من الجهل، ويزجر عن القبيح^(٢).

دعاء النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالحكمة:

وهو من فضل الله على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ نشأ في بيت النبوة، فهو ابن عم رسول الله ﷺ وخالته ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة لرسول الله ﷺ، وكان يبيت عندها، وهذا ما حدث في إحدى الليالي.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْحِكْمَةَ»، وفي رواية: «اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ»^(٣).

وأنعم الله على أهل اليمن بالحكمة:

وهذا من فضل الله على أهل اليمن.

قال النبي ﷺ: «جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»^(٤).

(١) رواه البخاري (٧٣) باب: [الاغتراب في العلم والحكمة].

(٢) تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري (٢٥ / ١).

(٣) رواه البخاري (٣٧٥٦).

(٤) رواه البخاري (٣٤٩٩)، ومسلم (٥٢) باب: [تفاضل أهل الإيمان].

من نواذر الحكماء

حكم سليمان بين امرأتين.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذَّبُّ فَذَهَبَ بِابْنٍ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى».

* * *

«الواحد - الأحد» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

(الوَاحِدُ): ما كان واحداً لعدم نظيره، إما في الخلقة، كقوله: الشمس واحدة.

وإما في دعوى الفضيلة، كقولك: فلان واحد دهره، وكقولك: نسيج وحده.

كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نسيج وحده».

والواحد: ما كان واحداً لا متناع التجزي كالألماس.

والله هو (الواحد): أي الذي لا يصح عليه التجزي، ولا التكثر، أي: التعدد.

أما (الأحد): فهو يُستخدم على ضريين:

أحدهما - النفي فقط؛ فهو لاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل

والكثير، نحو:

ما في الدار أحد، أي: لا واحد ولا اثنان فصاعداً، لا مجتمعين، ولا مفترقين؛

كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

أي: لا مكافئ، ولا شبيه، ولا نظير، لا مفترقين، ولا مجتمعين، ولا قليلهم،

ولا كثيرهم.

الثاني - الإثبات، ومنه ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِ رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١].

أما إذا قصد به الوصف، فهو لا يُستخدم مُطلقاً إلا لله وحده سبحانه، كقوله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ورودهما في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الواحد) مقرونًا باسمه القهار - جل في علاه - ست مرات، منها:

- قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].
 - وقوله عزَّجَلَّ: ﴿أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].
 - وقوله تباركت أسماؤه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].
- ورد اسم الله (الواحد) مجردًا من (ال) اثنتا عشرة مرة، جاءت كلها باسم (الواحد) مقرونًا بالإله سبحانه:
- مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].
 - وكقوله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ﴾ [النساء: ١٧١].

أما اسم الله (الأحد) سبحانه فلم يأتي في القرآن إلا مرة واحدة فقط:

- في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

معنى الاسمين في حق الله سبحانه:

قال الخطابي: «(الواحد) هو الذي لم يزل وحده منفردًا، ولم يكن معه آخر. وقيل: «هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير»^(١).

قال ابن كثير: «(الواحد) فإنه لا يشابهه شيء، ولا يماثله، ولا ندَّ له، ولا

(١) «شأن الدعاء» (ص ٨٢).

عدل^(١) له، ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٢).

قال البغوي: «(الواحد) أي: لا ثاني له»^(٣).

قال العزبن عبد السلام: «(الأحد) هو المنفرد بصفاته، فلا شبه له ولا مثل»، وقال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ سُمِّيَتْ سورة الإخلاص لأن قرائتها خلاص من عذاب الله، ولأن فيها إخلاص الله تعالى من شريك وولد، أو لأنها خالصة لله تعالى ليس فيها أمر ولا نهى»^(٤).

وقال ابن كثير: «(الأحد) هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل.

ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عزَّجَل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله»^(٥).

(الواحد): يثبت الوجدانية، وينفي التعدد والمشاركة.

(الأحد): يثبت التفرد وانعدام المشابهة والمكافئة - والله أعلم -.

توحيد الله قبل كل شيء :

فتوحيد الله سبحانه أساس الإسلام الذي يُبنى عليه، وأول فرائضه، وأهم

(١) عدل: أي عديل، أو مكافئ.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٤٦).

(٣) «تفسير البغوي» (٢/٤٩٣) تفسير [سورة يوسف الآية ٣٩] - إحياء التراث.

(٤) «تفسير العزبن عبد السلام» (٣/٥٠٧) - تفسير [سورة الإخلاص، وقوله: «ليس فيها أمر ولا نهى»]، أي: في عبادات أو معاملات، لكن الأمر هاهنا للإيمان والاعتقاد، وتوحيد الله بقوله: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

(٥) «تفسير ابن كثير» (٨/٥٢٨) - تفسير [سورة الإخلاص].

أركانه ومعانيه، ولا تصح فرائض الإسلام إلا بعد التوحيد، ولا تُقبل الطاعات إلا من بعد تحقيقه.

تقديم التوحيد في الدعوة إلى الله :

لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أهل اليمن، قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...»^(١).

وقد أتى رجل في بعض الغزوات إلى النبي ﷺ مُقَنَّع بالحديد، فقال: يا رسول الله، أقاتل أو أسلم؟

قال النبي ﷺ: «أسلم ثم قاتل».

فأسلم، ثم قاتل، فَقُتِلَ.

فقال رسول الله ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا»^(٢).

فَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ :

فقد خلق الله سبحانه الخلق جميعًا وحده، وأحياهم وحده.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وهو الرزاق وحده :

فلا يُرزق أحدٌ إلا من خزائنه، ولا يأكل أحدٌ إلا من خيرهِ وبرهِ.

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باب: [ما جاء في دعاء النبي ﷺ أُمته إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وتماهه: «... فإذا صلُّوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فتُرد على فقيرهم، فإذا أقرُّوا بذلك فُخِّذَ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس»].

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٨)، باب: [عمل صالح قبل القتال].

في شرح الأسماء الحسنى

٢٤١

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النحل: ٦٤].

ولذلك فهو المعبود وحده:

فبما أن الله سبحانه هو الخالق وحده، والرزاق وحده، والمالك وحده؛ إذاً فهو الذي يستحق أن يُعبد وحده.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

الله واحد سبحانه وتعالى:

فالله واحد في نفسه، وواحد في أسمائه، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، وواحد في ربوبيته، وكذلك هو واحد في ألوهيته - سبحانه جل جلاله -.

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

إنما هو إله واحد:

فالله هو الإله الواحد، فليس له شبيه ولا شريك.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾.

[النحل: ٥١]

ليس معه آلهة أخرى:

ولذلك شهادة التوحيد لا تصح إلا بالكفران بما يُعبد من دون الله، ونفي

كل إله إلا هو سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَيُنْظَرُ لَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ

وَجِدْ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿[الأنعام: ١٩].

لا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيراً لكم).

هكذا قد نهى الله سبحانه من يدعون له زوجة، أو ينسبون له ولداً، ولم يوحّدوه، بل جعلوه ثلاثة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿[النساء: ١٧١]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[المائدة: ٧٣].

الله واحد فلا شبيه له ولا شريك.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١].

ولا ند له ولا مكافئ.

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿[الإخلاص: ٤].

فهو الواحد الأحد في كل شيء.

فهو الواحد الأحد في أسمائه فليس لأحد مثل أسمائه، ولا يشاركه فيها، وهو الواحد الأحد في صفاته فليس لأحد مثل صفاته ولا يشاركه فيها، وهو الواحد الأحد في ربوبيته فليس لأحد مثل ربوبيته ولا يشاركه فيها، وهو الواحد الأحد في ألوهيته فليس لأحد مثل ألوهيته ولا يشاركه فيها جَلَّ جَلَالُهُ.

في شرح الأسماء الحسنى

٢٤٣

«الله الواحد الصمد» ثلث القرآن:

قال النبي ﷺ: «أعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟».

قالوا: وكيف يُقرأ ثلث القرآن؟

قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»^(١)، وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «اقرأ عليكم ثلث القرآن؟» فقرأ: «قل هو الله أحد الله الصمد» حتى ختمها^(٢).

وهذه رواية جميلة لهذا الحديث:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»،

فحشد مَنْ حشد، ثم خرج نبيُّ الله ﷺ فقرأ: «قل هو الله أحد» ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبرٌ جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبيُّ الله ﷺ فقال: «إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»^(٣).

لا تتقائها^(٤):

فقد أقسم رسول الله ﷺ على فضلها وعلى قدرها.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾،

(١) رواه مسلم (٨١١)، باب: [فضل قراءة «قل هو الله أحد»].

(٢) المصدر السابق (٨١٢).

(٣) رواه مسلم (٨١٢)، باب: [فضل قراءة «قل هو الله أحد»].

(٤) لا تتقائها: لا تظن أنها قليلة.

يرردها، فلما أصبح؛ جاء إلى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»^(١). وفي رواية: «أن رجلاً قام في زمن النبي ﷺ يقرأ من السحر ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما أصبحنا أتى الرجل النبي... بنحوه»^(٢).

من أحبها أحبه الله، وادخله الجنة.

فقد كان رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ يقرأ بـ«قل هو الله أحد» في كل ركعة، يبدأ بها، ثم يقرأ بعدها ما شاء. فلما سأله رسول الله ﷺ: «.. ما يملكك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟»، فقال: «إني أحبها»، فقال ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة»^(٣). وفي رواية: قال النبي ﷺ لأصحابه: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: «لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها»، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحب»^(٤).

قم يا مَدِحِ الله.

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ كل يوم خمسين مرة، نودي يوم القيامة من قبره: قُمْ يَا مَدِحِ الله فادخل الجنة»^(٥).

(١) رواه البخاري (٥٠١٣)، باب: [فضل «قل هو الله أحد»].

(٢) المصدر السابق (٥٠١٤).

(٣) رواه البخاري (١٥٥/١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باب: [الجمع بين السورتين في ركعة].

(٤) رواه البخاري (٧٣٧٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١١٣٤) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يروه عن أبي الزبير إلا زهير. تفرد به عبد الرحمن وهو ثقة.

عشر مرات بقصر في الجنة.

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة»^(١).

الدعاء بهذين الاسمين الكريمين:

- دعاء للمغفرة:

دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن لك كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم. فقال رسول الله ﷺ: «قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له»^(٢).

- وهذا دعاء لا يُرد سائله:

سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك إني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوًا أحد. فقال ﷺ: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٤٣٧/٥)، وابن السني (٦٨٧)، وصححه الألباني، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٥٨٩)، و«صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٦٤٧٢).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٩٨٥)، والنسائي (١٣٠١)، وأحمد في «مسنده» (١٨٩٧٤)، والحاكم في «المستدرک» (٩٨٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (١٤٩٣)، والترمذي وزاد فيه: قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سأل...»، «سنن الترمذي» (٣٤٧٥)، وصححه الألباني.

كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

جاء في (الأثر): «إن لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة، ولها من الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذباً حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غداً فحاسبه»^(١).

فأهلها هم أهل الجنة.

قال النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»^(٢).

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «اعلم أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣).

وهم أسعد الناس بشفاعته رسول الله ﷺ.

قال النبي ﷺ: «أسعد الناس يشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(٤).

وهذه رواية جميلة عن كلمة التوحيد، وفيها:

«أن الله سبحانه يفتح السماوات لينظر إلى من يقولها بغير حجاب».

قال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو

(١) «مسند البزار» وغيره عن عياض الأنصاري.

(٢) رواه البخاري (١٢٨) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٣٢).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١٢٣٣٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٠٦)، وأبو يعلى الموصلي (٣٨٩٩)، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٤) رواه البخاري (٩٩)، باب: [الحرص على الحديث].

على كل شيءٍ قدير، مُخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه إلا فَتَقَّ اللهُ له السماء فَتَقّاً حتى ينظر إلى قائلها من الأرض، وحق لعبدٍ نظر الله إليه أن يُعطيه سؤاله^(١).

وهذه دعوة مُستجابة لا تُردُّ:

وهو الدعاء لله، والتوسل إليه بتوحيده سبحانه.

قال النبي ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(٢).

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٩٧٧٢)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٨)، و«التوحيد» لابن خزيمة، و«الدعاء» للطبراني (١٧٣٠)، وصححه الألباني في «كلمة الإخلاص» لابن رجب الحنبلي (٦١).

(٢) رواه أحمد (١٤٦٢) في «المسند»، والترمذي (٣٥٠٥) في «سننه»، وصححه الألباني.

«الْقَهَّارُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللُّغَوِي^(١) :

(القهر): الغلبة والأخذ من فوق.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقال فرعون: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وقهره يقهره قهراً، وأخذتهم قهراً، أي: من غير رضاهم.

قال الأصهباني: «(القهر) الغلبة والتذليل معاً، ويُستخدم في كل واحد منهما.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، أي: لا تُذَلِّل.

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم «القهار» في القرآن الكريم ست مرات، وجاءت كلها مقترنة مع

اسم الله «الواحد» سبحانه، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿أَزْيَبُ مُمْفِرُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

- وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

- وقوله عزَّجَلَّ: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن كثير: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب،

وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء،

(١) «النهاية» (٤/ ١٢٩)، «لسان العرب» (٥/ ٣٧٦٤)، «المفردات» (٦٨٧).

ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه
وقدرته على كل شيء،

واستكانت له المخلوقات وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه^(١).

قال الخطابي: «(القَهَّار) هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر
الخلق كلهم بالموت»^(٢).

وقال الزجاج: «(القَهَّار) والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلائل
على وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت»^(٣).
قال ابن القيم:

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حيًا عزيزًا قادرًا ما كان من قهرٍ ومن سلطان

الواحد القهار:

فقد اقترن هذان الاسمان كلاهما بالآخر في كل المواضع الستة التي ورد
فيها اسم «القَهَّار». جاء بعد اسم الله «الواحد» سبحانه.

وهنا سببان لاقترانهما:

١ - كل من يقهر الناس يحتاج أعوانًا إلا الله، فهو وحده القَهَّار بغير مُعين.
فهؤلاء هم الحكام الظالمون، والملوك الطاغون الذين يقهرون رعيتهم
ويظلمونهم يحتاجون إلى وزراء يُدبِّرون لهم المكائد، وإلى جنود لِيَنْفِذُوا أوامرهم،

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢٦)، (٢/ ١٣٨، ٤٧٩)، (٤/ ٧٤)، وانظر: «النهج الأسمى» (١/ ١٨٢).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٣)، وانظر: «فتح القدير» (٣/ ٧٤).

(٣) «تفسير الأسماء» (ص ٣٨).

وإلى جيوش ليحمونهم من غضب الغاضبين، وإلى أسلحة لقتل العُزَل،..
لذلك قال فرعون وهو يستنفر وزرائه وجنوده لتعذيب بني إسرائيل: ﴿سَنُقْتِلُ
أَبْنَاءَهُمْ﴾، ولم يقل: «سأقتل»، وقال: ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، ولم يقل: «أستحيي»،
وقال: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، ولم يقل: «وإني فوقهم قاهر».

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ
وَأَهْلَكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. أما
الله سبحانه فقد قهر الخلق جميعا وحده، ووحدته فقط من فعل هذا.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].
وكذب ابن هانئ حينما خاطب حاكم مصر الشيعي، المعز الفاطمي
بقوله^(١).

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهَّار
وكذب كل من قالها لغير الله سبحانه.

٢- أن الله سبحانه هو «القَهَّار» بالحق الذي لا يشاركه فيه غيره:
ولذلك انظر إلى المواضع الست التي جاء فيها اسم الله «القَهَّار» بعد اسمه
«الواحد» ستجدها كلها في وحدانية الله سبحانه.

- في توحيد الربوبية (فهو الرب الواحد القهَّار):
فهاهم الأرباب متفرقون، ضعفاء، مُتَشَرِّذُونَ إلا الله وحده رب كل شيء.
قال تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

(١) «الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية» (٢/ ٥٥١).

- هو الخالق القهار وحده:

فهاهم الخلق كلهم عاجزون عن أن يخلقوا ذرة أو يُنبِتوا بُرة.
قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

_هو الذي يقهر الخلق على البعث وحده:

قُل لي: من الذي يستطيع أن يُبدِّل أرضاً غير أرضنا وسماوات غير سمائنا
ويأتي بغيرها؟، من الذي يستطيع أن يبعث الموتى من قبورهم فإذا هم قيام
ينظرون حُفَاءَ عُرَاءٍ غُرًّا لا يملكون.
قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

_وهو الإله القهار وحده:

فانظر إلى هذه الألوهية التي قُهر لها من في السماوات والأرض.
قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].

_هو القهار للوحدة والوحشة وحده:

فهو سبحانه لم يخلق الخلق ليستأنس بهم من وحشة، ولا ليستكثر بهم من
قلة،

وما اتخذ صاحبة ولا ولداً، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحتاج إلى زوجة ولا ولد ولا
عائلة ولا مجتمع كما يحتاج الخلق.

قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

تحريم قهر الناس:

بالذات الضعفاء؛ كاليتامى والنساء، فإن قلوبهم سريعة الانكسار، وسنذكر هنا أربعة أنواع هؤلاء الضعفاء:

١ - قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

قال الفراء والزجاج: «لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت تفعل العرب في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم»^(١).
وخصّ اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلّظ في أمره بتغليظ العقوبة في ظلمه^(٢).

قال قتادة: «كُنْ لليتيم كالأب الرحيم»^(٣).

٢ - النهي عن إيذاء النساء:

وهذه وصية من الله ورسوله للزوج، فلا يضربن زوجته ضرباً مبرحاً ويؤذيها، ثم لعله يحتاج إلى قربها في آخر يومه، فبأي يد ستلمس الجلد الذي ضربته؟! وبأي قلب سوف تسعد بالقلب الذي كسرتة؟!
قال النبي ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم»^(٤).

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٢٦٩) - تفسير [سورة الضحى].

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٠٠) - تفسير [سورة الضحى].

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٧) - تفسير [سورة الضحى].

(٤) رواه البخاري (٥٢٠٤)، باب: [ما يكره من ضرب النساء].

٣- الخدم ومن هم تحت ولايتك:

وهؤلاء الضعفاء والمساكين أيضًا؛ كالخدم والعبيد ومن هم تحت سيطرة الأغنياء والسادة، فإن النبي ﷺ يُذكر بقدرة الله على من يظلمهم، وقهره سبحانه فوق من يقهرهم.

عن أبي مسعود البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني إذ هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، فقلت: لا أضرب مملوك بعده أبدًا^(١). وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حرٌ لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفتحك النار - أو: لمستك النار»^(٢).

٤- السائلين:

والسائل قد صادف قلبه انكسارٌ لحاجته، سواء كانت حاجة للمال أو الطعام، أم كانت في السؤال عن دينه طلباً للعلم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

قال البغوي^(٣): «قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: «لا تنهره، لا تزجره، إذا سألك فقد كنت فقيرًا، فإما أن تطعمه، وإما أن ترده ردًا لينًا».

(١) رواه مسلم (١٦٥٩)، باب: [صحبة المالك وكفارة من لطم].

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢٧٠ / ٥).

قال إبراهيم بن أدهم: «نعم القوم السُّؤال^(١)؛ يحملون زادنا إلى الآخرة».

وقال إبراهيم النخعي: «السائل يريدنا إلى الآخرة، يحبىء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟».

وروى الحسن في قوله ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قال: «طالب العلم».

وقال سفيان: «هو السائل عن الدين، أي: فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجبه برفق ولين».

قال ابن العربي: «وأما السائل عن الدين، فجوابه فرض على العالم. وقد كان أبو الدرداء ينظر إلى أصحاب الحديث ويبسط لهم رداءه ويقول: مرحباً بأحبة رسول الله ﷺ»^(٢).

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة، فقال عن رسول الله: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده احسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني»، فقال رسول الله ﷺ له: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»^(٣).

(١) السُّؤال: أي السائلون المحتاجون.

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠٢/٢٠) - تفسير [سورة الأضحى].

(٣) والحديث رواه مسلم (٥٣٧)، باب: [تحريم الكلام في الصلاة]، وبدايته: «قال معاوية بن الحكم رضي الله عنه: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمّتونني لکنني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي..» وذكر الحديث.

«الغفور، الغفار» تَبَارَكَ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

أصل الغُفَر: التغطية والستر، غفر الله له ذنوبه: سترها وتقول العربُ: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه أي: أحمل له وأعطى له، وكذا غفر الشيب بالخضاب وأغفره أي: ستره، والمغفرة: التغطية: هو حلق يتقنع به المتسلح يقيه ويستتره^(١).

وقيل: هو مأخوذ من الغفر نبت تُداوى به الجراح إذا ذرَّ عليها دملها وأبرأها بإذن الله^(٢)، وهذا يبين أن المعصية داء والمغفرة دواء.

الدليل الشرعي:

ورد الاسمان الغفار والغفور جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه - في القرآن والسنة وقد ذكر اسمُ الله الغفور في القرآن في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه الغفار فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار، والغفار أبلغ من الغفور وكلاهما من أبنية المبالغة، فمن المواضع التي ورد فيها اسم (الغفور).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

وقال أيضًا: ﴿هُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [الزّوج: ١٤].

(١) «تفسير الأساء للزجاج» (ص: ٣٧) و«النهاية» (٣/ ٣٧٣)، و«اللسان» (٤/ ٢٧٤٣)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٣٤٨).

(٢) «الأسنى» للقرطبي (١/ ١٥٢).

وأما الغفار فقد جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال الزجاج: ومعنى الغفر في حق الله سبحانه هو الذي يستر الذنوب لعباده ويغطيهم بستره^(١).

وقال الخطابي: فالغفار السّتر لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته ومعنى السّتر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهره في عيونهم^(٢).

وقال أبو عبيد الله: والمغفرة من الذنوب إنما هو إلباس الله الناس الغفران وتغمدهم به^(٣).

وقال السعدي رحمه الله: (العفو - الغفور - الغفار).

الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كلُّ أحدٍ مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]^(٤).

(١) «تفسير الأسماء» (ص: ٣٨).

(٢) «شأن الدعاء» (ص: ٥٢).

(٣) «غريب الحديث» (٣/ ٣٤٨).

(٤) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠).

وقال ابن القيم في «النونية»:

وهو الغفور فلو أُتي بقرابها من غير شرك بل من العصيان
لأتاه بالغفران ملء قرابها سبحانه هو واسعُ الغفران^(١)

وقيل: إن (الغفار، والغفور) صيغتي مبالغة لصفة المغفرة لله عزَّ وجلَّ فالغفور على وزن فعول أي كثير المغفرة في العدد والتكرار وأما (الغفار) على وزن (فَعَّال) أي يغفر مغفرة عظيمة في قدرها وأثرها فالغفور يناسب كثرة خطايا الخلق وتكرارها و(الغفار) يناسب عظيم الإجرام وكبير الآثام وكلا النوعين من الذنوب واقع من الخلق فسبحان الله الذي يعامل خلقه بما يناسبهم من أسمائه وصفاته.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

أولاً- معرفة الله وحبه:

من عرف مغفرة الله لعباده على ظلمهم، وعظيم عفوه عنهم مع إساءتهم فقد عرف جانباً عظيماً من صفات الله جلَّ جلاله، وإليك جانباً من هذه الصفات:

١ - لا يغفر الذنوب إلا الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الْعَنْكَر: ١٣٥].

قال ابن كثير: أي لا يغفر أحدٌ سواه.

وعن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير فقال: اللهم إني أتوب إليك

(١) «النونية» (٢/ ٢٣١).

ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ: «عرف الحق لأهله»^(١).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «... وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٢).

٢ - إن ربك واسع المغفرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [البقرة: ٣٢]، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَغْفِرَتُهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٣).

٣ - إن الله يغفر الذنوب جميعاً:

فمهما عَظُمَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ فَإِنَّ مَغْفِرَةَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ أَكْبَرُ مِنْهَا بَلْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا يَيْأَسُ مِنْ عَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ أَحَدٌ أَبَدًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: قَدْ دَعَا اللَّهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عَزِيرًا ابْنَ اللَّهِ،

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري، وأبو أي: أقر وأعترف.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء من قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾. ثم قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عَزَّجَلَّ^(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الغرف: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٢).

وقال النبي ﷺ: «لويعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»^(٣).
حتى الشرك يغفره الله لمن تاب فما أعظم ربنا وما أكرم إلھنا وما أحته على خلقه وهو غني عنهم، وما أحبه لتوبتهم وهم لا يضررونه شيئاً ولا ينفعونه!!
ولله درُّ القائل:

يا ربِّ إن كثرت ذنوبٌ عظيمة فلقد علمتُ أن عفوك أعظمُ
دعوتك ربي كما أمرت تضرعاً فإذا رددت فمن ذا يرحمُ
إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وعظيمُ عفوك ثم إنني مسلمُ

(١) «تفسير ابن كثير» (٥٨/٤) وآيس الناس: أي: قنطهم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥٨/٤).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٥/٤) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به.

٤ - الستر على عبده :

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّرَّ»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ

وهو الكريم فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره فهو الغفور وصاحب الغفران

فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يحب الستر على عباده في الدنيا والآخرة.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْنُوا أَحْذَكُمُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنْفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرَرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»^(٢). وفي رواية: «فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادِي بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ»^(٣).

وإذا ستر الله مؤمناً في الدنيا فكذلك يستره يوم القيامة:

فعن أبي رَجُلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتَرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

-
- (١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٠١٢/٤) والنسائي (٢٠٠/١)، والبيهقي من طريق أبي داود (١٩٨/١) عن النفيلى، حدثنا زهير عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي عن عطاء عن يعلى به.
- (٢) رواه البخاري في «الأدب» (٤٨٦/١٠)، وفي «التوحيد» (٤٧٥/١٠).
- (٣) رواه البخاري في «المظالم» (٩٦/٥)، وفي «التفسير» (٣٥٣/٨)، ومسلم في «التوبة» (٢١٢٠/٤).
- (٤) رواه مسلم في «البر والصلة والأدب» (٢٠٠٢/٤).

بل ويستر من ستر المسلمين فقد قال النبي ﷺ: «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١).

ويذم من يتبع عورات المسلمين، ويفضح أمرهم، ويكشف سترهم وتوعدهم على ذلك، فقد قال النبي ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا غتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم، يتبع الله عورته ومن يتبع عورته يفضحه في بيته»^(٢). فسبحان الله على ستره لمن عصاه ورحمته بمن جافاه!!

ولله در القائل:

فكم عصيتك يا مولاي من جهل وأنت يا سيدي في الغيب تسترني
لأبكين بدمع العين من ندم لأبكين بكاء الواله الحزن

٥- إن الله يحب التوابين:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب التوبة أكثر من حب التائب لها، ويحب المغفرة أكثر من حب الناس أن يُغفر لهم.

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن حبه تَبَارَكَوَتَعَالَى للتوبة والاستغفار أنه إذا لم يُذنب الناس لذهب بهم

(١) رواه البخاري في «المظالم» (٩٧/٥)، ومسلم في «البر والصلة» (١٩٩٦/٤) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعاً، وأوله: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه...».

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤٢٠-٤٢١) وأبو داود (٤٨٨٠/٥) عن الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي بزة السلمي مرفوعاً.

ولأتى بقوم ليذنبوا فيستغفروا ليغفر لهم، فعن أبي رَؤَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم»^(١).

وقد أحسن من قال:

دعوتُ كريماً قد وثقت بصنعه وليس من يدعو الكريم يخيبُ
فيا من يحبُّ العفو إني مذنّب ولا عفو إلا أن تكون ذنوبُ

٦ - ويفرح بهم:

عن أنس بن مالك رَؤَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»^(٢)»^(٣).

وفي رواية مسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت^(٤) منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس^(٥) منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده بخطامها^(٦) ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

(١) رواه مسلم.

(٢) فلاة: أي: أرض واسعة لا نبات بها ولا ماء.

(٣) متفق عليه.

(٤) فانفلتت: هربت.

(٥) أيس منها: يأس من الحصول عليها.

(٦) خطامها: الحبل الذي تقاد به الدابة.

٧- ويضحك إليهم :

عن أبي رَضاَ اللَّهِ عَنْهُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُضْحِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ؛ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيَسْلَمُ فَيَسْتَشْهَدُ»^(١).

٨- وَيُسَخِّرُ لَهُمْ مَخْلُوقَاتِهِ :

فَمِنْ عَظِيمِ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يُحِبُّ لِلتَّائِبِينَ الرَّحْمَةَ وَالْقَبُولَ، وَأَنْ يَدْخُلَهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى أَنَّهُ يُسَخِّرُ لَهُمُ الْأَرْضَ مِثْلَ مَا حَدَثَ فِي تَوْبَةِ قَاتِلِ الْمَاءَةِ؛ إِذْ أَوْحَى لِلْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهُ وَأَنْ تَبْتَعدَ عَنْهُ الْأَرْضُ الْخَبِيثَةُ حَتَّى تَأْخُذَهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ!!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضاَ اللَّهِ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَيْتَ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا» وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «فَإِنْ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ: أَنْ تَقَارِي، وَأَوْحَى إِلَى هَذِهِ: أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قَيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ^(٢) أَقْرَبَ بِشَبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ»^(٣).

٩- وَيَغْضَبُ عَلَى مَنْ قَنَطَ النَّاسَ مِنْ رَحْمَتِهِ :

عَنْ جَابِرٍ رَضاَ اللَّهِ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ،

(١) متفق عليه.

(٢) هذه: أي الأرض الطيبة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٠/٦)، ومسلم (٢١١٨/٤).

قال الله: مَنْ ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك»^(١)، وفي رواية قال: «فوالذي نفس أبي القاسم بيده، لتكلم بكلمة أوبقت^(٢) دنياه وآخرته»^(٣).

ثانياً - المسارعة إلى التوبة بعد الذنب؛

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ١٣٣].

أخي الحبيب: أسرع أسرع. أدرك أدرك. ولا تترك حبيبك من أجل من يبغضك، ولا تخاصم مولاك من أجل عدوه وعدوك، وفرّ إليه من ذنوبك تجده أرحم بك من نفسك وأحنّ عليك من أمك، وأسرع إليه تجده إليك أسرع فإنه إلى توبتك بالفرح.

قَالَ تَجَالَى في الحديث القدسي: «والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهول»^(٤).

ثالثاً - اغضروا يغفر لكم؛

ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟

من غفر للناس غفر الله له، ومن تجاوز عنهم تجاوز الله عنه والجزاء من

(١) رواه مسلم.

(٢) أوبقته: أي أهلكته.

(٣) حسن: أخرجه أحمد (١٦/ ٨٢٧٥) عن أبي رَجَاءٍ عَنِ النَّبِيِّ عَزَّ وَجَلَّ.

(٤) أخرجه البخاري [٢٦٧٥]، من حديث أبي رَجَاءٍ عَنِ النَّبِيِّ عَزَّ وَجَلَّ.

جنس العمل. عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يغفر الله لكم»^(١).

وعن أبي رَجُلٍ عَنْهُ قَالَ: قال النبي ﷺ: «كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت مُعْسِراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه»^(٢).

رابعاً - من علامات المغفرة:

إن من الحق أن نعلم أن المغفرة بيد الله وحده ولا يعلمها إلا الله، ولكن الله عزَّ وجلَّ قد جعل لها علامات ومُبشرات، فمن رُزق إياها يُرجى أن يكون غُفر له.

١ - أن يُرزق توبةً نصوحاً:

قال: ﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّائِبَةُ: ٣٩].

وقيل: «من رزق التوبة لم يُحرم من القبول، ومن رزق الشكر لم يحرم من الزيادة، ومن رُزق التوكل لم يُحرم من الكفاية، ومن رزق الاستغفار لم يحرم من المغفرة، ومن رزق الدعاء لم يحرم من الإجابة».

وقيل عن التوبة النصوح: هي التوبة الصادقة من كل الذنوب والخطايا.

٢ - الندم:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥ - ٢١٩) والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٨٠] وانظر: «الصحيحة» [٤٨٠].

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي سعيد الأنصاري وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»

٣- فرحة التائب بالغفرة:

فإن التائب الذي نجا من ذنبه وخرج من معصيته كغريق أنقذ بعد ما رأى الموت، وكمرريض شُفي بعد ما يأس من الشفاء وكأم وجدت ولدها بعد ضياعه منها، ومن ذلك ما فعله كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بُشِّرَ بالتوبة من الله فقد خرَّ ساجدًا؛ شكرًا لله وتصدق بكثير من ماله وأعطى من بَشَرِهِ بالتوبة ملابسه التي يرتديها وهو لا يملك غيرها.

فعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال حين سمع البُشرى: «فخررت ساجدًا وعرفت أنه جاء فرجٌ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ»، فلما أتى رسول الله ﷺ قال له: «إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله»^(١).

٤- البكاء من خشية الله:

قال النبي ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عينٌ بكَّتْ من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(٢).

ألا يا عيني ويحك أسعديني بطوع الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بخير الدهر في تلك الليالي
قال عمر بن ذر: «ما رأيت باكيًا قطَّ إلا خيل إليَّ أن الرحمة قد تنزلت عليه»،

رقم [٦٨٠٣].

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح، رواه أبو يعلى في «مسنده»، والضياء عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٩٩٢].

وعن ثوبان مرفوعاً: «طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»^(١).

وقال سفيان بن عيينة: البكاء من مفاتيح التوبة، ألا ترى أنه يرق فيندم.

وعن مجاهد: أن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بكى من خطيئته حتى هاج ما حوله، وقد يكون البكاء أيضاً من حياته من الله عَزَّجَلَّ.

٤ - تبديل السيئات حسنات:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ٧٠].

وفي معنى هذه الآية قولان:

القول الأول: أنهم يبدلون مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في هذه الآية: هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات حسنات^(٢).

وقال عطاء بن أبي رباح: هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيراً^(٣).

وقال سعيد بن جبير: أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن، وأبدلهم

(١) حسن، رواه الطبراني في «الصغير»، وأبو نعيم في «الحلية»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٩٢٩].

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات^(١).

وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيء العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً، وأبدلهم بالفجور إحصاناً، وبالكفر إسلاماً^(٢).

أما القول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات^(٣):

عن أبي ذر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخرَ أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أَعْرَضُوا عليه صغارَ ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغارُ ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنة، فيقول: رَبِّ قد عملتُ أشياء لا أراها هاهنا»، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه^(٤).

خامساً - من موانع المغفرة:

١ - الشرك:

فإن المشرك قد كفر بالله الذي له صفة المغفرة والذي لا يغفر سواه؛ فكيف يغفر لمن كفر بمن يغفر الذنوب ويستتر العيوب، ولذلك قَالَ الْعَجَّالِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) رواه مسلم (١/ ٣١٤)، وأحمد (٥/ ١٧٠)، والترمذي (٤/ ٢٥٩٦).

٢- أصحاب البدع:

فكما أن أصحاب البدع يريدون للناس الضلال، ويحبون حياة الظلام فإن الله لا يخرجهم إلى نور التوبة والهداية، حتى يتوبوا من ذلك.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بَدْعَهُ»^(١).

٣- المجاهرة بالمعاصي:

فكما أن العاصي لا يستحي من ذنبه ويجهر به فإن الله لا يستر عليه ولا يغفر ذنبه.

فعن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنْ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يَصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٢).

٤- طلوع الشمس من مغربها:

وذلك حين يتغير نظام الكون ولا يكون أحدٌ من الناس على وجه الأرض إلا آمن، ولكن هذا موضع لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٤٢٠٢] والبيهقي في «الشعب» [٩٤٥٧] وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٨٦/١): إسناده حسن، وانظر: «الصحيح» [١٦٢٠].

(٢) أخرجه البخاري [٦٠٦٩] ومسلم [٢٩٩٠].

(٣) رواه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

٥- الغرغرة؛

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(٢).

٦- الهجران بين المسلمين؛

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعْرِضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ فَيَقُولُ: اتْرَكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٣).

سادساً- من أسباب المغفرة؛

فإن الله برحمته قد جعل للمغفرة أسباباً يُيسرُها لمن شاء ويوفق إليها من يريد، وسنعرض فيما يلي بعض هذه الأسباب، وهي كما يلي:

١- الإسلام يكفر كل ما سبق من السيئات؛ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، يَكْفُرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلْفَهَا وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بَعِشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، يغرغر أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه في سكرات الموت.

(٣) رواه مسلم.

أن يتجاوز الله عنها»^(١).

٢- الموت على التوحيد: قال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٢).

٣- الاتباع لرسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤- الأذان: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وملائكته يصلُّون على الصَّفِّ المقدَّم والمؤدَّن يغفر له مدَّ صوته، ويصدِّقه من سمعه من رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى معه»^(٣).

٥- الذكر عند الأذان: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمدٍ رسولاً، وبالإسلام ديناً غُفر له ذنبه»^(٤).

٦- إحسان الوضوء: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطايا من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره»^(٥).

٨/٧- المشي إلى المسجد وانتظار الصلاة: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أدلكم

(١) أخرجه البخاري [٤١].

(٢) أخرجه الترمذي [٣٥٤٠] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: حسن صحيح، وانظر «صحيح الجامع» الترمذي [٢٨٠٥].

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٤/٤) والنسائي [٦٤٥]، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانظر: «صحيح الجامع» [١٨٣٧].

(٤) أخرجه مسلم [٣٨٦] من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم [٢٤٥] من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(١).

وعن أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطَوَاتُهُ إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(٢).

٩- الصلاة: عن أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أُرَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا»^(٣).

وعن عثمان بن عفان رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَخَضَّرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كِبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»^(٤).

١٠- صلاة الجمعة: عن أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «من اغتسل، ثم أتى الجمعة فصلّى ما قُدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام»^(٥).

(١) أخرجه مسلم [٢٥١] من حديث أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٦٦٦].

(٣) أخرجه البخاري [٥٢٨]، ومسلم [٦٦٧] والدرن: الوسخ.

(٤) أخرجه مسلم [٢٢٨].

(٥) أخرجه مسلم [٨٥٧].

١١- صلاة ركعتين بعد الوضوء: يقبل عليها بقلبه ووجهه: عن النبي ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقوم فيركع ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة وغُفر له»^(١).

١٢- من وافق تأمينه تأمين الملائكة: قال أبو رَؤَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

١٣- السجود: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَظَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(٣).

١٤- الذكر دُبر كل صلاة: عن أبي رَؤَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غُفِرَ خطاياها، وإن كانت مثل زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٤).

١٥- قيام الليل: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنْ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمُطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١٤٦/٤)، ومسلم [٢٣٤] من حديث عقبة بن عامر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٧٨٠]، ومسلم [٤١٠].

(٣) أخرجه مسلم [٤٨٨] من حديث ثوبان وأبي الدرداء ب.

(٤) أخرجه مسلم [٥٩٧] من حديث أبي رَؤَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي في سننه عن بلال، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٠٧٩].

١٦- الصدقة: قال النبي ﷺ: «والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار»^(١).

١٧- صيام رمضان: قال النبي ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

١٨- قيام رمضان: قال النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣).

١٩- قيام ليلة القدر: قال النبي ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(٤).

٢٠- صوم يوم عرفة: قال النبي ﷺ: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة»^(٥).

٢١- صوم عاشوراء: قال النبي ﷺ: «صوم عاشوراء يُكفر سنة ماضية»^(٦).

٢٢- الحج المبرور: قال النبي ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٧).

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرک»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥١٣٦].

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه أحمد ومسلم والترمذي.

(٦) رواه أحمد ومسلم والترمذي.

(٧) رواه البخاري ومسلم عن أبي رَجُلٍ لَللَّهِ عَنْهُ.

وقال أيضاً: «...وأن الحج يهدم ما كان قبله»^(١). أي: يهدم ما كان قبله من الذنوب.

٢٣- العُمْرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»^(٢).

وقال أيضاً: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خَبث الحديد»^(٣).

٢٤- مسح الحجر الأسود والركن اليماني: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مَسْحَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ يَحُطُّانِ الْخَطِيَا حُطًّا»^(٤).

٢٥- الشهادة في سبيل الله: عن المقدم بن معديكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتٌّ خِصَالٌ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيَحِلُّ حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيَزُوجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»^(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»^(٦).

٢٦- ذكر الله: التسييح: عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُعْجِزُ

(١) رواه مسلم في «صحيحه» عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٣٢٩] (٢٨٣/١).

(٢) رواه مالك والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تحريجه.

(٤) صحيح رواه أحمد في «مسنده» والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢١٩٤].

(٥) رواه الترمذي (١٦١/٧) «فضائل الجهاد» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه [٢٧٩٩] واللفظ له، وأحمد (١٣١/٤)، وصححه الألباني.

(٦) رواه مسلم (٣٠/١٣) الإمارة.

أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة»^(١).

٢٧- قول سبحان الله وبحمده: عن أبي رَحوْلَةَ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّتْ خطاياهُ، وإن كانت مثل زَبَدِ البحر»^(٢)، وفي رواية: «من قال حين يمسي وحين يصبح».

٢٨- الصلاة على النبي ﷺ: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاة واحدة، صَلَّى الله عليه عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ وَرَفَعَتْ لَهُ عَشْرُ درجات»^(٣).

٢٩- كفارة المجلس: عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكرٍ كانت كالطابع يطبع عليه ومن قالها في مجلس لغوٍ كانت كفارة له»^(٤).

٣٠- العفو عن الناس: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[النور: ٢٢].

(١) صحيح: رواه مسلم، وأحمد في «مسنده»، والنسائي عن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٦٦٥ / ٥٢٠ / ١].

(٢) رواه البخاري ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والبخاري في «الأدب المفرد» والنسائي، والحاكم عن أنس، ورواه ابن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢ / ٦٣٥٩ - ١٠٨٨) وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بدون قوله: «حطت...».

(٤) صحيح: رواه النسائي، والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤٣٠].

عن أبي رَحوْلَةَ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ يَدَايْنُ النَّاسِ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»^(١)

٣١- السهولة في التجارة: عن جابر رَحوْلَةَ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى»^(٢).

٣٢- إماطة الأذى عن طريق المسلمين: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنًا شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَجَهُ فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ فَغُفِرَ لَهُ».

وفي رواية قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ»^(٣).

٣٣- عيادة المريض: عن علي رَحوْلَةَ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مَمْسِيًّا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَصْبَحَ، وَمِنْ أَنَاهُ مُصْبِحًا، خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَمْسِيَ»^(٤).

٣٤- تغسيل المسلم وتكفينه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَسْتَرَهُ، سَتَرَهُ اللَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ السُّنْدُسِ»^(٥).

٣٥- من صلى عليه مائة عند موته: عن ابن عمر رَحوْلَةَ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) رواه أحمد والبخاري، ومسلم، والنسائي.

(٢) صحيح رواه أحمد والترمذي والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤١٦٢].

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٧١٧].

(٥) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، ورواه أيضًا ابن بشران وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤٠٣].

«ما من رجل يصلي عليه مائة إلا غفر له»^(١).

٣٦- مصافحة المسلم أخاه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تصافح المسلمان، لم تفرق أكفهما حتى يغفر لهما»^(٢).

٣٧- البلاء: عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما يُصيبُ المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا أذىٍ ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣).

النَّصَب: أي التعب، والوَصَب: أي المرض.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبِّي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكيرُ خبث الحديد»^(٤).

٣٨- الصَّرع: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ يصرعُ صرعةً من مرض، إلا بعثه الله منها طاهرًا»^(٥).

٣٩- رحمة الحيوان: عن أبي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما كلب يُطيف^(٦) بركة^(٧) قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فتزعتُ

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» وأبو نعيم في «الحلية» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٧١٦].

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣].

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح: رواه مسلم عن جابر، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن سعد وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٣٢٣].

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء عن أبي أمامة، وكذا رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٧٤٣].

(٦) يطيف: يدور حول الشيء.

(٧) بركة: وهي البئر، و«الموق»: الخف.

مُوقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به»^(١).

٤٠- حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى: قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني»^(٢). فمن ظن أنه يرحمه رحمه، ومن ظن أنه يغفر له غفر له.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قال الله تعالى: من علم أنني ذو قدرة على مغفرة الذنوب، غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً»^(٣).
فعلى العبد المؤمن المحب لربه أن يعرف جميل صفحه، ويرجو عظيم عفوه وليقول بلسان حاله:

فلما قسى قلبي وضائق مذاهبي جعلتُ الرِّجَا مني لعفوك سُلْماً

تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً

سابعاً - ليس كمثله شيء في مغفرته :

١ - فمن يغفر من الناس إنما يغفر أخطاءً دون أخرى، فقد يغفر الصغائر دون الكبائر ويعفو عن القليل دون الكثير، وإذا غفر ذنباً كبيراً قد يتذكره لصاحبه بعد حين فيؤلمه ذلك ويشير عليه أحقادَه وضغائنه مرةً أخرى، وقد حدث مثل هذا لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أسلم الرجل الذي قتل زيد بن الخطاب أخا عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان يكره النظر إلى هذا الرجل، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يغفر

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم (١٩/٤) في «الذكر والدعاء» عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبخاري في «الأدب المفرد».

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣٠].

الذنوب جميعاً مهما عظمت كما سلف في الشرح.

٢- قد يغفر الناس لمن أساء إليهم مضطرين إلى ذلك؛ لمصلحة لهم عند من آذاهم أو خشية ممن ظلمهم أو لضعف منهم. أما الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يغفر عن عِزَّة، فقد أخبر الله عن نبيه عيسى أنه قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الملك: ١١٨].

ويعفو عن قدرة، قَالَ الْعَالِي: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

٣- قد يغفر الناس عن جهل بعضهم الجناية التي ارتكبت في حقهم، فمنهم من لو علم مدى الإساءة من الجاني، وتفاصيل معصيته، ومكره به، وترصده له لكي يظفر منه بلحظة غفلة كي يضره، أو يسيء إليه أو علم ما كان يخفيه في صدره من خيانة وسوء طوية لما استطاع أن يغفر له أبداً، أما الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يعلم كل شيء عن معصية العصاة الظاهر من أمرهم والباطن، ومع ذلك فإنه يغفر ويرحم، ويعفو ويتكرم ويتجاوز عما يعلم، وقد قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]؛ لذلك عندما سمع الإمام أحمد بن حنبل رجلاً يقول:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة أو أن ما تخفي عليه يغيب

فبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودخل بيته، وأغلق عليه الباب وهو يردد: «إذا ما خلوت الدهر

يوماً...».

لذلك قد جاء من الدعاء: «اللَّهُمَّ اغفر وارحم واعفو وتكرم، وتجاوز عما تعلم إنك

أنت الأعزُّ الأكرم».

٤ - قد يغفر العبد التقي لغيره ولكن هل يستطيع أن يمحو سيئات العاصي أو أن يصلح حاله أو يزيد في حسناته؟ كلا لا يفعل ذلك إلا الله؛ فإن الله يعفو ويغفر ويمحو السيئات، بل ويبدلها حسنات لمن حسنت توبته وخلصت نيته. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الزمر: ١٣٥]، لذلك حُقَّ للمؤمنين التائبين أن يقولوا لله: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ثامناً - دعاء الله باسميه الغفار والغفور:

١ - عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْعَفُورُ»^(٣).

٤ - عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكون من

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

* * *

(١) رواه مسلم.

«الودود» تَبَارَكَ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال ابن سيده: (الودُّ): هو الحب يكون في جميع مداخل الخير، ووددتُ الشيء أوده، وهو من (الأمنية) وشدة التعلق بحدوث الشيء.

مثل قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، أي: يتمنى أن يعيش ألف سنة وكقوله تعالى: ﴿يُضَرُّوهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَيْنِهِ﴾ [الحج: ١١-١٢].

قال ابن العربي: اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الزمر: ٢١]، وجمع بينهما الأصفهاني فقال: «الودُّ محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الودِّ؛ لأن التمني هو تشهِّي حصول ما توده»^(١).

ويأتي أيضًا بمعنى الملازمة مع التعلق، وجاء منها (الودد) بمعنى الودد لشوته ولشدة ملازمته للخيمة وتعلقه بها، وكان أصلها الودد ثم أضغمت الدالان.

وقيل أن الود يتفوق على الحب في شيئين:

١- أن يكون حبًا صافيًا.

٢- أن يكون دائمًا لا يتغير.

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص: ٣٦٠).

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم مرتين:

الأولى - في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هُود: ٩٠].

الثانية - في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدِي وَيُعِيدُ﴾ (١٣) وهو الغفور الودود [البزج: ١٣-١٤].

معنى الاسم في حق الله تبارك وتعالى:

قال ابن عباس: الودود: هو الرحيم، رواه علي بن أبي طلحة.

وقال البخاري: الودود: هو الحبيب.

قال الزجاجي فيه قولان:

أحدهما - أنه مفعول بمعنى فاعل كقولك: (غفور) بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاعر، فيكون معنى الودود في صفات الله عز وجل على هذا المذهب من أهل اللغة أنه تبارك وتعالى يود عباده الصالحين ويحبهم.

الثاني - أنه فعول، تقديره أنه مودود؛ أي: يوده عباده ويحبونه^(١).

وقد نطق القرآن بكليهما وأثبتهما الله لنفسه في كتابه وسنة رسوله، قال تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) «اشتقاق أسماء الله» (ص: ١٥٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(١):

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للرحمن
وهو الذي جعل المحبة في قلوبهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الإحسان محضاً لا معاوضة ولا لتوقع الشكران
لكن يُحِبُّ شُكْرَهُمْ وشُكْرَهُمْ لا لاحتياج منه للشكران

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ الودود الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلئت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه وانجذبت أفئدتهم إليه؛ وُدًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه^(٢).

قال الخطابي: وقد يكون معناه أن يوددهم إلى خلقه كقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [زَمَرَةُ: ٩٦].

وقيل: (الودود): هو المتحبيب إلى أوليائه بمعرفته، وإلى الطائعين بقربه، وإلى المذنبين بمغفرته، وإلى التائبين بقبولهم وعفوه عنهم، وإلى المتوكلين، وإلى المحسنين برحمته، وإلى المتقين بنعمته، وإلى عامة الناس بعظيم إفضاله وكثير إنعامه.

وقد قيل: هو الوادُّ لأهل طاعته، والراضي عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهم بها.

(١) «القصيدة النونية».

(٢) «تفسير السعدي» (٥/ ٣٠٢).

ولله درُّ القائل:

ودودٌ تحبُّ الخير للخلق كلِّهم وتثني عليهم والثناء جميلٌ
ودودٌ بلا ميلٍ ودودٌ بلا هوى فأنت غنيٌّ عن سواك جميلٌ
لك الحمدُ مَنْ ترضى عنه فإنه عزيزٌ ومن لم ترضَ عنه ذليلٌ
ودودٌ قريبٌ من عبادك مالِك مفاتيح الغيبِ ما إليه سبيلٌ

وقال الشيخ السعدي: «إن الله يتودد إلى أوليائه وخواص خلقه بمحبته لهم ووضع محبته في قلوبهم، غرسها غرساً ونمأها كما تنمى البذرة حتى تكون شجرة، فسعدوا بحبه في الدنيا وبقربه في دار نعيمه في الآخرة، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبب، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد فتبارك الذي جعلها - أي: تلك المحبة - وأودعها في قلوبهم ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضائل عندها جميعُ المحابِّ، وتُسَلِّمُهم عن الأحباب، وتهوّنُ عليهم المصاب، وتلذذ لهم مشقة الطاعات، وتغنيهم عن محبة ما سواه»^(١)، ولسان حالهم يقول:

ليتك تعفو والحياةُ مريّةً وليتك ترضى والأنام غضابٌ
ليت الذي بيني وبينك عامراً وبينني وبين العالمين خرابٌ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينٌ وكلُّ ما فوق الترابِ ترابٌ

(١) «شرح النونية» لابن القيم.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

لهذا الاسم الكريم أثران عظيمان:

الأول - حب الله لعباده المؤمنين وعلاماته وأسبابه.

الثاني - حب المؤمنين لله تعالى وعلاماته وأسبابه.

وسنحاول فيما يلي أن نتناولها ببعض التفصيل والشرح، وسنبداً إن شاء الله تعالى بحب الخلق لله عَزَّوَجَلَّ، تأدباً مع الله عَزَّوَجَلَّ وسعيًا إلى حبه ومرضاته، عسى أن يجعلنا من أحبائه ومُحبيه.

أولاً - حب المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ وعلاماته:

أيها الأحبة، إن الحبَّ لشيءٌ عجيب يودعه الله قلوبَ الأصفياء من خلقه فتسعد به نفوسهم، وتهنأ به قلوبهم، فتسهر لمناجاته الجفون، وتبكي من الشوق إليه العيون، فالحب علامة على سلامة الفطرة، ودليل على الحياة، فالكائنات من حولنا تشعر وتحب فتدقُّ بالحب قلوبها وتتأثر بها نفوسها، وقبل أن نبدأ في حبِّ المؤمنين لربهم نحبُّ أن نتعرف على بعض هذه المخلوقات حتى نعلم ماذا تعني كلمة الحب، وإليك بعضاً من الصور المشرقة من محبة تلك الكائنات ما أجملها وما أبلغها. فانظر إلى الفرس العربي وهو مشغول بحب صاحبه له ويدعو الله ۞ أن يحبيه إلى صاحبه، وذلك في كل يوم، فكل أيامه سؤالاً للمحبة.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلَّا يُؤَدِّنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْرٍ يَدْعُو بِدَعْوَتَيْنِ يَقُولُ اللَّهُمَّ خَوَّلْتَنِي مِنْ خَوَّلَتِي مِنْ بَنِي آدَمَ فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ

أَهْلِيهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ أَوْ أَحَبَّ أَهْلِيهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ»^(١).

فالفرس العربي يحب صاحبه ويألفه ويفرح لقربه ويحزن لفقده، رُوي أن رجلاً اسمه الزعتري كان له فرس يحبه ويرعاه، وكان يخلط له الشعير بالسكر، فأحبه الفرس، فلما مرض الزعتريّ أضرب الفرس عن الطعام ووقف عند باب الحجرة التي بها صاحبه ولم يبرحه، فلما مات الزعتري انطلق الفرس إلى أحد الروابي فوق الجبل وألقى بنفسه ليلقى مصرعه حزناً على صاحبه الذي أحبه^(٢).

حتى الجماد والصخور تحب وتُحِب:

فتأمل قول النبي ﷺ عن جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(٣). الله أكبر، الجبل يحب الخلق، فكيف حبه لربّ الخلق! وقد بكى جذع النخل؛ حباً لرسول الله ﷺ واشتياًقاً إليه وإلى ما كان يسمع من ذكر الله.

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ - يعني في الخطبة - فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، وفي رواية: فصاحت صياح الصبي، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تنُّ أنين الصبي الذي يُسَكَّتُ حتى استقرت، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر»^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والنسائي، والحاكم في «المستدرک» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٤١٤].

(٢) من شريط «دعوة للتأمل» للشيخ علي القرني.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

تلك الكائنات تحب من أحبها وأحسن إليها، فكيف بالله عَزَّوَجَلَّ سبحانه وبحمده، تتابعت نعمه، وزاد كرمه، وفاض بره، وأسبغ على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة، حتى عجزوا عن إحصاء آلائه، فكيف يجب أن تكون محبته وكيف غفل عنه الغافلون وأعرض عنه العصاة والمذنبون، جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه.

فأين البشر الذين لم تدق قلوبهم بحب الله من هذه الكائنات؟ فوالله إنها لأعقل منهم، وإن الصخر لألين من قلوبهم فإنهم أناس قست قلوبهم ولو شبهناها بالحجارة لكان ذلك ظلماً للحجارة. وأصدق وصف لهم هو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [٢:٧٤].

فكيف يعيش العبد بغير حُبِّ رازقه وخالقه وإلهه ومعبوده؟ بل كيف يحيا دون أن يعرف إن كان الله يُحِبُّه أم لا؛ فإنه ليس بعد الحب إلا البغض وليس بعد النعيم إلا الجحيم؛ من أجل ذلك وجب على كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يتعلم حب الله عَزَّوَجَلَّ يتعرَّف عليه ويسأل نفسه: هل يحب الله؟ وهل هو صادق في ذلك؟ وما علامات الحب الصادق لله عَزَّوَجَلَّ؟ كذلك هل يحبه الله أم لا؟ وما علامات حُبِّ الله له؟ من أجل ذلك نحن ستناول هذا ببعض التفصيل، نبدأ بحب العبد لربه وعلاماته وبالله التوفيق:

معنى حُبِّ المؤمنين لربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ لا يكون العبد موحدًا صادقًا في حبه لله عَزَّوَجَلَّ إلا بأربعة

شروط:

أولاً- «أن يحب الله عَزَّجَلَّ حباً من جنس حب العبادة المقرون بالذلة والخضوع والافتقار والطاعة المطلقة»، حباً لا يشابه أي حب آخر، حباً لا يشابه حب الشهوة للنساء، ولا حب البرِّ للآباء ولا حُب الشفقة بالأبناء ولا حب النَّدية للأصدقاء، بل يحبه تَبَارَكَ وَتَعَالَى حب العابد لربه، والمخلوق لخالقه، والمملوك لمالكه، والمرزوق لرازقه، حباً مقروناً بالخشية، قَالَ الْعَالِي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَبًّا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثانياً- «أن لا يحب شيئاً مثله معه، بل ولا تبقى مثقال ذرة من هذا الحب أي: حب العبادة إلا صرفها لله وحده»، فلا يحب أحداً غير الله عَزَّجَلَّ مثله في النوع، وكذلك في الكمية فلا يحب أحداً مثل الله أصلاً حتى وإن حبه لهذه الأشياء ليس حب العبادة، فمن فعل ذلك عَرَّض نفسه لعقوبة الله عَزَّجَلَّ.

فقد قَالَ الْعَالِي: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال الحسن البصري: هذه أشدُّ آية في الوعيد لمن أثر شيئاً في المحبة على الله ورسوله والجهاد في سبيله.

ثالثاً- ألا يحب شيئاً غير الله إلا من أجله، وهو الحب في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

رابعاً- أن يبغض ما يباعده عن الله أشد من بغضه لأبغض الأشياء إليه وهي النار.

وقد جمع ثلاثة منها حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ

حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

علامات محبة العبد لربه:

فإن الحب لا تخفى دلائله كالطيب يخرج من حامل المسك
اعلم أخي الحبيب - وفقني الله وإياك إلى ما فيه رضاه - أن العبد لم يُخلق إلا ليحب الله ويعبده وهناك علامات لذلك الحب تفرق بين الصادق والكاذب؛ لأن الإنسان قد يظن أنه يحب الله عَزَّجَلَّ وهو ليس كذلك، وقد يظن أنه قريب من الله وهو منه بعيد.

ولله در القائل:

وكلُّ يدّعي حبًّا لربي وربي لا يقرُّ لهم بذاكَا
إذا انسكبت دموعٌ في خدود تبينَ مَنْ بكى مِنْ تباكَا
فأما مَنْ بكى فيذوبُ وجدًّا وينطقُ بالكذبِ مَنْ قد تباكَا
ولله در القائل:

فكم من غافلٍ وهو يظن أنه من الذاكرين
وكم من عاصٍ وهو يظن أنه من الطائعين

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وابن ماجه عن أنس.

وكم من كفورٍ وهو يظن أنه من الشاكرين

وكم من عبدٍ يدعو الله عَزَّجَلَّ ليقلع عن ذنبه، ويعود إلى ربه، وينعم بحبه وهو معرض عنه، ويظن أنه من المقبلين عليه، المتقربين إليه وليس هذا إلا لأنه يحكم بهواه، ويتبع الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءه من ربه الهدى، ويصدق على هؤلاء قول القائل:

تطوى المراحل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمع ساجم

كذبتك نفسك لست من أحبابه تشكو العباد وأنت عين الظالم

ولهذا وأمثاله نقول: أفق وأدرك ما فاتك، فوالله لو ضاعت منك الفرصة وانتهت حياتك وأنت على هذا لتكونن من الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

فأزل عن عينيك غشاوة المعاصي وعن قلبك حكم الهوى، من قبل أن ينطبق عليك قول القائل:

أترك من تحب وأنت جار وتطلبهم إذا بعد المزار

تركت سؤالهم وهم حضو وترجو أن تخبرك الديار

فنفسك لم ولا تلم المطايا ومُت كمدًا فليس لك اعتذار

فمن أحب الله حقًا ظهرت عليه علامات الحب؛ فإن الحب في القلب ولكن تظهر آثاره على البدن كله. فقد سُبحَّانَهُ وَتَعَالَى: «في الجسد مضغة إذا صلحت صلح

الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

لذلك يكون حب الله عَزَّوَجَلَّ اعتقادًا بالجنان، وقولًا باللسان، وعملاً بالأركان
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن هذه العلامات:

١ - طاعة الله وترك معصيته:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا وري في القياس بديع
إن كنت صادقاً في حبه لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
وقال آخر:

وكن لربك ذا حبٍّ لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام
٢ - اتباع النبي ﷺ في كل شيء:

بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، قَالَ عَالِي: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الْعَبَرَاتِ: ٣١].

قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم
أي: امتحنهم بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [الْعَبَرَاتِ: ٣١].

وكانوا يسمونها آية المحنة^(٢)، فإذا صدقوا في دعواهم واتبعوا
رسول الله ﷺ أحبهم الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك أعظم لهم من أن يحبوه، قال بعض
السلف: «ليس الشأن أن تُحب ولكن الشأن أن تُحبَّ». أي: ليس الشأن أن تُحبَّ

(١) أخرجه البخاري [٥٢] ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير ب.

(٢) المحنة: الاختبار والامتحان.

الله؛ لأنه قد يكون حبك هذا ادعاء لكن الشأن أن يُحبك الله؛ لأن الله لا يحب إلا الطيبين، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١).

٣- حب القرآن:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمَصْحَفِ»^(٢).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ؛ فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ». وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أُهْدِيَ إِلَيْهِ الْمَصْحَفُ يَفْرَحُ بِهِ وَيَقُولُ: كَلَامُ رَبِّي كَلَامُ رَبِّي.

وقال أيضاً: «اطلب قلبك عند ثلاثة مواضع؛ عند قراءة القرآن، ومجالس العلم، ووقت السحر، فإن لم تجد قلبك فسل الله أن يُمِّنَ عليك بقلبك؛ فإنك لا قلب لك».

وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم». وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كفى بالله حبيباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً. ومن لم يتخذ الله صاحباً، والقرآن مؤنساً فلا آنس الله وحشته». وكان بعض المشايخ من محفّظي القرآن يُقسم أنه عندما يقرأ القرآن يشعر بحلاوة العسل تنزل في ريقه: «اللهم ارزقنا حلاوة ذكرك يا كريم» آمين.

(١) أخرجه مسلم [١٠١٥] من حديث أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حسن: رواه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٢٣٤٢].

٤ - الشوق إلى لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورؤية وجهه الكريم:

وَدِدْتُ أَنْ جَوَانِحِي وَجَوَارِحِي مَقْلُ تَرَكَ وَمَا لَهْنَ جَفُونِ

وَدِدْتُ دَمْعَ الْخَافِقِينَ لِمَقْلَتِي حَتَّى عَزِيزَ الدَّمْعِ فَيْكَ يَهُونِ

أخي الكريم، هل رأيت حبيباً لا يحب رؤية حبيبته؟ فمن أحب أحداً أحب رؤيته؛ لذلك يبيت المؤمنون ويصبحون وهمَّهم الأكبر لقاء الله رؤيته، قَالَ عَالِي: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [التَّكْوِيْن: ٥].

قال أبو عثمان الحيري: هذه تعزية للمشتاقين معناه: إني أعلم أن اشتياقكم إليّ غالب، وأنا أَجَلْتُ أَجْلاً وعن قريب يكون وصولكم إلى ما تشاقون إليه^(١)، وهو لقاءكم بي ورؤيتكم لي.

وكان رسول الله ﷺ عنده من الشوق إلى لقاء الله عَزَّجَلَّ ما أذهب صبره على لقاء ربه الرحيم ورؤية وجهه الكريم حتى كان يسأل الله عَزَّجَلَّ ويدعوه به ويتمنى حدوثه، فانظر إلى دعائه ورجائه، حيث يقول: «وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هَدَاةَ مُهْتَدِينَ»^(٢).

(١) من كتاب «موارد الظمآن في محبة الرحمن» للدكتور سيد العفاني (ص: ١٥٩).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٤/١٣٠٥) من حديث عمار.

وكان ﷺ يفرح بالمطر ويتلقاه بثوبه ولما يُسئل عن ذلك يقول: «إنه حديث عهد بربه»^(١).

ومن أجل ذلك يكون أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله عزَّ وجلَّ، فإذا رأوه تضاءلت أمام رؤيته كلُّ اللذات وشغلوا به عما سواه، ولسان حالهم يقول:

ولو أن عيني إليك الدهر ناظرة جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ «لو لم أعلم أنني سأرى الله يوم القيامة لما عبدته».

٥- الحب في الله والبغض في الله:

ففيه حلاوة الإيمان، وهو أوثق عُرى الإيمان: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرى الْإِيمَانِ الْمَوَالَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمَعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

وبه كمال الإيمان: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنْعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم [٨٩٨] من حديث أنس، ١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والطيالسي، والحاكم، والطبراني في «الكبير والأوسط» عن ابن مسعود وأحمد، وابن أبي شيبه، وابن نصر عن البراء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٤٣١٢].

(٤) صحيح: رواه المقدسي في «الفضاء المختارة» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيح» [٣٨٠] و«صحيح الجامع» [٥٩٦٥].

معنى الحب في الله:

قيل: وحدُّ الحب في الله: هو كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقال يحيى بن معاذ: الحب في الله لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء، أي: لا يزيد بأمرٍ من أمور الدنيا من الهدايا والعطايا إنما يزيد بالطاعة والهداية، ولا ينقص بالبُعد والجفاء وإنما ينقص بالمعصية والتقصير.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ فَيَفْرَقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يَحْدُثُهُ أَحَدُهُمَا»^(١).

ولا يكون للأنساب والرحم: قال النبي ﷺ: «إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِعِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نَحْبُهُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ»^(٢).

وانظر إلى مصعب بن عمير وكيف كان حبه في الله: ففي غزوة بدر أسير بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَا مَصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَأَهُ مَصْعَبٌ فَقَالَ لِبَلَالٍ: يَا بَلَالُ! شَدَّ وَثَاقَ أَسِيرِكَ، فَإِنْ لَهُ أُمَّةٌ غَنِيَةٌ سَتَفْدِيهِ بِمَالٍ كَثِيرٍ. فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ: أَتَقُولُ هَذَا وَأَنَا أَخُوكَ؟ فَقَالَ لَهُ مَصْعَبٌ: إِنْ بَلَالًا أَخِي دُونَكَ!

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» عن أنس وصححه الألباني في «الصحيحة» [٦٣٧] و«صحيح الجامع» [٥٦٠٣].

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن.

أحق الخلق بالحب في الله:

أولاً- رسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»^(١). وقال أيضاً: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين»^(٢).

ثانياً- أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار: فقد قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»^(٣). وقال أيضاً في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق»^(٤).

ثالثاً- حب آل بيت النبي ﷺ: فقد قال النبي ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني لحبكم لله وأحبوا أهل بيتي لحبكم لي»^(٥).

وحبهم يعني ودهم والحفاظ عليهم ورعايتهم وصلتهم، فقد قال النبي ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٦)، وليس كما يفعل عبادة القبور بالطواف حول المقامات والقبور، والنذر لها، والنحر عندها فإن ذلك من الشرك الذي نهى عنه الله ورسوله؛ لذلك قال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه لمن غالى في حبهم: «أحببتمونا حتى أصبح حبكم عاراً علينا».

(١) صحيح البخاري رقم الحديث ١٤ (١/٥٨).

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الترمذي.

(٦) رواه مسلم.

٦- الرضا بقضاء الله وقدره:

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي ابْتِلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ: «إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَبْتَغِي بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَادَةَ يَحْوِيهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ»^(٢).

٧- حب الصلاة والشوق إليها:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له
على شبا الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العُشر من معشار نعمته
ولا العُشير ولا عُشرًا من العُشير
أنت الحبيب وأنت الحب يا أُملي
من لي سواك ومن أرجوه يا ذُخري

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون: ١-٢]،
وقال تعالى في وصفه لعباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾
[الفرقان: ٦٤]، وقال النبي ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣)، وكان يقول: «يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها»^(٤).

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (ج: ١٦/ ٨٤٧٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨-١٩٩) والنسائي (٣٩٤٩)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، من حديث أنس، وقال الحافظ: إسناده حسن وانظر «التلخيص الحبير» (٣/ ١١٦)، و«صحيح سنن النسائي» [٣٦٨٠].

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤)، وأبو داود (٤٩٨٥) وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤١٧١].

وكان يصلي من الليل حتى تتورم قدماه، ويقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).
 وكان إذا نودي للصلاة خرج وترك أهله وولده، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:
 كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة^(٢)،
 وربما ترك أحب الناس إليه من أجل صلاته بالليل.

عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال عبيد
 ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله، فبكت وقالت: قام ليلة من
 الليالي، فقال: «يا عائشة، ذريني أتعبد لربي» قالت: قلت: والله إنني لأحب قربك،
 وأحب ما يسرُّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره،
 ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض^(٣).

٨- ذكر الله والإكثار منه:

وإذا ذكرتكَ كاد الشوق يقتلني وأرقتني أحزانٌ وأوجاع
 فإذا نطقت صار كلي فيك ألسنة وإذا سمعتُ صار كلي فيك أسمع
 قال النبي ﷺ: «أحبُّ الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله»^(٤)،
 وقال أيضاً: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠ / ٤٨٣٧) ومسلم (٢٨١٩ / ٢٨٢٠) من حديث المغيرة وعائشة ب.

(٢) أخرجه البخاري [٦٧٦] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) صحيح: رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» وابن حبان، وصححه الألباني.

(٤) حسن: رواه ابن حبان، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٥].

الله كثيراً والذاكرات»^(١).

وقال ﷺ: «وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض»^(٢).

أخي الحبيب: إن الله يذكر المؤمنين ولا ينساهم، فكيف ينساه المحبون الصادقون في حبهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ﴾^(٤٤) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤١-٤٣]. فإذا ذكرته ذكرك مرة ثانية، قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم»^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ وقيل: ليس العجب قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، ولكن العجب كله من قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾.

أخي الحبيب: هل تعلم أنه ما من شيء في هذا الكون إلا يحب الله ويذكره، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ وقال النبي ﷺ: «ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»^(٤).

(١) رواه مسلم، والترمذي، والمفردون: الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا هم يذكرون الله، قال ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس بمراعاة الأمر والنهي.

(٢) حسن: رواه أحمد عن أبي سعيد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥٤٣].

(٣) متفق عليه.

(٤) حسن: رواه ابن السني، وأبو نعيم في «الحلية» عن عمرو بن عبسة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٥٩٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[المنافقون: ٩]

أخي الحبيب: هل سمعت نداء الله لك بأن لا يلهيك عنه شيء؟ وما عسى أن تكون الإجابة؟ إن إجابة هذا النداء لا تكون إلا بدمع العيون ورقة القلوب وحينها إلى هذا الإله العظيم والربّ الكريم، وقل كالذي قال:

ما عنك يشغلني مألٌ ولا ولدٌ نسيْتُ باسمك ذكْرَ المالِ والولدِ

فلو سَفِكتُ دمائي

في التّرب لا نكّبت بها حروف اسمك لم تنقص ولم ترد

وانظر إلى المحبين الصادقين وكيف كان ذكرهم لرب العالمين.

رسول الله ﷺ لا يأتي عليه وقت إلا وهو ذاكر لربه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه^(١).

حتى في النوم، فقد قال النبي ﷺ: «يا عائشة! إن عينيّ تمانان ولا ينام قلبي»^(٢).

أبو الدرداء يسبح مائة ألف تسبيحة في كل يوم: قيل لأبي الدرداء، وكان لا يفتر عن الذكر: كم تسبح في كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطي الأصابع^(٣).

وانظر إلى أحمد بن حرب: قال زكريا بن دلويه: كان أحمد بن حرب إذا

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري، والنسائي، ومالك، وأحمد، وأبو داود، والطحاوي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٠٠).

جلس بين يدي الحجام ليُحفي شاربه، يسبح فيقول له الحجام: اسكت ساعة، فيقول: اعمل أنت عملك وربما قطع من شفته وهو لا يعلم.

٩- حب الموت مع الراحة والعافية:

قال أبو عثمان النيسابوري: علامة الاشتياق حُبُّ الموت مع الراحة والعافية، فإن يوسف حين أُلقي في الجب لم يقل: توفني وحين أدخل السجن لم يقل توفني وحين مُكِّن في الأرض وأصبح من الملوك وتمت له النعمة قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس حُبًّا واشتياقًا إلى ربه، فقد كان يتعجل لقاءه، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، قال: فبكى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خَيْرٍ، فكان رسول الله ﷺ هو المَخِيرَ وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمَنَا^(١).

أبو الدرداء: كان من المشتاقين، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحَبُّ الْجُوعِ وَالْمَرَضِ وَالْمَوْتِ، فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّكَ تَحِبُّ أَشْيَاءَ لَا يُحِبُّهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَنَا إِنْ جُعْتُ رَقَّ قَلْبِي، وَإِنْ مَرَضْتُ خَفَّ ذَنْبِي، وَإِنْ مِتُّ قَابَلْتُ رَبِّي».

ومعاذ بن جبل: يستعذب الموت للقاء الله فيقول عند موته: «اخنق خنقك فوالله إني لأحبك».

وروي أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لملك الموت لما أتاه ليقبض روحه: «هل

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب «فضائل الصحابة» (٣٦٥٤-٧/١٢).

رأيتَ خليلاً يميّت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: قل له: هل رأيتَ خليلاً يكره لقاء خليله؟ فقال: يا ملك الموت، الآن فاقبض^(١).

وفي رواية أخرى: «قال ملك الموت: يا رب، إن عبدك إبراهيم جزع من الموت، فقال: قل له: الخليل إذا طال به العهد من خليله اشتاق إليه، فبلغه فقال: نعم يا رب، قد اشتقت إلى لقاءك، فأعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها».

وصف جامع في المحبة

اجتمع الشيوخ في مكة - شَرَّفها الله - فتذاكروا أشياء في المحبة، فقالوا للجُنَيْد وكان أصغرهم سنًا: «هاتِ ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه وقال: عبد^(٢) ذاهبٌ عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرق قلبه نور هيئته، وصفا شربه من كأس مودته، فأنكشفت له صفات الجبار من أستار غيبه، فإن نطق فبالله، وإن تكلم فعن الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين».

(١) قال ابن حجر في «فتح الباري» عند شرحه لحديث «من أحب لقاء الله» ذكر بعض الشراح: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ... إلخ، «فتح الباري» (١١ / ٣٦١).

(٢) أي: العبد المُحِبُّ لله سبحانه.

حب الله لعباده الصالحين وعلاماته

أولاً - فضل حب الله للمؤمنين:

قال بعض الصالحين: ليس الشأن أن تُحب ولكن الشأن أن تُحَب، أي: ليس الأمر أن تظن أنك تحب الله، ولكن الشأن العظيم أن يحبك الله؛ لأن الله لا يحب إلا من استحق ذلك الحب. ولحبَّ الله لعبده فضائل كثيرة، بل الخير كله تابع لتلك المحبة. فمن هذه الفضائل:

١ - أحباب الله هم الطيبون:

قال النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(١)، فإن كان الله لا يقبل إلا طيباً فكيف يحب من لم يكن طيباً.

٢ - إن الله يدافع عن أحبائه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وجعل لأوليائه النصيب الأعظم من هذا الدفاع، فقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(٢).

٣ - إن الله لا يعذب أحبائه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ فَلَمَّ يَعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله قال بعض الشيوخ لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري.

أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا عليه الشيخ هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، وهذا الذي قال حسن وله شاهد في «المسند» للإمام أحمد أنه قال: مرّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله! ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال فحَفَّضَهُمُ النبي ﷺ فقال: «وَلَاءُ الله عَزَّجَلَّ لَا يُلْقِي حَبِيبُهُ فِي النَّارِ»^(١).

٤- يحبه جبريل وأهل السماء (ويحبه إلى خلقه):

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٢).

ثانياً- معنى محبة الله للمؤمنين:

إن الله طيب غاية الطيب، جميل غاية الجمال، كامل الصفات والنعوت غاية الكمال فإذا أحب أحداً فلا بد أن يكون جميلاً طيباً؛ فإن الله عَزَّجَلَّ لا يحب كما يُحِبُّ الخلق بعضهم بعضاً فإن الخلق قد يحدث بينهم الحبُّ لصلّة النسب أو للهوى والدنيا، أما الله جَلَّ جَلَّالُهُ فلا يحب بالهوى ولا للدنيا فإنها لا تزن عنده جناح بعوضة فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، فإذا أحب الله أحبَّ بالحق، وإذا أبغض أبغض بالحق.

(١) رواه أحمد في «المسند» عن أبي عدي عن حميد عن أنس، وتفرد به أحمد.

(٢) متفق عليه.

ولله در القائل:

ودودٌ بلا ميل ودودٌ بلا هوى فأنْت غنيٌّ عن سواك جميلٌ

لذلك نجد أن حب الله تبارك وتعالى لعباده مقررنا بصفات طيبة وأعمال صالحة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وقال أيضاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَنٌ مَرْضُوءٌ﴾ [الصف: ٤].

وكذلك بغضه لا يكون إلا للمعصية والعصاة والطغيان والطغاة، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

ثالثاً- من أسباب حب الله للعبد:

أولاً- اتباع النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ثانياً- التقرب إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ بالنوافل بعد الفرائض: قال تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»^(١).

ثالثاً- القرآن الكريم: قال النبي ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت

(١) رواه البخاري.

يتغنى بالقرآن يجهر به»^(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سِرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(٢).

رابعاً- الحب في الله، والتجالس في الله، ونحو ذلك: قال تعالى في الحديث القدسي: «وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»^(٣). وقال عَزَّجَلَّ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ»^(٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ لِيَجْلِيَنِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٥).

خامساً- حبُّ الأنصار: عن البراء قال: قال النبي ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا

(١) متفق عليه، ومعنى (أذن الله) أي: استمع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول.

(٢) رواه البخاري (٣٤٧/١١-٣٤٨) رقم الحديث [٧٣٧٥].

(٣) رواه أحمد في مسنده، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرک» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣١]، و«المشكاة» [٥٠١١].

(٤) أخرجه أحمد والطبراني في «الكبير» والحاكم في «المستدرک»، عن عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٢١].

(٥) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة.

مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»^(١).

سادساً- الزهد في الدنيا: عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: «ازهد في الدنيا يُحَبِّكَ اللهُ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٢).

سابعاً- قوة الإيمان: قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»^(٣).

ثامناً- المداومة على العمل الصالح: قال النبي ﷺ: «أحِبُّ الأعمالِ إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(٤).

تاسعاً- ثلاث خصال من حسن الخلق: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إِنَّ اللهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»^(٥).

عاشراً- أن يُعْطِيَهُ الدين والإيمان: قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ»^(٦).

وفي رواية: «... وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ».

(١) متفق عليه.

(٢) حديث حسن: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة، قال الألباني: يتقوى الحديث بغير طريقه وبشواهد خَرَّجَتْهَا فِي «الصَّحِيحَةِ» [٩٤٤].

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه البخاري [٦٤٦٤] ومسلم [٧٨٣] من حديث عائشة ل.

(٥) رواه مسلم: عن سعد بن أبي وقاص، والمراد بـ «الغني» غنى النفس.

(٦) أخرجه أحمد (٣٨٧/١) والحاكم (٤٤٧/٢) وصحح الحاكم رفعه وصحح الدارقطني الوقف.

الحادي عشر - التماس مرضاة الله: عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبد يلتمس مرضاة الله عَزَّجَلَّ فلا يزال كذلك، فيقول: يا جبريل! إنَّ عبيدي فلانًا يلتمس أن يرضيني برضائي عليه، قال: فيقول جبريل ﷺ: رحمة الله على فلان، وتقول حملة العرش، ويقول الذين يلونهم حتى يقول أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض»، ثم يقول رسول الله ﷺ: «وهي الآية التي أنزل الله عليكم في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ وإنَّ العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله: «يا جبريل! إنَّ فلانًا يستسخطني، ألا وإنَّ غضبي عليه» فيقول جبريل: غضب الله على فلان وتقول حملة العرش ويقول من دونهم، حتى يقوله أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض»^(١).

الثاني عشر - هؤلاء الثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يُحِبُّهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئته قاتل وراءها بنفسه لله عَزَّجَلَّ فإما أن يُقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه فيقول: انظروا إلى عبيدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام من السَّحَر في ضراء وسراء»^(٢). فإن الله عَزَّجَلَّ أحق من يجاهد في سبيله وأعظم من سُهر من أجله.

ولله در القائل:

سهر العيون لغير وجهك باطلٌ وبكاؤهنَّ لغير فقدك ضائعٌ

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (ج: ١٠ / ٢٧٢).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٢ / ٢٥٥) و«الترغيب والترهيب» للمنذري (١ / ٥٥٦).

رابعاً - علامات محبة الله للعبد :

كما أن حب المؤمنين لله له علامات تؤكد، فإن لحب الله لعباده علامات كذلك وهي كالبشرى العاجلة لهم؛ لتطمئن بها قلوبهم، وتسعد بها نفوسهم في سعادة من وفق وكانت فيه هذه العلامات أو بعضها، ويا لفرحة من أكرمه الله بحبه وأسعده بقربه! وسنذكر هنا بعض هذه العلامات:

عن أبي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ»^(١).

١ - كنت سمعه الذي يسمع به: أي لا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه كسماعه للدعوة إلى الله ولكلام الله ورسوله؛ لقول النبي ﷺ: «مَا أَذْنُ اللَّهِ لشيءٍ مَا أَذْنُ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»^(٢).

وكذلك لا يحب الاستماع إلى السوء من القول كالكذب والغيبة وغيرها؛ فإن الله لا يحب ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

وكذلك يعرض عن اللغو والغناء المحرم، قال الله في صفات عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وقد يكون سمعه الذي يسمع به أيضاً أن يرزقه الفراسة في الأقوال فيعرف ما تعنيه كلمات الحق أو كلمات الباطل فيعرف

(١) رواه البخاري (١١ / ٣٤١) مع «الفتح».

(٢) سبق تخرجه.

أصناف الناس من خطابهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

قال ابن كثير في هذه الآية: أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما أسرَّ أحدُ سريرة إلا أباهاها الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه».

وفي الحديث: «ما من عبد أسرَّ سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر»^(١). وقد يعني بذلك أيضًا أن يكون حكمه على ما يسمع بشرع الله تبارك وتعالى، فالطيب ما كان في الشرع طيبًا، والخبيث ما حكم عليه الشرع بالخبث مهما كان فيه تزيين الشيطان وإغراؤه.

٢- وبصره الذي يبصر به: فيُحب النظر لآيات الله الكونية مثل السماوات والأرض وما فيها أو الشرعية مثل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

ولا يحب النظر إلى ما حرم الله كأن يشاهد من الباطل أو يحضره، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، و(الزور) قيل: هو الشرك وعبادة الأصنام، فلا يشهدونه ولا يحضرونه.

وقيل: هو أعياد المشركين، وقال عمرو بن قيس: «هي مجالس السوء والخنا»، وقال محمد ابن الحنفية: «هو اللغو والغناء».

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (ج: ٤/ ١٧٥).

وقال مالك عن الزهري: شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر»^(١) اهـ.

وقد يكون ذا بصيرة فيما يراه من كثرة حفظه لنظره وبعده عن الحرام. فقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى بنور الله، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لشيء قط: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن^(٢).

وقال شاه بن جاع الكرمانى: «من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن الحرام، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد الحلال لم تخطئ فراسته»، وكان شاه هذا لا تخطئ له فراسة^(٣).

٣- ويده التي يبطش بها: أي لا تمتد يده إلا إلى ما يحب الله ويرضى كالتعاون على البر والتقوى، ويكفها عما حرم الله تعالى فلا يمس بها ما لا يحل له كالنساء الأجنيات أو يأخذ بها ما ليس له كحقوق الناس ولا تمتد بالأذى كأن يضرب أو يظلم، كما قال النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٤).

وقد كان لرسول الله ﷺ أعظم النصيب من هذا الحب؛ ولذلك فقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن

(١) ابن كثير (ج: ٣/ ٣١٣).

(٢) رواه البخاري.

(٣) من كتاب «البحر الرائق» للشيخ / أحمد فريد.

(٤) متفق عليه.

يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيءٌ من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»^(١).

٤ - ورجله التي يمشي بها: فلا يمشي إلى ما حرم الله من الأعمال والأماكن، فقد قال النبي ﷺ: «والرجل زناها الخطأ»^(٢).

ولا يتكبر في مشيته، فإنها مشية يبغضها الله ورسوله، فقد قال النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ رأسه يختال في مشيته؛ إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»^(٣).

ولكنه يسعى في الخير كالجهاد في سبيل الله، فقد قال النبي ﷺ: «الغدوة في سبيل الله أو روحه خيرٌ من الدنيا وما فيها»^(٤).

أو المشي إلى المساجد، فقد قال النبي ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»^(٥).

٥ - وإن سألني أعطيته: فأني أجر أعظم من هذا، وأي جائزة هي أفضل من أن يعطيه الله ما سأل، فمن ذلك ما أكرم الله به أصحاب الكهف من الآيات العظيمة حين قالوا: «وحين قال يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾».

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم «القدر» (١٦/٢٠٥-٢٠٦).

(٣) متفق عليه، مُرَجِّلٌ: أي: ممشط، يتجلجل: أي يغوص وينزل.

(٤) رواه البخاري (١٣/٦) «الجهاد»، ومسلم (٢٧/١٣) «الإمارة».

(٥) متفق عليه.

فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

٦- ولئن استعاذني لأعيذته: وإذا استعاذ بالله من شرِّ فتنةٍ أو بطش ظالم أعاده الله فمن ذلك:

حفاظته ليوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز عن نفسه، فقال: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ فأعاده الله من ذلك.

وكفايته من بطش الطغاة لطفل أصحاب الأخدود، فكلما أرادوا قتله قال: «اللهم اكفنيهم بما شئت»، فيكفيه الله وينجيه ويهلك أعداءه.

عصمته لعاصم بن ثابت من نجس المشركين: فقد قتل عاصم بن ثابت اثنين من المشركين يوم أحد، فنذرت أمهما أن تقتل عاصمًا وتشرب في قحف رأسه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، فلما غدرت هذيل بالمسلمين وأرادوا قتل عاصم بن ثابت قال: اللهم إني أحمي لدينك، وأدفع عنه، فاحم لحمي وعظمي ولا تُظفر بهما أحدًا من أعداء الله.

وقال أيضًا: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم جسدي آخره، فلما قُتل أحاط به الدبر وهو النحل والدبابير فما استطاع أحدهم لمسه، فقالوا: دعوه إلى الليل، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به، فلما بلغ عمر بن الخطاب ما حدث قال: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع في حياته^(١).

(١) انظر: كتاب «الجزء من جنس العمل» (٢/ ٤٢-٤٣) بتصرف.

٧- حسن الخاتمة: قال النبي ﷺ: «إذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعبدٍ خيراً عَسَلَهُ» قيل: وما عَسَلَهُ؟ قال: «يفتح الله له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه»^(١).

وقال أيضاً: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنا لنكره الموت، فقال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(٢).

وروي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً قَيَّضَ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بَعَامٍ مَلَكًا يَسُدُّهُ وَيُوقِّعُهُ حَتَّى يَقَالَ: مَاتَ بِخَيْرٍ مَا كَانَ، فَإِذَا حُضِرَ وَرَأَى ثَوَابَهُ اشْتَاقتْ نَفْسُهُ، فَذَلِكَ حِينَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(٣).

ليس كمثله شيء في محبته^(٤):

فكل من أحب غير الله فنسأله بعض الأسئلة ومن إجابته عليها سيعلم الفرق بين حب الله وحب غيره:

- هل عِلِمَ من تحبه أنك تحبه وكم تحبه؟

- هل إذا علم محبتك له بادلِكَ المحبة وأحبك هو أيضاً؟

- هل إذا أحبك من تحب تَضَمَّنَ ثباته على ذلك الحب وألا يتقلب عليك

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤/٥)، وابن حبان (٣٤٢/٣٤٣)، والحاكم (٣٤٠/١) من حديث عمرو بن الحمق، وصححه الحاكم.

(٢) رواه البخاري (٣٥٧/١١).

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر فقال: عن عبد بن حميد عن عائشة مرفوعاً، انظر: «فتح الباري» (٣٥٩/١١).

(٤) انظر: «معنى محبة العبد لربه ومعنى محبة الله لعباده المؤمنين».

قلبه ويتحول عنك حُبّه؟

- وهل إذا أحبّك تضمن ألا ينافسك في محبته غيرك فينصرف عنك ويهجرك؟

- وإذا ضمنت ذلك كله هل تضمن بقاءه معك لتنعم بحبه وتهنأ بقربه؟
الإجابة عن هذه الأسئلة بكلمة واحدة وهي: «لا».

فلا تتوافر هذه الشروط إلا في حبّ الله وحده، فمن ذلك:

١- أنه يعلم محبتك له وكم تحبه من غير أن تتكلم؛ فإنه يعلمها من قلبك فإنه عليم بذات الصدور.

٢- ولا نقول إن الله عزّ وجلّ يبادل الناس المحبة، إنما نقول إن الله تبارك وتعالى يحب أحبّاه قبل حبهم له، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فقدم محبته لهم على محبتهم له.

٣- وحبّ الله للخلق لا يغيره شيء إلا أن يغير العبد ما بنفسه تجاه ربه فينقض عهده ويترك وده، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وجاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما من قوم كانوا على ما يغضب الله فتحولوا عنه إلى ما يرضيه إلا حولهم الله مما يغضبهم إلى ما يرضيهم، وما من قوم كانوا على ما يرضي الله عزّ وجلّ فتحولوا عنه إلا ما يغضبه إلا حولهم الله مما يرضيهم إلى ما يغضبهم».

٤- وكثرة المتنافسين على حب الله لا تزيدهم عنده إلا محبة لهم ورضا عنهم، ولا يشغله بعضهم عن بعض؛ فإن الطريق إلى الله يتسع لهم كلما تنافسوا فيه.

٥- حُبُّ الله لأحبابه باقى لا يفنى إذا ماتوا على ذلك فهو معهم في الدنيا، وفي القبر وفي الدار الآخرة، فقد قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي ﷺ: «يا محمد، عِشْ ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزيُّ به، وأحب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شَرَفَ المؤمن قيامه بالليل، وعَزَّه استغناؤه عن الناس»^(١).
وصدق من قال:

وَمَنْ كَانَتْ لغير الله حُلَّتْهُ فخليلُهُ منه على خطرٍ

دعاء الله باسمه «الودود» جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه

فإن الحبَّ وحيٌّ وإلهامٌ لا يأتي به إلا الله، فمن أَرَادَهُ على الحقيقة سأل الله عَزَّجَلَّ أن يرزقه إياه، وتأمل - أخي الحبيب - هذا الدعاء لنبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانظر ماذا كان يسأل:

١- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ مِنْ دَعَاءِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يَبْلُغُنِي حُبَّكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٤٢٧٨]، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٣١): إسناده حسن.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وقال الشيخ الألباني: قلت: كذا قال الترمذي: وفيه نظر ظاهر فإن في سنده عبد الله بن ربيعة الدمشقي وهو مجهول كما قال الحافظ.

٢- فقد علم الله نبيه محمداً ﷺ أن يسأله حبه وحباً من يحبه، فعن معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فَتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مُفْتُونٍ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرُبُ إِلَى حُبِّكَ»^(١).

أحب الكلام إلى الله ورسوله:

«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٢).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (ج ٥/٣٢٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل وهو الإمام البخاري عن هذا الحديث فقال: حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

«القوي» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

قال الجوهري: القوة خلاف الضعف.

قال الأصفهاني: فتكون القوة مستعملة لمعنى القدرة تارة، ولقوة القلب تارة، ولقوة البدن تارة أخرى.

ففي قوة البدن كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وفى قوة القلب كقوله تعالى: ﴿يَخِجَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، أي: بقوة القلب.

وقد يستخدم فيما يتقوى به الناس من أسباب كالجند والمال ونحوه، كقوله تعالى في قوم سبأ: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بِأَيِّ شَيْدٍ﴾ [النمل: ٣٣]^(١).

أما قوة الله وقدرته سبحانه فلا تُحَدُّ ولا تُعَدُّ. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

الدليل الشرعي:

جاء هذا الاسم الكريم في كتاب الله تسع مرات منها:

قوله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فِكْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

وقوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]

(١) «مفردات الألفاظ» للأصفهاني (٦٩٤) بتصرف يسير.

معنى الاسم في حق الله سبحانه :

قال ابن جرير في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

إن الله قوي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادُّ ينفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر وجحد حججه^(١).

وقال ابن كثير في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، أي: لا يغلبه ولا يفوته هارب^(٢).

وقال ابن جرير في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

إن ربك هو القوي في بطشه، إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها^(٣).

وقال الزجاج: «القوي» هو الكامل القدرة على الشيء، تقول: هو قادرٌ على حمله فإذا زدته وصفاً قلت: هو قويٌّ على حمله، وقد وصف الله نفسه بالقوة فقال عز قائلًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ^(٤).

وقال الخطابي: القوي قد يكون بمعنى: القادر، ومن قوي على شيء فقد قدر عليه ويكون معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال والمخلوق وإن وُصف بالقوة فإن قوته متناهية (أي: لا بد لها من نهاية)

(١) انظر «النهج الأسمى» للنجدي (٣٦-٣٧).

(٢) «جامع البيان» (١٠/١٧-١٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/٣٢٠).

(٤) «جامع البيان» (١٢/٣٩).

وعن بعض الأمور قاصرة^(١).

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، إن ربك هو القوي في بطشه، إذا بطش بشيء أهلكه كما أهلك ثمود حين بطشها^(٢).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

لله القوة جميعاً:

قال ابن القيم:

وهو القوي له القوة جمعاً إلى ربك ذي الأكران والأزمان

فإنه سبحانه صاحب القوة في كل شيء من كل وجه وبكل طريق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فإنه قوي في ذاته: قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

فانظر إلى الأرض وضخامتها، والجبال وثقلها، والبحار وعمقها، والسماء وارتفاعها، فإن الله يحمل ذلك كله بيده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

(١) «تفسير الأسماء» (٢/ ٥٤) ..

(٢) «جامع البيان» (١٢/ ٣٩) ..

ويحمل السموات بأصبعه: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم! إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع.

إلى أن قال: فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوا﴾ (١).

دعاء الله بهذا الاسم

هذه كلمة من كنوز الجنة :

قال النبي ﷺ لعبد الله بن قيس: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ! أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟! لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٢).

ويدفع الله بها ما شاء من أنواع البلاء :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». قَالَ «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ» وهذا الذكر للحفاظة والهداية والوقاية.

وهو القوي في رحمته :

فمن قوة رحمته «سبحانه» أن جزءاً واحداً منها نشر الرحمة بين الخلق جميعاً.

(١) رواه البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الدعوات» (٢١٣/١١-٢١٤)، وفي «القدر» (٥٠٠/١١) ومسلم بشرح النووي في «الذكر» (٢٧-٢٥/١٧).

ومن قوة رحمته أنه لا يحجبها أحد عن خلقه: **قَالَ تَجَالَى**: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢].

قوي في حبه :

فإن الله يحب بقوة ومن ذلك أنه يحب خلقه أكثر مما يحبونه، بل ويحب أحبابه قبل حبهم له. وهذا هو الدليل على أن الله يحب أحبابه قبل أن يحبوه.

قَالَ تَجَالَى: ﴿ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فأتى بحبه لهم قبل حبهم له.

وأما كم الحب فلا تسأل عن كم حب أشرق على السموات ومن فيهن فأحبوك من أجله ثم يسطع على الأرض فيحبك أهل الأرض بسببه.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

وهو القوي في نصر أحبابه وأوليائه :

فقد جعل الله النصر حليفاً لرسله وأتباعه، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلُيْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

(١) رواه مسلم.

وكذلك ينصر الله من نصره، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ومن أمثلة ذلك:

نصر الله لنبيه صالح عَلَيْهِ السَّلَام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

وقد نصر النبي ﷺ وأصحابه، وها هو يوم الأحزاب شاهد على قوة الله وعزته سبحانه؛ إذ اجتمع الأحزاب من كل جانب فهزمهم الله سبحانه، ونصر الله عباده المؤمنين، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده بقوته لا شريك له، وسلط عليهم الريح فأطفأت نارهم، وقلبت قدورهم ورد الله الكافرين بغيظهم لم ينالوا خيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

إلى أن قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

قوي في رزقه:

فإن الله سبحانه هو القوي في رزق خلقه فقد قسم الله سبحانه الأرزاق فلا يستطيع أحد أن يغير في ذلك شيئاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

ومن قوة الله في رزقه أنه يوصله لمن قُدِّر له بقوته سبحانه ولا يستطيع أحد أن يمنعه منه.

كما قال النبي ﷺ: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (١).

وقوله ﷺ: «وَأَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

ومن قوة الله في رزقه أن الأرزاق كلها في مشارق الأرض ومغاربها، وفي البر والبحر والجو، بل ولأهل السماء والأرض، وفي الأزمان كلها في يده سبحانه على كثرتها وعظمتها.

قال النبي ﷺ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ» (٢).

(١) مسند أحمد.

(٢) رواه مسلم.

«الْعَفْوُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) **المعنى اللغوي:**

يقال: عفوت عن الشيء، أعفو عنه، إذا تركته، وعفا عن ذنبه إذا ترك العقوبة عليه. والعَفْوُ على وزن فعول: الكثير العفو. وفي الدعاء: «أسألك العفو والعافية» أي: ترك العقوبة والسلامة^(٢).

المعنى الشرعي للاسم:

قال ابن جرير: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ [النساء: ٤٣]، إن الله لم يزل عفواً عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به^(٣).

وقال الخطابي: «العفو» الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء^(٤).

وقال الحليمي: «العَفْوُ» ومعناه: الواضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثارها، فلا يستوفيها منهم، وذلك إن تابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم ما فعلوا، فيكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا أو بشفاعة من يشفع لهم، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة لهم به، وجزاء له بعمله.

(١) رواه مسلم.

(٢) «النهج الأسمى» (٢/٢٠٥).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٥٧٤).

(٤) «جامع البيان» (٧٤/٥)، وانظر (١٤٨/٥) (٤/٦).

قال ابن القيم في «النونية»:

وهو العَفُوُّ فعفوه وسع الورى ولولاه غار الأرض بالسكان
وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم الله العفو خمس مرات في كتاب الله، ومنها:

قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١ - الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو العفو: يعفو عن السيئات مهما كانت كبيرة أو كثيرة:

فالله يعفو عن خلقه على ظلمهم ويترك عقوبتهم مع إسائتهم. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَنْ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

فلا يعاجلهم بالعقوبة ويمهلهم لعلمهم يحدثون توبة. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ

الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾

[الكهف: ٥٨].

ولله درُّ القائل:

يا ربِّ إن كثرت ذنوبٌ عظيمةٌ فلقد علمت أن عفوك أعظمُ

إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ

مددتُ يدي إليك ربي تضرعاً فإذا رددت فمن ذا يرحمُ

مالي إليك وسيلةً إلا الرجا وعظيم عفوك ثم إنني مسلمٌ
وقال الآخر:

إنني ليدعوني الهوى فأجيب وإنني ليشينيني التقى فأنيبُ
دعوتُ كريماً قد وثقت بضنّعه وليس من يدع الكريم يخيبُ
فيا من تحب العفو إنني مذنبٌ ولا عفو إلا أن تكون ذنوبُ
أخي الحبيب! إنني أتحدث إليك عن عفو الله وليس عفو الناس.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

انظر إلى عفو الله عن هؤلاء السيئين المسيئين لتعلم كم أن الله عَفُوٌّ سبحانه
لقد عفا الله عن بني إسرائيل أقسى الناس قلوباً، وأشدّهم عناداً وأكثرهم معصية،
عفا الله عمن اتخذوا عجلاً معبوداً لهم، وليتهم بعد العفو تابوا وأصلحوا بل
تمادوا وأعرضوا.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٥١
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[البقرة: ٥١-٥٢].

والله عَفُوٌّ مع قدرته على خلقه:

فعفو الله عن خلقه محض رحمة منه بهم مع قدرته على عقابهم وصفحه
عنهم إنما هو تفضل منه لا يضطره إليه أحدٌ سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

ويحب العفو ويعلمه لخلقه ويأجرهم عليه: فقد علّم الله نبيه ﷺ كيف يعفو ويغفر.

فقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وحثه على قبول العفو فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وعلّم عباده كيف يعفون ويصفحون: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وجعل العفو من صفات الأتقياء:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ومدح عباده المؤمنين بالعفو وجعله من صفات أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

من أمثلة العفو العظيمة:

١ - عفو النبي ﷺ عن أهل مكة الذين آذوه وأهله وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم، فعندما فتح الله عليه مكة وأصبح أهلها أسرى لديه، قال: «ما ترون أني فاعل بكم؟». قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» معرفة السنن والآثار للبيهقي.

٢- عفو النبي ﷺ عن الرجل الذي أراد قتله:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِدَ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُضَاةِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمِنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِي فَقَالَ: «إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صُلْبًا فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: «اللَّهُ ثَلَاثًا». وَلَمْ يَعْاقِبْهُ وَجَلَسَ.

مكارم الأخلاق في ثلاثة من كُملت فذاك الفتى

إعطاء من يحرمه، ووصل من يقطعه، والعفو عن من اعتدى

موقف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع مسطح:

وهذا أيضًا موقف عظيم من مواقف العفو والصفح ستظل شاهدة لله سبحانه على عفوه وغفرانه ورحمته وإحسانه، فهو الذي علّم الخلق جميعًا كل جميل من الأقوال والأفعال والخصال * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَجَلَّ جَلَالُهُ *.

فقد كان مسطح من فقراء المهاجرين الذين ينفق عليهم أبو بكر وكان ممن خاض في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ وبنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ، وَأَخْطَأَ فِي حَقِّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءةَ أُمِّنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَظْهَرَ الْحَقَّ طَهَارَتَهَا وَهِيَ الطَّاهِرَةُ الْبَرِيَّةُ الْمَبْرُوءَةُ أَقْسَمَ أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يُعْطِيَ مَسْطَحًا بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ الَّذِي كَانَ يُعْطِيهِ مِنْ قَبْلُ.

فأنزل العفو الكريم سبحانه آيات يأمر فيها أبا بكر بالعفو والصفح ويحبيه إليه وليشهد الخلق جميعًا بأن ربنا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين سبحانه.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

العفو أساس العز: قال النبي ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١).

العفو من أسباب المغفرة: قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

العفو من أسباب الأجر العظيم: قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، من عفا عند قدرة عفا الله عنه يوم العثرة. ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش: ألا فليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه. عن أنس أنه قال: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك.

أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا أصبح قال: اللهم إني وهبت نفسي وعرضي لك فلا يشتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه فيقول: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»^(٢).

صاحب العفو يأخذ من الحور العين ما يشاء: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ ثُمَّ لَمْ يَنْفِذْهُ زَوَّجَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ حَيْثُ يَشَاءُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٥-٣٨٦)، ومسلم في «البر والصلة» (٤/ ٢٠٠١)، عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «كنز العمال في سنن الأفعال».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٤٩٣)، وأحمد (٣/ ٤٤٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٦١).

دعاء الله باسمه «العفو» سبحانه

١ - دعاء ليلة القدر:

عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ قالت: إن وافقني ليلة القدر فماذا أقول؟ فقال: «قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(١).

٢ - وهذا دعاء في قيام الليل:

أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ نَائِمَةً إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ، فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَسْتُهُ بِيَدِي، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ، وَبِمَعْفَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢).

٣ - وهذا دعاء آخر عند النوم:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَحَيَاتُهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاعْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

وهذا دعاء قد جمع الدنيا والآخرة:

قال رجلٌ: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي؟

قال ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي - وَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ إِلَّا الْإِبْهَامَ -؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعْنَ لَكَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ»^(٤).

(١) «سنن الترمذي» (٣٥١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥٨/٦، ٢٠١)، ومسلم في الصلاة (١/٣٥٢).

(٣) أخرجه مسلم في «الذكر» (٤/٢٠٨٣).

(٤) أخرجه مسلم في «الذكر» (٤/٢٠٧٣) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه، وفي رواية: كان الرجل إذا أسلم على النبي ﷺ علمه الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

«الشكور، الشاكر» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي (١)؛

أصل الشكر في اللغة هو الزيادة والظهور. الشكر: عرفان الإحسان ونشره وهو الشكور أيضًا. وأشكر الضرعُ واشتكر: امتلأ لبنًا، والتشكرة: الممتلئة الضرع من النوق.

والشكور من الدَّوَابِّ: ما يكفيه العلف القليل، وقيل: الذي يسمن على قلة العلف، كأنه يشكر، وإن كان ذلك الإحسان قليلاً وشكره ظهور نمائه، وظهور العلف فيه. ويقال: شكرت وشكرت له، وباللام أفصح.

ورجل شكور: كثير الشكر كما قال تعالى في نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، والشكران: خلاف الكفران.

والله هو الشكور «سبحانه»: هو الذي زاد خيره وبره وظهر على كل خلقه.

ورود الاسمين في القرآن الكريم:

ورد اسم الله «الشكور» في القرآن الكريم أربع مرات منها:

قوله تعالى: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]

وقوله تعالى: ﴿إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

(١) انظر «النهج الأسمى» (١/ ٢٨٩).

وأما اسم الله «الشاكر» فقد ورد مرتين:

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وقوله: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[النساء: ١٤٧].

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال قتادة: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، إنه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم^(١)، وقال: إن الله غفور للذنوب، شكور للحسنات يضاعفها^(٢).

وقال الخطّابي: «الشكور» سبحانه: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر كقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو الشكورُ فلن يضيعَ سعيهم	لكن يضاعفُهُ بلا حُسبانٍ
ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ	هو أَوْجَبُ الأجرِ العظيمِ الشانِ
كلا ولا عملَ لديه ضائعٌ	إنْ كان بالإخلاصِ والإحسانِ

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/٨٧، ٩٢) بإسناد حسن، ذكره الحمود النجدي في «النهج الأسمى» (١/٢٩٢).

(٢) المصدر السابق.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

إن الله سبحانه هو الشكور لخلقه وعباداتهم بكثير الثواب والهبات،
والشاعر لهم على أعمالهم بعظيم الحسنات.

والله سبحانه يشكر خلقه في طرق كثيرة، سنحاول أن نتعرف عليها في
الكلمات الآتية وقد اخترت لكم منها خمسة طرق يشكر الله بها خلقه.

١- إن الله يشكر خلقه بدقة. ٢- يضاعف لهم أجورهم.

٣- يشكرهم جملة وتفصيلاً. ٤- على الأعمال مهما دَقَّتْ أو صَغُرَتْ.

٥- يشكرهم على متعتهم البريئة وفطرتهم السليمة.

١- إن الله يشكر خلقه بدقة :

فتراه سبحانه يعاملهم بدقة متناهية فيحتسب لهم من الأجر أقله ولو كان
بمناقيل الذرة، فسبحان الله من شكور وأكرم به من غفور يجازي عباده على
حسناتهم وإن دَقَّتْ، ويضاعف لهم الأجور وإن صَغُرَتْ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

كم في العنبة من ذرات؟

وروي أن عائشة أم المؤمنين جاءها سائل فلم تجد في البيت إلا عنبة
فأخذتها وغسلتها ثم أعطتها للفقير، فقيل لها: يا أمنا ماذا تصنع له عنبة؟ قالت:
ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]،
فكم في العنبة من ذرات؟

لك بها سبعمائة ناقة كلها مخطومة :

وهذا مثل آخر على دقة شكر الله لخلقه وهو لرجل من أصحاب النبي ﷺ جاءه بناقة جعلها صدقة في سبيل الله وقد ربطها بحبل في عنقها فبشره النبي ﷺ بسبعمائة ناقة في الجنة كلها مربوطة بأحبال ولكنها أحبال من الجنة.

سبحانك ربي ما أعظم عطاءك وأجزله!!؟

عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»^(١). سبحانك يا رب حتى الحبل!!؟

مخطومة: أي مجعول الخطام: وهو ما تُربط به الناقة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

* يضاعف الأجور (واحسبها بالأرقام):

فإن الله شكور كريم، وهابٌ رحيمٌ، وانظر إلى كرمه في عطاءه بالأرقام إذ يشتري منك النية في العمل الصالح ثم يشتري منك الحسنه بعشر أمثالها ثم بسبعمائة ضعف ثم إلى أضعاف كثيرة... هل تعلم عددها؟! تعال وانظر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) رواه مسلم.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ...»^(١).

وهذه يد الله الكريمة وانظر كيف تُضاعف الأجور:

فإن الله يكرم خلقه بأن يأخذ صدقاتهم بيمينه حتى يجعل كل ثمرة كالجبل.

قال النبي ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ ثَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٢). فسبحان الله على كرمه وجوده!!

* وهذه مكافآت وأجور لا تقدر بثمن: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

الله يشكرك جملة وتفصيلاً:

فإن الله سبحانه يعطي العاملين لديه والمتاجرين معه أجراً على العمل الصالح جملة مرة، وتفصيلاً مرة أخرى. أي أن الله سبحانه يعطيك على العمل الصالح أجراً مجملاً ولكنك إذا دقت النظر وجدت أن الله سبحانه قد أعطاك على كل جزيئة في العمل الصالح أجراً خاصاً بها.

فمثلاً: «أجرك في الصلاة». يعطيك الله أجر صلاتك جملة كما في قول

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، واللفظ للبخاري.

النبي ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهما ما لم تُغش الكبائر»^(١).
ثم يعطيك أجر ك على التفصيل: أي على كل عمل في الصلاة.

فهذا أجر للوضوء والذكر بعده:

قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(٢).

ويأجر ك على خطواتك إلى الصلاة.

قال النبي ﷺ: «من عدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزله من الجنة كلما عدا أو راح»^(٣).

فإذا مشى في الظلمات زاد أجره. قال النبي ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٤).

وكل تسبيحة وتهليلة وتكبير صدقة. قال النبي ﷺ: «فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبير صدقة»^(٥).

وترفع بكل سجدة درجة. قال النبي ﷺ: «عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) رواه أبو داود والترمذي، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني برقم (٣١٥).

(٥) رواه مسلم.

لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

وهكذا في بقية الأعمال:

فمنها الصيام، يَأْجُرُكَ عَلَى الصَّيَامِ جُمْلَةً كَقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

تَوْجِرُ بِكُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ خَرِيفًا بَعْدًا عَنِ النَّارِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بَيْنَ وَجْهِهِ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٣).

ورائحة أطيب من ريح المسك. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(٤).

اشترى منك جسدك كله جملة وتفصيلاً.

فَأَمَّا الْجُمْلَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

فإن الله سبحانه قد اشترى من خلقه أجسادهم بل قد اشترى كل قطعة من جسد عباده المؤمنين فجعل على كل مفصل من مفاصل الجسد صدقة يعطي أجزاها الطائعين.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وهذا هو التفصيل :

قال النبي ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(١). السُّلَامَى: المفصل.

وهكذا في كل الأعمال فقد اشتراها الله من عباده؛ أقوالهم وأعمالهم جملة وتفصيلاً وما مضى من أمثلة هي على سبيل المثال لا الحصر.

يأخذ منك القليل ويعطيك الكثير.

الكرم صفة من صفات الله فهو عظيم الجزاء، جزيل العطاء، فتراه قد أدخل رجلاً الجنة لنزعه شوك من طريق الناس، وأدخل امرأة من البغايا الجنة لأنها سقت كلباً شربة ماء، وتجاوز عن رجل ليس له حسنة لأنه تجاوز عن الناس، وغفر لرجل قتل مائة بخطوات مشاها ليتوب، وأدخل امرأة الجنة أطعمت بنتيها تمر واحدة. وإليك بعض هذه الأمثلة على شكر الله خلقه.

شربة ماء لكلب ثمنها الجنة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ «أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرَوَاهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

* يتقلب في الجنة لنزعه عود شوك من طريق الناس :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غِصْنَ شَوْكٍ عَلَى

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

الطريق فأخبره فشكر الله له فغفر له^(١).

أغلى تمرة في التاريخ:

عن عائشة أنها قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار»^(٢).

وشق تمرة يقيك به النار:

عن عدي بن حاتم روى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»^(٣).

* تبسّمك في وجه أخيك صدقة:

قال النبي ﷺ لأبي ذر روى الله عنه: «لا تحقرن من المعروف شيئاً فإن لم تجد فالتق أخاك بوجه طلق»^(٤).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري (٢٨٣، ٢٨١/٣) (٦١١/٦) وغيرها، ومسلم (٧٠٣/٣) عن عدي بن حاتم روى الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢٦٢٦/٤).

«الحق» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق، والحق: هو الأمر الثابت والواجب كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، والحق: الذي لا شك فيه، الثابت الذي لا يتغير.

الدليل الشرعي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَدُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

المعنى في حق الله:

قال ابن الأثير: «الحق» هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته، والحق ضد الباطل^(١).

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ تَصْرُوفَ﴾ [يونس: ٣٢]: يقول الله تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس! فالله هو الذي فعل هذه الأفعال الكريمة، فهو الذي يرزقكم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبر

(١) «النهاية» (١/ ٤١٣).

الأمر، الله ربكم الحق لا شك فيه: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾. يقول: فأى شيء سوى الحق إلا الضلال وهو: الجور عن قصد السبيل^(١).

يقول: فإذا كان الحق هو ذا، فادعواكم غيره إلهاً ورباً هو الضلال المبين والذهاب عن الحق^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾: يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الفعل الذي فعلت من إيلاحي الليل في النهار، وإيلاحي النهار في الليل؛ لأنني أنا «الحق» الذي لا مثل لي، ولا شريك ولا ندّ لي وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهاً من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنع شيء بل هو المصنوع^(٣).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١ - الله سبحانه هو الحق في وجوده:

فإن وجود الله سبحانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن الله سبحانه دليل على كل موجود.

سئل رجل: ما الدليل على وجود الله؟ قال: كيف تسألني عن وجود من كان دليلي على كل موجود.

قال الخطابي: «الحق» هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق، ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝﴾ [الحاقة: ١-٢]، معناه والله

(١) «جامع البيان» (٧٩/١١).

(٢) المصدر السابق (٨٠/١١).

(٣) نفسه (١٣٧/١٧).

أعلم: الكائنة حقاً لا شك في كونها، ولا دافع لوقوعها.

٢ - قوله الحق:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، فقولُه صادق، وكلامه كله حقائق، فأقواله لا تتغير، وكلماته لا تتبدل «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

٣ - وعده الحق:

فإذا وعد الله بشيء فعله، وإذا تكفل بشيء أنجزه، فوعد بالمرحج لمن اتقاه وهذا حق، ومن توكل عليه كفاه وهذا حق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ومن توكل عليه كفاه: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [أن الله بليغ أمره] [الطلاق: ٣].

ومن سألته أعطاه: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ولذلك فله الحمد كله: فله الحمد على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وله الحمد على صدقه، وله الحمد على إنجازه وعده، وله الحمد على كل فعل فعله، وله الحمد على كل كلمة قالها.

وقد كان النبي ﷺ يلهث لسانه بحمد ربه على عظيم أقواله وجميل أفعاله، ويذكره سبحانه بما يليق به من عزه وجلاله وذلك في كل ليلة يقوم فيها بين يدي الله سبحانه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالتَّيُّونَ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (١).

وهو الرب الحق:

فلا يخلق غيره، ولا يرزق سواه فهو الرب الحق، وهو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده ولا ينازعه الألوهية سواه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

الله لا يستحي من الحق:

فإن الحق خير ولو كان مرأ، والحق كله نفع، والله ما فعل شيئاً إلا خيراً سبحانه فكيف يستحي الله من الخير والصدق والبر؟! قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(١) رواه البخاري.

وكذلك فإن الله لا يستحي من الدلالة على الخير بضرب الأمثلة مهما كان المثل شيئاً يظهر للناس أنه بسيط أو صغير ولو كان ذباباً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ؕ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦].

* * *

«المبين» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

بان الشيء بيانًا: اتضح فهو بيّنٌ، وأبان الشيء فهو مُبين، وأبنته أنا: أي أوضحتها، واستبان الشيء: وضح، واستبنته أنا: عرفتُه، وتبين الشيء: وضح وظهر، وقال الزجاجي: «المُبين» اسم الفاعل من أبان فهو مُبينٌ إذا أظهر وبيّن إما قولًا وإما فعلًا^(١).

وسُمّي الكلام بيانًا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨]؛ وسُمّي ما يُشرح من المجمل والمبهم من الكلام بيانًا نحو قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. ويقال بيّنته وأبنته: إذا جعلت له بيانًا يكشفه نحو قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وروده في كتاب الله:

ورد هذا الاسم الكريم مرة واحدة في كتاب الله في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

المعنى الشرعي لهذا الاسم الكريم^(٢):

قال الخطابي: «المُبين» هو البين أمره في الوجدانية وأنه لا شريك له^(٣). وقال الأصفهاني: «المُبين» ومعناه البين أمره، وقيل: البين الربوبية

(١) «اشتقاق أسماء الله» ص (١٨٠).

(٢) انظر «النهج الأسمى» للنجدي (١٨/٢).

(٣) «شأن الدعاء» ص (١٠٢).

والملكوت، يقال: أبان الشيء بمعنى بَيَّنَّ، وقيل معناه: أبان للخلق ما احتاجوا إليه^(١).

وقال الزجاجي: فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو «المبين» أي: المبين لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه والأعمال الموجبة لعقابه، والمبين لهم ما يأتونه ويذرونه^(٢).

وقال ابن جرير وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، يقول ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما يعدهم في الدنيا يمترون^(٣).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١ - إن الله هو المبين لنفسه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

فقد بيَّن الله الحقائق عنه سبحانه لخلقه بوحيه وآياته، وأظهر لهم صفاته وأفعاله بشعره وكلماته، فهو الرب الخالق الرازق ولا رب سواه، وهو الإله الواحد الأحد ولا إله إلا الله.

فها هو سبحانه قد أظهر صفاته لنبيه موسى موضحاً له أنه الرب الخالق، فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

(١) «الحجة في المحجة» (ق ٢١ أ)

(٢) «اشتقاق الأسماء» ص (١٨١).

(٣) «جامع البيان» (١٨ / ٨٤).

وأظهر له بعدها أنه الله لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وها هو يبين لنبيه محمد ﷺ أنه ربه وخالقه ورب الخلق أجمعين:

الذي خلقهم ورزقهم وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

ويبين للعزير أنه على كل شيء قدير:

هذا الذي تعجب من قرية قد هلكت فتسائل كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ثم بين له كيف يحيي الموتى فأحيا له حماره بعد ما كان عظاماً ورميماً فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٢ - والله هو المبين لخلق الله الحق من خلال رسله :

فقد بعث الله أنبياءه ورسله إلى أقوامهم بخلق حسن وأعمال صالحة وأقوال مفهومة طيبة حتى يبين للناس مراده منهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وبعث الله رسوله مبيناً للهدى والنور:

فبعث الله رسوله بأعظم دين وأكرم كتاب بأحسن خلق، وأفصح منطق، وأيسر أمر، وألطف أسلوب، وأعذب معاني فأصبح للدنيا شمسها، وللعين نورها، وللأجساد روحها فهدى الله به الخلق من الضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ففتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً فبين لهم صراط الله المستقيم ونوره المبين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩].

وقد سمي رسوله بالبينة:

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿٢-١﴾ [تنبیلاً].

والبينة: هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة^(١).

ورسول الله مبينٌ للحق بكتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

٣- الله مبين في كلامه «فأنزل كتاباً مبيناً فيه آيات بينات»:

فالقرآن كلام الله المبين يبين الحق من الباطل والهدى من الضلال، والحرام من الحلال، فأحكامه أعظم الأحكام يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

(١) «المفردات» للأصفهاني ص (١٥٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وأَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ وَاضِحٍ مُبِينٍ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

٤- وَاللَّهُ هُوَ الْمُبِينُ فِي كِتَابِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ:

فَيُبَيِّنُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلِكِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ إِمَّا تَصْرِيحًا أَوْ تَلْمِيحًا أَوْ إِشَارَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال أصحاب النبي ﷺ: ما ترك لنا رسول الله ﷺ شيئاً من أمر الدنيا والآخرة ولا طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه شيئاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٥- وَهُوَ الْمُبِينُ لِلْحَقِّ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٦ - والله هو المبين الحق لخلقه بآياته الشرعية والكونية :

فلم يترك لخلقه آية مظهرة لعظمته إلا وضّحها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
[فَصَّلَتْ : ٥٣].

وصدق من قال:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
وقال الآخر:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد؟
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد
وجعل في البيت الحرام آيات بينات :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران : ٩٦-٩٧].

٧ - والله هو المبين لخلقه ما خفي عنهم :

فأبان لهم عداوة الشيطان وهم لا يرونه:

فإن الشيطان قد امتلأ على آدم وذريته غيظاً وحقداً واحترق منهم كرهاً

وحسدًا، وهو يرانا ونحن لا نراه فأوضح الله لنا عداوته، وسماه عدوًّا مبينًا أي واضحًا ظاهرًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقد جاء هذا التحذير بنفس ألفاظه في ثلاثة مواضع من كتاب الله.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]، فلا يدلّه إلا على شر، ولا يمنعه إلا من خير.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ويا لحسرة من أطاعه بعد هذا البيان وعصى ربه وخالفه من أجله.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [س: ٦٠-٦١].

وقد بين الله لنا هذا الخسران وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

لا تشهد على شيء إلا ببينة:

فقد نهينا عن الأخذ بالكلام الذي فيه طعن في أعراض المسلمين أو اتهام لهم حتى نتبين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنِبَا فَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

الدعاء بهذا الاسم الكريم

هذا إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يسألان الله أن يبين لهما مناسك عبادتهما
له سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وفي الدعاء: «اللهم أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً
وارزقنا اجتنابه».

* * *

«اللطيف» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

يقال: يُلطفُ لُطفًا إذا رفق به. اللُّطْفُ: اللِّطْفُ: البر والتكرمة والتَّحْفِي، وهو لطيف بالأمر، أي: رقيق.

ويعبر باللطافة واللطف عن الحركة الخفيفة وعن فعل الأمور الدقيقة، وقد يعبر باللطائف عما لا تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور، وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم. قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩].

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم سبع مرات في القرآن الكريم منها:
قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

المعنى لهذا الاسم في حق الله سبحانه وتعالى:

قال الخطابي: «اللطيف» هو البرُّ بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

وروي عن ابن الأعرابي أنه قال: «اللطيف» الذي يوصل إليك أربك (أي: ما تحتاجه) في رفقٍ، ومن هذا قولهم: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب في رفقٍ^(١).

(١) «شأن الدعاء» ص[٦٢].

وقال الشوكاني في قوله «إن الله لطيف»: لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه إلى كل خفي^(١).

قال ابن القيم في النونية:

وهو اللطيف بعبده ولعبده واللفظ في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة واللفظ عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذي الشان

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «اللطيف» الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا وأدرك الخبايا، والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين الذي يوصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها فهو بمعنى الخبير وبمعنى الرؤوف^(٢).

وعلى هذا يكون معنى «اللطيف» كما يلي:

١- أنه الذي لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، أي: هو لطيف العلم.

٢- هو البر بعباده، الذي يلطف ويرفق بهم من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

٣- هو الذي لطف عن أن تدركه الأبصار فحجبها عن رؤيته.

(١) «فتح القدير» (٢٣٩/٤)، و«روح المعاني» (١٩/٢١).

(٢) «تيسير الكريم» (٣٠١/٥).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١ - إن الله سبحانه هو اللطيف في ذاته وأفعاله فهو يرى خلقه ولا يرونه، مما زادهم إليه اشتياقاً وإلى رؤيته تطلعاً، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وكان الفتح بن شخروف يقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه!

٢ - الله لطيف بعباده في رزقه:

فالله سبحانه لطيف بعباده؛ لعلمه الكامل بكل أمورهم ظاهرة وباطنة وهو أعلم بما يصلحهم فيؤتيهم ما يحتاجونه من أرزاق في لطف ورفق وهم لا يشعرون.

فيلطف بهم في نزول المطر وإنبات الزرع: هل شعر أحدنا بكيفية نزول المطر؟ أو لاحظ أحدنا كيفية نمو الزرع؟ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

ويلطف بهم في أرزاقهم: فيعطي من يشاء ويمنع، ويخفض من عباده ويرفع، كل هذا برحمته وحكمته ولطفه وكل هذا وهم لا يشعرون. قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ٦٣].

٣ - الله لطيف في علمه بخلقه وأحوالهم:

فالله يعلم أحوال خلقه مهما دقت، ويدرك كل أمورهم مهما خفيت. قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

٤ - والله لطيف في التمكين لأولياءه:

فالله يُمكن لأولياءه من الأنبياء والرسل والصالحين بلطف وحكمة بأسباب ظاهرة أو باطنة، وقد تكون أسباب لا يعرفها الخلق فينصرهم ولو كانوا في هزيمة ويحفظهم ولو كانوا في قلب الخطر ومن ذلك:

لطف الله بنبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام:

فهل رأيت لطفًا أعظم من أن تصبح النار بحرًا ولهيها بردًا وسلامًا، وكل هذا بكلمة من الله لم يسمعها أحدٌ من الناس قال تعالى: ﴿قُلْنَا نَارُ كُوفٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

لطف الله بنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَام:

فرباه الله في بيت عدوه والذي أراد قتله، رغم أنف فرعون التقطه جنوده وهو جنين؛ ليكون لهم عدوًا وحرزًا وهم لا يشعرون، حتى أنهم أعادوه لأمه بأنفسهم وأصبحوا يعطونها على ذلك أجرًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالنَّقْطَةُ ۖ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (٨) وَقَالَتْ أُمُّرَاتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٌ لِّي وَلَكَ لَا نَقْصُدُكَ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿[القصص: ٨-٩].

وهذا لطف الله بنبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَام:

فقد لطف الله بنبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَام، وأخرج له النفع والخير من أسباب الضرر فلما أُلقي في الحب أخرج الله إلى قصور مصر، ولما أُدخل السجن جعله الله

سبباً ليكون كالمملوك، وانظر إلى وصف يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ للطف الله به.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

والله لطيف في علمه وقدرته بأدق الأمور. فيعلم الأشياء كلها صغيرها وكبيرها ويأتي بها سواء كانت أحداثاً من خير أو شر، أو عطاء ورزقاً، أو طاعة ومعصية.

قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

فقد أتى بأصغر الأحجام وهي مثقال حبة من خردل، فلو وضعت في أصم الأشياء وأصلبها وهي الصخور أو في أبعد البُعد وهي السموات، أو في أظلم الأماكن وهي الأرض يأتي بها الله، فانظر إلى علم الله وخبرته وقدرته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى!!

«الخبير» سُبحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الخُبْرُ: العلم بالأشياء المعلومَة من جهة الخَبَرِ، والخبرة: هي المعرفة ببواطن الأمور، ويقال: من أين خبرت هذا الأمر؟ أي: من أين علمت؟ والخبر: واحد الأخبار، ورجل خابر وخبير: عالم بالخبر، والخبير: العالم بالشيء، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفتُه على الحقيقة^(١).

الدليل الشرعي:

ورد اسم الله «الخبير» أكثر من أربعين مرة منها:

قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأُ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ﴾ [التحریم: ٣].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن جرير في قوله تعالى: ، العليم بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عنه شيء^(٢).

وقيل: «الخبير»، هو الذي لا تعذب (لا تغيب) عنه الأخبار الباطنة، ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب

(١) «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص(١٢٧)، «الصحاح» للجوهري (٢/٦٤١)، «النهاية» (٢/٦)، «اللسان» (٢/١٠٩٠)، «المفردات» (٢٧٣)، وانظر «النهج الأسمى» (٢/٢٦٧).

(٢) «جامع البيان» (٢٨/١٠٣)، وانظر أيضًا (٢/٣٢٠).

نَفْسٌ وَلَا يَطْمئن، إِلَّا وَيكون عنده خَبْرُهُ^(١).

والخير: بمعنى العليم، لكن العلم إذا أُضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي خبرة وسُمي صاحبها خبيراً^(٢).

قال الخطابي: هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته كقوله تعالى: ﴿فَسَتَلِ بِهِ خَبيراً﴾ [الفرقان: ٥٩].

من آثار الإيمان بهذا الاسم

الله هو الخير بكل الأمور ما ظهر منها وما بطن.

فهو سبحانه الخير بالغيب والشهادة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وخير بما في السموات والأرض.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

خير بأحوال خلقه:

فهو خير بأبدانهم وقلوبهم، وخير كيف يفكرون ويشعرون وما يصلحهم وما يفسدهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]..

خير بعباده إذا أطاعوه:

فهو خير بما في قلوب المخلصين، وإنفاق المتصدقين، وإحسان

(١) «المقصد الأسنى» ص (٦٣).

(٢) المرجع السابق.

المحسنين، وصدق الصادقين، وتقوى المتقين، ويعلم ما يستحقون من أجر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

وخبير بهم إذا عصوه:

فالله سبحانه خبير بكل ذنب فعله خلقه، خبير بمكانه وزمانه، خبير بأسباب الذنوب وآثارها في الأبدان والقلوب، خبير بمن يظلم ويُعرض، وخبير كذلك بمن يتوب، وخبير بمن يستحق العفو والغفران وبمن يستحق العقاب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

[الإسراء: ١٧]

والله خبير بأقوال الألسنة ومشاعر القلوب:

فالله خبير بكل ما قاله لسان وشعر بن جنان، قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿[الملك: ١٣-١٤].

والله خبير بمفاتيح الغيب الخمسة:

فتلك الخمس لا يعلمها إلا الله ولا يخبرها سواه؛ إذ هو الذي قدرها ودبرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

والله خبير بخلقه جميعاً يوم القيامة:

فهو خبير بكل ما فعله خلقه وما قالوه من الخير والشر، ومن الإيمان والكفر،

وأحصاه عليهم وإن نسوه وسوف ينبئهم به يوم القيامة. قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۚ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١].

* * *

«السُّبُوح» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي^(١):

التسبيح: التنزيه.

قال الأزهري: «سبحان الله» معناه تنزيهاً لله من الصاحبة والولد.

وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به^(٢).

وقيل: السبيح القدوس: أي المراد به المُسَبِّحُ المُقَدَّسُ^(٣).

قال الأصفهاني: السبح: المرُّ السريع في الماء، أو في الهواء، يقال: سبح - سبجًا - وسباحة.

قال تعالى: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

ولسرعة الذهاب في العمل نحو: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧].

والتسبيح تنزيه الله تعالى وأصله: المر السريع في عبادة الله، وجعل التسبيح عامًا في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية^(٤).

«وسبحان» أصله نحو غفران، قال: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٩].

(١) انظر «النهج الأسمى» (١٦/٣).

(٢) «لسان العرب» (٣/١٩١٤)، و«الصحاح» (١/٣٧٢).

(٣) «شرح مسلم» لمحمد فؤاد (١/٣٥٣) حديث رقم (٤٨٧).

(٤) «المفردات» للأصفهاني (٣٩٢).

وروده في الحديث الشريف:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

المعنى في حق الله سبحانه:

قال أبو إسحاق الزجاج: السبوح: الذي يُنَزَّه عن كل سوء^(٢).

وقال ابن سيده: سبوح قدوس من صفة الله عَزَّجَلَّ؛ لَأَنَّهُ يُسَبِّحُ وَيُقَدَّسُ^(٣).

وقال النووي: وقال ابن فارس والزبيدي وغيرهما:

سبوح هو الله عَزَّجَلَّ، فالمراد بالسبوح القدوس: المُسَبِّحُ المُقَدَّسُ فكأنه قال: مُسَبِّحٌ مُقَدَّسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، ومعنى سبوح: المُبْرَأُ مِنَ النِّقَاصِ وَالشَّرِيكِ وَكُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَقَدُوسٌ: المُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ^(٤).

وقال الحلبي: «السُّبُّوح» معناه المنزه عن المعائب، والتسبيح: التنزيه^(٥).

ومعنى سبوح: المُبْرَأُ مِنَ النِّقَاصِ وَالشَّرِيكِ وَكُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِالْإِلَهِيَّةِ.

وقدوس: المُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ^(٦).

(١) رواه مسلم في «الصلاة» (٣٥٣/١)، وأبو داود (٨٧٢)، والنسائي (٢٢٤/٢).

(٢) «اللسان» (١٩١٥/٣).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مسلم بشرح النووي (٢٠٤-٢٠٥/٤).

(٥) «المنهاج في شعب الإيمان» (١٩٧/١).

(٦) مسلم بشرح النووي (٢٠٤-٢٠٥/٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

الله سبحانه هو «السُّبُّوح»: المنزه عن كل عيب ونقص وسوء فمن الأمثلة على ذلك^(١):

١- مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَوْتِ: قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

٢- مُنَزَّهٌ عَنِ السَّنَةِ وَالنَّوْمِ: قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣- مُنَزَّهٌ عَنِ الضَّلَالِ وَالنِّسْيَانِ: قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾

[طه: ٥٢]

٤- إِنْ اللَّهُ هُوَ السُّبُّوحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ السَّبُّوحُ فِي أَسْمَائِهِ فَكُلُّ أَسْمَائِهِ

حُسْنَى لَا عَيْبَ فِيهَا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهو السَّبُّوحُ فِي صِفَاتِهِ، فَكُلُّهَا صِفَاتٌ عَلَى لَا دُنَاءَةَ فِيهَا، قال تعالى:

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٨١

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفافات: ١٨٠-١٨٢].

وهو السُّبُّوحُ عَنِ الشَّرْكِ، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا

وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وهو السَّبُّوحُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ زَوْجَةٌ أَوْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ

(١) راجع اسم الله القدوس وما جاء فيه من الشرح.

لِحَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتُهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿[المائدة: ١١٦].

وهو السبوح في خلقه، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، وما قدر شيئاً إلا برحمة،
وما بنى شيئاً إلا بعظمة.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهو السبوح في جمال وجهه الجميل سبحانه، فكل وجهه سُبْحَات
وبركات.

قال النبي ﷺ في وصف وجهه الله تبارك وتعالى: «حِجَابُهُ الثُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ
لَأُخْرِقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١).

قال شراح الحديث من اللغويين والمحدثين: سُبْحَات وجهه: نوره وجلاله
وبهاؤه^(٢).

٥- تسبيح الله من أعظم العبادات: والتسبيح له فضل عظيم في كل العبادات
وتجد له أجراً يملأ ما بين السماء والأرض. قال النبي ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله
تملاً أو تملآن ما بين السماء والأرض».

فتجده في الركوع والسجود: فعندما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ﴾، قال النبي ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، وعندما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ

(١) رواه مسلم (١/١٦١) (١٧٩).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٣/١٣).

أَلْعَلَّ ﴿١﴾، قال: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»^(١).

٦- كل الخلق يسبحون الله: فلا تجد شيئاً من خلق الله في الأرض ولا في السماء، في البر أو في الماء حتى النمل في الجحر، والحوت في البحر، والطير في الوكر إلا وهم يسبحون الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

كل الخلق يسبحون بحمد الله في وقت واحد:

قال النبي ﷺ: «ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»^(٢).

- سبحان الله وبحمده لغة كل المخلوقات وسبيل رزقهم:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمْرُهُ نُوْحُ ابْنِهِ، إِنْ نُوْحًا قَالَ لِابْنِهِ: يَا بَنِي! أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَوْ جَعَلْتَا فِي كِفَّةٍ وَزَنْتَهُمَا، وَلَوْ جَعَلْتَا فِي حَلْقَةٍ فَصَمْتَهُمَا، وَأَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ وَبِهَا يَرْزُقُ الْخَلْقُ».

قال الله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣).

(١) أخرجه الطيالسي (١٠٩٣)، وأحمد (١٥٥/٤)، وأبو داود (٨٦٩)، والحاكم (٢٢٥/١)، وانظر «فتح الباري» لابن رجب (١٧٦/٧) و«الإرواء» (٤٠/٢).

(٢) حسن: رواه ابن السني، وأبو نعيم في «الحلية»، عن عمرو بن عبسة وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٩٩).

(٣) رواه أحمد (١٦٩/٢-١٧٠، ٢٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، والحاكم (٤٨-٤٩)، والنسائي.

- حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم:

فيا له من مشهد عظيم لحملة العرش ومن حوله وهم يلهجون لله بالتسبيح ويحفون من حول العرش له بالإجلال والتقديس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ [غافر: ٧].

الرعد يسبح بحمد الله:

قَالَ الْعَالَمُ: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

وهذا ملك عظيم يسبح الله «العلي العظيم»:

ويا له من مشهد لملك عظيم الخلقة كبير الحجم، فحجمه بلغ من الأرض إلى العرش، ولكن انظر إلى خشيته من الله وتسبيحه له. قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَرَأْسُهُ مَثْبُتٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»^(١).

النمل أمة تُسَبِّح: ولذلك فقد دافع الله عنها وعاتب من أجلها أحد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

عن أبي رَوَّحٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أُحْرِقَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٤٣٥/٥)، والبيهقي في «الأسماء» ص (٤٧٥)، وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٦٦٥).

(٢) رواه البخاري.

الجبال تذكر الله وتسبحه:

قال الأزهري: ومما يدل ذلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تعبدت به قول الله عزَّجَلَّ للجبال: ﴿يَجِبَالُ أَوِّى مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠]، ومعنى «أَوِّى» سبَّحي مع داود النهار كله إلى الليل.

والحصى أيضاً يسبح الله:

عن أبي ذر الغفاري قال: إني لشاهد عند النبي في حلقة وفي يده حصى فسبحن في يده وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن النبي إلى أبي بكر فسبحن مع أبي بكر، سمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلى النبي فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي إلى عمر فسبحن في يده وسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن النبي إلى عثمان بن عفان فسبحن في يده ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا.

حتى الطعام يسبح الله وهو يؤكل:

عن ابن مسعود قال: «... لقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسول الله، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل»^(١).

أهل الجنة يسبحون كما يتنفسون:

قال النبي ﷺ: «يَا كُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، والترمذي.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود.

التسبيح من أعظم أسباب تفريج الكروب:

فإن تسبيح الله باللسان وحسن الظن به بالجنان من أعظم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم والأحزان، ومن أعظم الأدلة على ذلك ما حدث لنبي الله يونس عليه السلام حين التقمه الحوت وكان في كرب عظيم وفي ظلمات الليل وأعماق البحار فلم ينجه إلا التسبيح، قال تعالى: ﴿فَالْقَمَّةُ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٢-١٤٤].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ ذِي التُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْخُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ» (١).

التسبيح صلاة الخلق وبه يُرزق الخلق:

قال النبي ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنُهُ: إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، أَمُرْكَ بِأَمْرَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ أَمْرَيْنِ أَمُرْكَ يَا بُنَيَّ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَوْ جُعِلَتَا فِي كِفَّةٍ وَزِنْتُهُمَا، وَلَوْ جُعِلَتَا فِي حَلْقَةٍ قَصَمْتُهَا وَأَمُرْكَ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ» (٢).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿[الإسراء: ٤٤]﴾.

٢- كل الخلق يسبحون الله، فكل المخلوقات تعرف خالقها سبحانه

(١) رواه الترمذي واللفظ له، والنسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أحمد (١٦٩-١٧٠، ٢٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، والحاكم (٤٨/١-٤٩)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن عمرو، وإسناده صحيح.

في شرح الأسماء الحسنى

٣٨١

وتسبحه على آلائه وإحسانه، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال الأصفهاني: والأشياء كلها تسبح له وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار^(١).

كل الخلق يسبحون إلا الأغبياء:

قال النبي ﷺ: «مَا تَسْتَقِيلُ الشَّمْسُ فَيَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا سَبَّحَ اللَّهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَأَغْيِيَاءِ بَنِي آدَمَ»^(٢). وفي رواية «أَوْ شَرَارُ خَلْقِ اللَّهِ»^(٣).

الجمع بين التسبيح والحمد:

كثيراً ما ترى تسبيح الله قد جاء مقروناً بحمده سبحانه ومن ذلك:

(سبحان الله والحمد لله)، هذه الكلمة على بساطتها وسهولة قولها ولكنها تملأ ما بين السماء والأرض، فإن ما بين السموات والأرض إما آية معجزة فإذا رأيتها قلت: (سبحان الله)، وإما نعمة عظيمة فإذا رأيتها قلت: (الحمد لله).

قال النبي ﷺ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٤).

(سبحان الله وبحمده)، عليك بها فإنها أحب الكلام إلى الله فقد جمعت

(١) «المفردات لمعاني القرآن» (٣٩٣).

(٢) «مسند الشاميين» للطبراني (٩٦٠)، و«العظمة» لأبي الشيخ.

(٣) «حلية الأولياء وطبقة الأصفياء».

(٤) رواه مسلم (٢٢٣) باب: [فضل الوضوء].

بين التنزيه والتقديس، وبين الشاء والحب لله تبارك وتعالى.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(١).

(سبحان الله وبحمده) اصطفاه الله لملائكته، سئل رسول الله ﷺ سئل أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن:

قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٣).

قلها ولو مائة مرة تغفر خطاياك.

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٤).

وقلها إذا أصبحت وإذا أمسيت:

فإنك إذا قلتها صباحاً ومساءً لن يكون أحدٌ أفضل منك، قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٥).

(١) رواه مسلم (٢٧٣١) باب: [فضل سبحان الله وبحمده].

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) باب: [فضل التهليل والتسبيح والدعاء].

(٤) رواه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

(٥) رواه مسلم (٢٦٩٢).

كلمات أفضل من ذكر الله ساعات :

عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنْتَ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

سبح مائة بألف حسنة :

قال النبي ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»^(٢).

والتسبيح من أعلام الإسلام وعلاماته، فتجده في الصلاة والركوع والسجود، وفي الأذكار ودبر كل صلاة، وفي قيام الليل، وعند النوم، وعند التعجب، وفي الدعاء.

(١) رواه مسلم (٢٧٢٦) باب: [التسبيح أول النهار وعند النوم].

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٨).

«السَّمِيعُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضًا، وقد يأتي بمعنى الفهم، كما قال بنو إسرائيل: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، أي: فهمنا ولم نأتمر، ورجل سميع: أي سامع، ورجل سَمَّاع: إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق بكوله تعالى: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١]، والسميع على وزن فاعيل من أبنية المبالغة.

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في كتاب الله خمسًا وأربعين مرة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [لقمان: ٥٠].

معنى الاسم في حق الله:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ السميع لأقوال عباده^(١).

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواءً عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت. قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْئِيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٢).

وقد يكون السماع في بعض المواضع بمعنى: القبول والإجابة كقول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(١).

وقوله ﷺ: «مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ»، أي: من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: «سمع الله لمن حمده»^(٢)، معناه: قَبِلَ الله، حَمَدَ مَنْ حَمَدَهُ.

قال ابن القيم: فعل السمع يراد به أربعة معانٍ:

١ - سمع إدراك ومتعلقه بالأصوات، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

٢ - سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني، كقوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمِعُوا﴾ [١٠٤: ٢]، ليس المراد سمع مجرد الكلام، بل سمع الفهم والعقل ومنه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [٢٨٥: ٢].

٣ - سمع إجابة وإعطاء ما سُئِلَ، كقول النبي ﷺ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»، وفي الدعاء المأثور: «اللهم اسمع». أي: اللهم أجب وأعط ما سألتك.

٤ - سمع قبول وانقياد، كقوله تعالى: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين، ومنه على أصح القولين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، أي: قابلون ومنقادون^(٣).

(١) رواه أنس، وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة ي، ورواه أحمد (٣/ ١٩٢-٢٥٥)، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها (٦٩٠-٧٢٢-٧٣٢)، ومسلم في مواضع منها (٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٩).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٥-٧٦).

قال ابن القيم:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سرٍّ ومن إعلانٍ
ولكل صوت منه سمعٌ حاضرٌ فالسرُّ والإعلان مستويان
والسمعُ منه واسعُ الأصوات لا يخفى عليه بعيدُها والداني^(١)
من آثار الإيمان باسم الله السميع «سبحانه»

١ - إن الله هو السميع لكل صوت:

فإن الله سبحانه هو السميع لكل الأصوات السر منها والعلن، العالي منها والمنخفض، فلا يشغله الأصوات الكثيرة عن الصوت المنفرد ولا تمنعه الأصوات الصاخبة عن الصوت المنخفض؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يسمع دبة النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، واستمع إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تُسَبِّح ربها لما علمت من إحاطة سمعه بالأصوات.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَكْلُمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [الْحَاجِلَاتُ: ١].

وفي رواية: «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ»^(٢).

٢ - إن الله سميع قريب مجيب:

فإن الله يسمع خلقه في أي مكان وبأي صوت فهو قريب من خلقه بعلمه

(١) «النونية» (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٦)، والبخاري تعليقا (١٣/ ٣٧٢) وغيرهما.

وسمعه وبصره وقدرته، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كَبَّرْنَا فقال: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»^(١).

وقال تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]

ولذلك دعا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه في خفاء فأجابه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ ② إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴿[بَرَاءة: ٢-٣]

٣- سمع الله حقيقي وليس مجازياً:

فله سمع حقيقي بلا تكيف ولا تشبيه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٤- المشركون لا يعلمون أن الله سميع:

فإن الغباء قرينُ الشرك إذ أن المشرك لا يعرف ربه ولا يعرف صفاته، وإليك دليل على جهل المشركين بسمع الله سبحانه، يرويه لنا البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اجتمع عند البيت «الكعبة» قرشيان وثقفي - أو ثقفيان وقرشي - كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٦).

كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٢] ^(١).

ليس كمثله شيء في سمعه سبحانه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فسمع الله ليس كسمع خلقه فسمع الناس يكون بجارحة تطرأ عليها الأمراض ويصيبها الخلل، ثم إذا سمعت فإنها تسمع الصوت العالي وقد لا تسمع المنخفض، وتسمع القريب ولا تسمع البعيد، وتسمع الجهر ولا تسمع السر، وإذا كثرت الأصوات اختلطت عليها فلم تميز بعضها من بعض، وإذا نام لم يسمع ثم يذهب ما تبقى منها ويفنى بالموت، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [نَازِعَات: ٢٢].

أما سمع الله جَلَّالُهُ وتقدس أَسْمَاؤُهُ، فإنه سبحانه يسمع ما تحت الأرض كما يسمع ما فوق السماء، ويسمع الخلق جميعاً كما يسمع الصوت الواحد، ولا تختلط عليه الأصوات، فيسمع دبة النملة أثناء ضرب البرق والرعد، والقريب والبعيد عنده سواء والسر عنده مثل العلن، قال تعالى: ﴿وَلَنْ نَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠].

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧، ٧٥٢١)، ومسلم (٢٧٧٥).

دعاء الله باسمه السميع سبحانه

فإن الله سميع لعباده الصالحين، فهو سميع لدعائهم، مجيب لرجائهم وتلك أمثلة لدعاء الأنبياء والصالحين لله وتوسلهم له سبحانه بسمعه وبصره وعلمه.

دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وهما يرفعان القواعد من البيت قالا:
﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وهذا دعاء امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها خالصاً لله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [ال عمران: ٣٥]
فأجابها الله وتقبل مريم قبولاً حسناً.

دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يرزقه الله ذرية صالحة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [ال عمران: ٣٨].

ودعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه بأن يحفظه ويصرف عنه كيد النساء فسمعه الله وأجابه، قَالَ الْعَالِي: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

«البصير» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي^(١) :

البصر في الخلق: حاسة الرؤية، أو حس العين والجمع أبصار، ورجل بصير: مُبْصِرٌ خلاف الضير، ورجل بصير بالعلم: عالم به، والبصيرة: العلم والفتنة^(٢).

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم في عدة مواضع من كتاب الله ومنها:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

المعنى في حق الله تعالى:

قال الخطابي: البصير هو المُبْصِر، ويقال البصير: العالم بخفيات الأمور^(٣).

وقال السعدي: «البصير» الذي يبصر كل شيء وإن دقَّ وصغر، فيبصر ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، وأيضاً «سميع بصير» بمن يستحق

(١) انظر «النهج الأسمى» (١/ ٢٣٥).

(٢) «اللسان» (١/ ٢٩٠).

(٣) «شأن الدعاء» (٦٠-٦١).

الجزء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة^(١).

وقال ابن كثير ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [١٥:٤]، أي: هو البصير العليم بمن يستحق الهداية عمن يستحق الضلالة، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وما ذلك إلا لحكمته ورحمته^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

وهو البصير يرى دبيب النملة - سوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان
ويرى خيانات العيون ولحظها
ويرى كذلك تقلب الأجفان^(٣)

وعلى هذا يكون لاسم الله البصير معنيان: كلاهما حق ثابت لله سبحانه. الأول - أن له بصراً على الحقيقة يرى به - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وهذا حق. الثاني - أنه ذو البصيرة بكلّ الأشياء الخبير بها وهذا أيضاً حق^(٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١ - الله هو البصير بكل شيء:

فإن الله يرى كل شيء مهما صغر ويدرك كل شيء مهما خفي ونذر، قال

(١) «تيسير الكريم» (٢٩٩/٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٣٥٤)، (٤/٨١).

(٣) «النونية» (٢/٢١٥).

(٤) «النهج» (٢٣٧).

تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [١٩:٨].

٢- والله بصير بالعباد في كل أحوالهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عِبَادَهُ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

فالله بصير بمن آمن منهم ومن كفر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٢:٢].

والله بصير بما يصلح أحوال خلقه من الغنى والمال، ومن يفسده ذلك فيعطي كلاً منهم ما يستحقه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

والله سبحانه خبيرٌ وبصيرٌ بذنوب عباده السر منها والعلن، ما ظهر منها وما بطن وسيجازيهم عليها سبحانه، قال تعالى: ﴿وَكُفِّنَا بِرَبِّكَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الأنعام: ١٧].

٣- من علم أن الله يراه أحسن في عبادته:

من علم أن الله يراه حرص على الخير، فأتقن عمله وأخلص نيته وأنفق من المال أحسنه، فعندما سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله ﷺ عن الإحسان، قال النبي ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

ولذلك حينما يرى رسول الله ﷺ ربه يوم القيامة سيخضع ساجداً بمقدار جمعة، ويفتح عليه من الذكر والحمد ما لم يفتح عليه من قبل وذلك حين يطلب

(١) رواه مسلم (٨)، وهو جزء من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل.

الناس منه ﷺ الشفاعة.

قال ﷺ: «فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي...»^(١)، وفي رواية عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «... فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ خَرَّ سَاجِدًا قَدَرُ جُمُعَةٍ أُخْرَى، فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ! ازْفَعْ رَأْسَكَ....»^(٢).

٤ - ومن علم أن الله يراه استحي منه سبحانه:

وهذا من أعظم أسباب الحياء والصلاح فقد مرَّ الإمام أحمد بن حنبل: على رجل فسمعه يقول:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ يَغْفُلُ سَاعَةً أَوْ أَنْ مَا تَخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ
فبَكَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَسَمِعَ يَقُولُ: إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا...
ولله درُّ القائل:

إِذَا مَا دَعَتْكَ النَّفْسُ يَوْمًا إِلَى رِيبَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْعَصِيَانِ
فَاسْتَحْيَ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي
فَاللَّهُ يَرَى الْبَصَرَ وَيَدْرِكُ أَيْنَ يَذْهَبُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد والبخار وأبو يعلى وابن حبان في «صحيحه» وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٤١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣١) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿[النجم: ٣٩-٤١]﴾.

دعاء الله باسمه البصير

وهذا دعاء لوقاية المظلوم من ظالمه ويؤمن الخائف ممن يخيفه وهو دعاء مؤمن آل فرعون، قال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٤٤-٤٥]﴾.

هؤلاء محرومون من نظر الله: ونظر الله لعباده يوم القيامة نعمة عظيمة بل هي من أعظم النعم ومن حرمها فقد حرم الخير ومن هؤلاء:

المنان والحالف بالكذب: عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَرْكَبُهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ».

وفي رواية: «الْمُسْبِلُ إِزَارُهُ»^(١). المسبيل: هو الذي يطول ثوبه ويرسله إلى الأرض كأنه يفعل ذلك تجبراً واختيالاً.

المتكبرون: وقال النبي ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

العجوز الزاني والعائل المستكبر: عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) رواه مالك، والبخاري، ومسلم.

«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أشمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»^(١).

«أشمط» مصغر «أشمط»: وهو أبيض بعض شعر رأسه كبير واختلط بأسوده.

* * *

(١) رواه الطبراني في «الكبير» وفي «الصغير» و«الأوسط».

«الفتاح» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الفتح: نقيض الإغلاق، ويأتي الفتح بمعنى: النصر.

وقال الأزهري: الفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبراً عن شعيب: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٨٩]، أي: اقض بيننا.

وروده في القرآن الكريم:

ورد الاسم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٦: ٤].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال قتادة: «افتح بيننا وبين قومنا بالحق»: اقض بيننا وبين قومنا بالحق^(١).

وقال الزجاج: والله تعالى ذكره فتح بين الحق والباطل فأوضح الحق وبينه وأدحض الباطل وأبطله، فهو الفتاح^(٢).

وهو الفتاح لأبواب الرحمة والرزق ويملك مفاتيحها، قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشُّرَى: ١٢]

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣/٩) وإسناده صحيح.

(٢) «تفسير الأسماء» ص (٣٩).

ما يفتحه الله لا يغلقه أحد:

فإن الله يملك خزائن السموات والأرض، ويملك أرزاقها، ولا يملكها غيره ولا يرسلها سواه، فما يفتحه لا يغلقه أحد وما يمسكه لا يفتحه أحد، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢:٦].

فإن فتح المطر لا يمسكه أحد، وإن أمسكه لا يرسله أحد، وإن فتح الرزق لا يمسكه أحد، وإن أمسكه لا يرسله أحد، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُدْرِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧].

ويفتح من العلم والرزق والنصر لأوليائه:

فيفتح من علوم الغيب لأنبيائه ورسله فقط، قال تعالى: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ [الحج: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [١٧٩:٤].

وقال الخطابي: «الفتاح» هو الحاكم بين عباده، وقال: وقد يكون معنى «الفتاح» أيضًا الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ويفتح قلوبهم، وعيون بصائرهم، ليبصروا الحق، ويكون الفتاح أيضًا بمعنى الناصر لعباده كقوله سبحانه: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩].

قال ابن القيم رحمه الله:

وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أُمَرَانِ

فتح يحكم وهو شرع إلينا والفتح بالأقذار فتح ثانٍ
والرب فتاح بدين كليهما عدلاً وإحساناً من الرحمن
من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

إن الله سبحانه هو الفتح لكل مغلق من أرزاق، وعلوم، وأحكام...

١ - إن الله هو الفتح لما غاب عن خلقه :

فهو الذي يملك الغيب وما فيه من أمور غابت عن الخلق ولا يملكها أحدٌ
سواه، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ويفتح من العلوم لعباده الصالحين :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويفتح أبواب الرزق للمتقين :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

رسول الله ﷺ أعظم من فتح الله له خزائنه:

فقد فتح الله لنبيه ﷺ فتحاً عظيماً في كل شيء، في الوحي وبركته، وفي
القرآن وعظمته، وآتاه من المغفرة أعظمها ومن النعم أتمها ومن النصر أعزّه ومن
الطرق أقومها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ (٢) وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۖ﴾ [الفتح: ١-٣].

وقد فتح الله به أعيناً عمياً، وأذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، وأدخل الله به الناس في رحمته وفتح له أحب البلاد إليه، ونصره على كل من عاداه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۖ﴾ [النصر: ١].

بل وفتح الله لرسوله أبواب السماء وأسرى به إلى المسجد الأقصى ثم إلى السموات السبع، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۖ﴾ [الأنعام: ١].

طوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير:

فإن الله هو الفتح للخير كله، والرزق كله وإليه يرجع الأمر كله، ويفتحها لمن شاء من خلقه وقد اصطفى الله من خلقه من يجري الخير على يديه، ويجعله مفتاحاً للخير مغلقاً للشر فيفتح على يديه بكلمة حق، أو بحكم عدل، أو بإطعام جائع، أو إعطاء محروم.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِئَلَّكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مَغْلَقًا لِلْشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْشَّرِّ مَغْلَقًا لِلْخَيْرِ»^(١).

يوم القيامة هو يوم الفتح العظيم:

ففي يوم القيامة سيفتح الله بين خلقه، ويحكم فيهم بحكمه، ويفصل بينهم

(١) رواه ابن ماجه، وأبو نعيم في «الحلية».

بحكمته وعلمه فيتبين المؤمن من الكافر، والبر من الفاجر، والخير من الشر، وسيعلم الظالمون من المهتدين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٦:٤].

وكل هذا بعلم الله فهو السميع الذي لا يخفى على سمعه صوت وهو البصير الذي لا يغيب عن بصره مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأنعام: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

ليس كل ما يفتح فهو خير؛

فإن الله يفتح أبواب الخير لعباده الصالحين، أما من حادّه وعصاه فيفتح له أيضًا ولكن سيكون ذلك الفتح حجة عليهم لا لهم واستدراجًا لهم وليس لإكرامهم.

عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] ^(١).

وقال أبو حازم: إذا رأيت الله عزَّ وجلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

(١) «مسند أحمد».

قال النبي ﷺ: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْنَتِهَا»^(١).

أعظم ما يفتح هو أبواب التوبة والرحمة :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَتْ قَرِيشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعَ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلَ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا، فَإِنْ أَصْبَحَ ذَهَبًا اتَّبَعْنَاكَ، فَدَعَا رَبَّهُ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ عَذَبْتَهُ عَذَابًا لَا أَعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٢).

الدعاء باسم الله الفتح سبحانه

فإن دعاء الله باسمه الفتح كان سبيل الأنبياء والصالحين ليفتح بينهم وبين من كفر بهم، وينصرهم على من ظلمهم.

قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۖ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/٤٢٢-٣٤٥) وصححه الحاكم (٤/٢٤٠) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٢).

دعاء دخول المسجد :

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن يسألوا الله عز وجل أن يفتح لهم أبواب رحمته في الدخول وأبواب فضله في الخروج.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْصِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(١).

وفي رواية: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(٢).

* * *

(١) «سنن ابن ماجه».

(٢) «سنن أبي داود».

«العليم» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

العلم: نقيض الجهل، وعلمت الشيء: عرفتُه وخبرْتُه، وعِلِمَ بالشيء: شَعَرَ به، والعليم على وزن فعيل من أبنية المبالغة، وعلَّام، وعلامة إذا بالغت في وصفه بالعلم، أي: عالمٌ جدًّا^(١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (العليم) في مائة وسبعة وخمسين موضعًا من كتاب الله منها:

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

[البقرة: ٣٢]

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرؤس: ٥٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

[يونس: ٣٨]

المعنى في حق الله (سبحانه):

قال ابن جرير: إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم، عليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك.

(١) «النهاية» (٣/ ٢٩٢)، «اللسان» (٤/ ٣٠٨٢)، وانظر «النهج الأسمى» (٢١٣).

وقال: إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمانٍ وكفرٍ وحقٍ وباطلٍ، وخيرٍ وشرٍّ^(١).

وقال الخطابي: هو العليم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علمُ الخلق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ولذلك قال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]^(٢). قال ابن عباس: الله العليم وهو فوق كل عالم^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو العليمُ أحاطَ علماً بالذي	في الكون من سرٍّ ومن إعلانٍ
وبكل شيءٍ علمه سبحانه	فهو المحيط به وليس ذا نسيانٍ
وكذلك يعلم ما يكون غداً وما	قد كان والموجود في ذا الآن
وكذلك أمرٌ لم يكن لو كان كيـ	ف يكون ذاك الأمر ذا إمكانٍ

(١) الطبري (١/١٧٥)، (١١/١٢٧).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٧).

(٣) ابن جرير (١٣/١٩).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١ - إن الله هو العليم بكل شيء: فإن الله عليم بكل شيء جملة وتفصيلاً.
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
 [الأنعام: ٥٩]

وقال الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].
 ٢ - ويعلم (الحاضر والغائب) كله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التعالى: ١٨].
 ٣ - ويعلم تاريخ الماضي كله:

سأل فرعون موسى عَلَيْهِ السَّلَام بقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١]، فقال
 موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].
 ٤ - عليم بكل شيء؛ لأنه خالق كل شيء:

فإنه خلق الخلق، ورزق الرزق، وملك الملك، وكون الكون.. فهو يعلم ما
 صنعه سبحانه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [٨: ١٤].
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
 سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

٥- ويعلم الأقدار لأنه مقدرها:

فهو يعلم الأقدار قبل وقوعها وظهورها؛ لأنه هو الذي قدرها سبحانه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحزب: ٢٢].

وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ..»^(١).

٦- وهو العليم بالإنسان وتكوينه:

فيعلم حاله في كل زمان ومكان ويعلم التقي النقي من الظالم البغي، قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

٧- ويعلم كل ما في نفس الإنسان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿[المائدة: ١٣، ١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

والله هو الذي علم خلقه:

فلا يحصل أحدٌ على علمٍ إلا بمشيئته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾

(١) رواه مسلم.

إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿٢: ٥٥﴾. وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤]، وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

ليس كمثله شيء في علمه

فإن الخلق قد يعلمون شيئاً ويجهلون أشياء، يعلمون جانباً من الأمور ولكن لا يحيطون بشيء علماً، وإذا علموا الظاهر لا يعلمون الباطن، وإذا علموا العلن لا يعلمون السر، وإذا علموا الحاضر لا يعلمون المستقبل ولا يدركون الغيب، وإذا علموا لا يعلمون إلا بحياة بعد موت وبعلم بعد جهل، فإذا كثرت علومهم تراحمت عليهم العلوم فنسوا منها؛ لضعف ذاكرتهم.. وقد لا يعلم ما يضره مما ينفعه، ثم هم بعد ذلك كله.. لم يؤثروا من العلم إلا قليلاً.

وَالْعَالِيُّ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإمارة: ٨٥].

وَالْعَالِيُّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وَالْعَالِيُّ: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وَالْعَالِيُّ: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وانظر إلى سعة علمه سبحانه، ففي قصة الخضر مع موسى عَلَيْهِ السَّلَام قال النبي ﷺ: «فلما ركبَا في السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقَرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عَلَيَّ وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ»^(١).

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب.

دعاء الله باسمه العليم

إن من أفضل ما يدعى الله به هو اسمه العليم؛ لأنه يعلم الخير من الشر، وما ينفع مما يضر. فانظر كيف يدعو الخليل إبراهيم ربّه ويتوسل إليه بعلمه، وهو يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. وهذا عيسى عليه السلام يقول: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَْلَمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

دعاء الاستخارة

والاستخارة من أنفع الأسباب في الحصول على الخير واجتناب الشر؛ إذ تستخير الله عزّ وجلّ في حياتك وما يهملك؛ ليوفقك لما ينفعك ويباعد عنك ما يضرّك؛ لأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وهذا ما كان يحرص عليه رسول الله ﷺ ويعلمه أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يقول: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي» أو قال: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ» «فَأَقْضِهِ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي» أو قال: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ» «فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ» قال: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ^(١).

(١) رواه البخاري، وقوله: «ويسمي حاجته»: أي بدلاً من قوله (هذا الأمر).

«الحي» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي^(١) :

يأتي معنى الحياة على عدة أوجه في اللغة العربية منها:

١ - قوة النمو في الأحياء من إنسان أو نبات أو حيوان، ومنه قوله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧].

وكقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ [ق: ١١].

وكقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ولذلك فإنه يقال للمطر: الحيا؛ لأن الله يحيي به الأرض بعد موتها.

٢ - القدرة على الإحساس والشعور.

وبذلك سُمي الأحياء أحياء كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾

[فاطر: ٢٢].

٣ - القدرة على العقل والإدراك والعمل.

كقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

[الأنعام: ١٢٢]

ومن ذلك قول الشاعر:

وقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٢٦٨، ٢٦٩) بتصرف.

٤ - الهناء وذهاب الغم والهم.

كقول الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كُثْبًا كَاسِفًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّحَاءِ

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

أي أنهم متلذذون لما روي في الأخبار الكثيرة عن سعادة الشهداء.

٥ - قد تأتي بمعنى الحياة الآخوية

كقوله تعالى: ﴿وَلِئَلَّكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[العنكبوت: ٦٤].

الحيوان: أي الحياة الأبدية التي لا تنفى.

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم الكريم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في عدة مواضع،

فمنها:

١ - في القرآن الكريم:

- في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

[البقرة: ٢٥٥]

- وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

- وفي قوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

٢- وروده في الحديث الشريف:

جاء أيضاً اسم الله (الحي) سبحانه في السُّنَّة المطهرة، فمنها قول النبي ﷺ في دعائه ربه سبحانه: «...أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(١).

المعنى الشرعي لهذا الاسم الكريم:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الحي وحياته لم يسبقها عدم ولا، ولن يلحقها فناء، حياة لا بداية لها ولا نهاية، ولم تبتدأ بمولد ولن تنتهي بموت.

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وحياته سبحانه كلها قوة فلا يعتريها ضعف، ولا يطرأ عليها عجز كما يأتي على الأحياء؛ فإن الفقر يلحقهم ولو كانوا أغنياء، وإن الضعف يصيبهم ولو كانوا أقوياء، وإن الصغار والإنخفاض يكسوهم ولو كانوا ملوكاً وعظماء، فقد كُتِبَ على كل حيِّ الفناء. إلا الله سبحانه فدائماً له البقاء.

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[الرحمن: ٢٦-٢٧].

قال الخطابي: «(الحي) من صفة الله تعالى: هو الذي لم يزل موجوداً وبالحياء موصوفاً، لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه الموت بعد حياة، وسائر الأحياء يعتريهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معاً، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]».

(١) رواه البخاري ومسلم.

من أسباب الحياة الحقيقية الكريمة

١ - طاعة الله ورسوله (أعظم أسباب الحياة) :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

[الأنفال: ٢٤]

فالحياة في طاعة الله أجمل وأكمل من الحياة في معصيته؛ فحياة الذاكرين أكمل من حياة الغافلين، وحياة الكرماء أكمل من حياة البخلاء، وحياة العلماء أكمل وأتم وأطول من حياة الجهلاء، وحياة الشجعان أكمل من حياة الجبناء، لذا كان موت الشهداء أكمل وأعظم من حياة الجبناء؛ فالشهداء عند ربهم يرزقون.

٢ - الإيمان والعمل الصالح (تلك هي الحياة الطيبة) :

فإن الله سبحانه قد قرن مع الإيمان والعمل الصالح الرزق الواسع وانشراح الصدر وطمأنينة القلب هذا بالإضافة لما له من أجر الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقد جاء في (الأثر): «مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعه الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها».

٣ - إقامة حدود الله والقصاص :

هذه حدود الله العظيمة التي تقيم الحق وتحكم بالعدل وتقوم بالقسط بين الناس فتحفظ نفوسهم، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى: وفي تشريع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج (أي النفوس) وصونها؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يُقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفوس.

إحياء العلم إظهاره والحكم به:

فالعلم حياة والجهل موت، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي في الضلالة هالِكًا حائرًا فأحياه الله، أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه له، ووفقه لاتباع رسله^(١).

وفي قوله ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: أي يهتدي به، كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور: هو القرآن كما رُوي عن ابن عباس، وقال السُّدي: الإسلام، والكل صحيح^(٢).

وقد جاء في (بعض الآثار): تكون فتنة يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم.

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٥).

(٢) «نفسه».

وأنه هو أمات وأحيا

فإن الله هو الحي هو الذي أحيا كل حي فوهبه الحياة وإذا أراد أن يميته سلبه تلك الحياة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [المالك: ٢].

الشهادة في سبيل الله (هي الحياة الكاملة) :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ عن هذه الآية فقال: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيْ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَقَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا»^(١).

الشهيد يتمنى أن يعود مرة أخرى إلى الدنيا ليقتل :

قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ»^(٢).

(١) رواه مسلم (٤٩٩٣) باب: [في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون].

(٢) رواه البخاري (٢٨١٧) باب: [تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا].

قوله ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ» أي: الدنيا وما فيها.

وقوله «لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ»: لأجل ما يراه من فضل الشهادة.

وعن سعيد بن جبير والحسن وغيرهما: لعلكم تنزجرون وتتركون محارم الله ومآثمه.

رسول الله ﷺ وهو أفضل المجاهدين ﷺ يتمنى الشهادة دائماً :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنِّي أَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ» (١).

ذكر الله (أجمل حياة مع ذكر الله) :

فإن في ذكر الله سبحانه حياة النفوس وطمأنينة القلوب وانسراح الصدور وهذا من آيات الله في خلقه وعجائب قدرته أن يجعل قرة أعينهم في ذكره وهم لا يرونه سبحانه وأن يجعل الذكر صلة بينه وبين خلقه وهو فوق عرشه جل جلاله.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (٢).

حتى البيوت لتدب فيها الحياة بذكر الله :

قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (٣).

(١) رواه البخاري (٢٦٤٤) باب: [تمنى الشهادة].

(٢) البخاري (٦٤٠٧) باب: [فضل ذكر الله عز وجل].

(٣) رواه مسلم (١٨٥٩) باب: [استحباب صلاة النافذة في بيته].

والليل يحيا بالعبادة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيَقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمُرَّرَ»^(١).

إحياء النفوس وحفظ الأرواح:

فمن أحيا نفساً أعطاه الله أجر كإحياء الناس جميعاً ومن قتلها فكأنما عليه وزر قتل الناس جميعاً.

ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»^(٢).

وقال الله تعالى سبحانه: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي من حرَّم قتلها إلا بحق ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عند الله سبحانه بين نفس ونفس^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤) باب: [الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان].

(٢) رواه البخاري (٦٧٦٧) باب: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٥، ٤٦).

موقف عثمان حبيب الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

انظر إلى ذي النورين العفيف الطاهر، الحبي، الكريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضحى بنفسه حتى لا يقتتل المسلمون، ويستسلم لأمر الله ورسوله ﷺ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الدار (أي اليوم الذي حُوصِر فيه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيته وقُتِل) فقلت: جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين. فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبا هريرة أيسرُك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم؟ قلت: لا. قال فإنك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً. فانصرف مأذوناً لك مأجوراً غير مأزور. قال فانصرفت^(١).

رضي الله عنك يا عثمان.

من أحياء الأرض ملكها:

لم يتوقف إحياء الموتى على البشر فقط بل وفي كل شيء فتلك الأرض الميتة من أحسن إليها ومسح عن وجهها الموت والخراب فإن الله يملكها له ويجعلها جائزة له.

دعاء الله باسمه الحي سبحانه:

فقد كان من دعاء النبي ﷺ، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُصَلِّيَ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/٤٦).

(٢) رواه مسلم في الذكر، باب: [التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل].

«الْوَلِيُّ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

(الْوَلِيُّ): القرب والدنو، يقال: تباعد بعد وَلِيٍّ، «وكل مِمَّا يَلِيكَ»: أي: مما يقاربك، والْوَلِيُّ: ضد العدو، والموالاتة: ضد المعاداة، يقال فيه: تولاه^(١)، وقيل: الولي: هو الذي ينصر ويؤيد في لطف وحلم ورفق، والولاية: النصرة، والولاية: تولي الأمر، و«وَلَّيْتُ» سمعي كذا، ووليت عني كذا، ووليت وجهي كذا: أقبلت به عليه.

و(الْوَلِيُّ): تقال لمن والى الله من الناس فكان له ولياً، كقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]^(٢).

الدليل من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ﴾ [الشورى: ٩].

معنى الاسم في حق الله:

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نصيرهم وظهرهم، يتولاهم بعونه وتوقيه. ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان^(٣).

(١) انظر «النهج الأسمى» (٤٣/٢).

(٢) «مفردات الألفاظ» للأصفهاني (٨٨٥-٨٨٧).

(٣) «جامع البيان» (١٥/٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾، وكفاكم وحسبكم بالله ربكم ولياً يليكم ويولي أموركم بالحِياطة لكم، والحراسة من أن يستفزكم أعداؤكم عن دينكم، أو يصدوكم عن اتباع نبيكم^(١).

وقال الزجاج: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وهو تعالى وليهم بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم جزاءهم^(٢). وفي (المقصد): «الولي» هو: المُحِبُّ الناصر^(٣).

وقال الحليمي: «الولي» ومعناه: مالك التدبير، ولهذا يقال للقيم على اليتيم: ولي اليتيم، وللأمير: الوالي^(٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - «أن الله ولي الذين آمنوا» أي: نصيرهم وظهيرهم ينصرهم على عدوهم، «وكفى بالله ولياً ونصيراً» فهو السميع لدعائهم وذكرهم، القريب منهم، يعتزون به، ويستنصرونه في قتالهم وكل شئونهم.

لقد جاء في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة أحد أن أبا سفيان قال بعد أن أصيب المسلمون: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيئوه، ثم قال: أفي القوم بن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما

(١) نفسه (٥ / ٧٥).

(٢) «تفسير الأسماء» ص (٥٥).

(٣) «المقصد الأسنى» ص (٨٢).

(٤) «المنهاج» (١ / ٢٠٤).

ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، إن الذي عدت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك فقال: يوم بيوم بدر والحروب سجال، إنكم سترون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز أعلُّ هُبَل فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟»، فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلُّ وأجلّ» قال: إن لنا عزًّا ولا عزًّا لكم، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه» قالوا: يا رسول الله! ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»^(١).

٢- ليس لنا ولي غير الله «ليس لنا من دون الله من أولياء»:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

[الكهف: ١٧]

٣- الله هو الولي الحميد:

فاله يتولى خلقه بلطفٍ ورحمة، ويرزقهم بكرم ورأفة، ولذلك استحق الحمد في ولايته فهو أعلم بمن خلق وأكرم من رزق ومثال ذلك: أنه يتولى المساكين، وينزل المطر والغيث من بعد ما قنطوا بلطف ورحمة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[الشورى: ٢٨]

٣- من هم أولياء الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

(١) رواه البخاري (٧/٣٤٩-٣٥٠).

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الباقية: ١٩].

٥- المؤمنون بعضهم أولياء بعض:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً».

٦- من الدعاء بهذا الاسم:

دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَام بعدما أصبح مَلِكًا مُمَكَّنًا، بعدما كان مسكيناً مستضعفاً، عَلِمَ أن الله تولاه بقدرته ورباه برحمته فأراد تمام النعمة وكمال المِنَّة بأن يلتقى الله على فطرة الإسلام ويلحق بالصالحين من أهل الجنة.

قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]

(١) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والطيلسي والحاكم والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحمد وابن أبي شيبة وابن نصر عن البراء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٢).

«الحميد» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي للاسم :

(الحمد) نقيض الذم، تقول: حمدتُ الرجلَ أحمدُهُ حمداً ومحمدةً، فهو «حميد»، و«محمود»، وقيل إن الحمد: هو الثناء مع الحب، المُحمَّدُ: الذي كثرت خصاله المحمودة.

الدليل من القرآن الكريم :

ورد هذا الاسم سبع عشرة مرة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

[إبراهيم: ٨]

معنى الاسم في حق الله :

قال الخطابي: «(الحميد) هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود على كل حال^(١).

وقال ابن كثير: وهو «الحميد» أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، لا إله إلا هو ولا رب سواه^(٢).

وقال الحلبي: «(الحميد) هو المُستَحِقُّ لأن يُحمَد؛ لأنه جل ثناؤه برأ فأُوجِدَ،

(١) «شأن الدعاء» ص [٧٨].

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢١) ..

ثم جمع بين النعمتين الجليلتين: الحياة والعقل، ووالى بين منحه، وتابع آلاءه، ومنه، حتى فاتت العد، وإن استفرغ فيها الجهد فمن ذا الذي يستحق الحمد سواء؟! بل له الحمد كله لا غيره كما أن المن منه لا من غيره^(١).

قال ابن القيم:

وهو الحميد فكل حميد واقع أو كان مفروضاً مدى الأزمان
ملاً الوجود جميعه ونظيره من غير ماعد ولا حساب
هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الإحسان^(٢)

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

أن الله هو الحميد سبحانه على كل حال: أي: يستحق الحمد على كل حال وفي كل وقت، فهو حميد يستحق الحمد على جميل أسمائه، وعظيم صفاته وشريف أفعاله.

١- أن الله هو الحميد في نفسه وفي أسمائه وصفاته وأفعاله:

قال الشيخ السعدي: «الحميد» في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها وأعلاها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل.

وقد كان النبي ﷺ يحمده الله على جميل أسمائه وعظيم صفاته فيحمده على ربوبيته للسماوات والأرض، ونوره لهما وقيامه على خلقه فيقول: «اللهم لك

(١) «المنهاج» (٢٠٢/١) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في «الأسماء» ص ٥٩-٦٠.

(٢) «النونية» (٢/٢١٥).

الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ....»^(١).

من فضائل حمد الله سبحانه :

الحمد لله تملأ الميزان: قال النبي ﷺ: «الْظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ....»^(٢).

أحب الكلام إلى الله: فإن الله يحب من يحبه، ويحب من يثني عليه بما هو أهله ويحب الحمد والحمادين، قال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٣).

خير الدعاء: قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٤).

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (٥٠٣/١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم وانظر «صحيح جامع الترمذي» (٢٦٩٤).

«الحمد لله لغة كل المخلوقات»

كل شيء يسبح بحمد الله :

قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وكل شيء يصلي ويرزق بحمد الله :

قال نوح لابنه: «إني موصيك بوصية وقاصرها كيلا تنساها، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله تعالى، أوصيك بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانت في كفة وزنتهما. وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق وبها يرزق الخلق ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]».

الرعد يسبح بحمد الله :

قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

الحمد لله على نعمه

الحمد لله أفضل من كل النعم:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٢٥٠) واللفظ له، وأبو بكر بن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٥٨) عن أنس مرفوعاً وله شاهد عند الطبراني في «الكبير» (٨/١٩٣/٧٧٩٤).

أي: كان إلهام الله له من الحمد والشكر أفضل مما أخذ من النعمة.

الحمد لله سبب في رضا الله :

فحمد الله من أعظم الأسباب لرضا الله عن عباده: فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»^(١).

وهذا الحمد للرفع من الركوع:

دعاء النبي ﷺ: فقد كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا، لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

وهذا حمدٌ تتسابق عليه الملائكة :

وانظر إلى قدر الحمد وكيف يحبه الله وتحبه الملائكة؛ لحب الله له حتى أن عشرات الملائكة تتسابق لتكتبه.

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟». قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ بُضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَدَرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٩٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

حمد الله يحول البلى إلى نعمة

وانظر أخي الحبيب إلى حمد الله وقت الضراء وكيف يحولها إلى سراء، وكيف يحول البلاء إلى الرخاء.

فانظر إلى حمد الله على المرض:

فحمد الله على المرض لك به إحدى اثنتين: إما الشفاء وإما الجنة، عن عطاء بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَينِ فَقَالَ: «انْظُرُوا مَاذَا يَقُولُ لِعَوَادِهِ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى رَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي إِنَّ أَنَا تَوَفَّيْتَهُ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتَهُ أَنْ أَبْدِلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أَكْفَرَهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»^(١).

الحمد لله عند رؤية المبتلى:

وهذا ذكر يحفظ صاحبه من البلاء: عن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، عُوْفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ وَمِنْ هَمَزِهِ أَبَدًا مَا عَاشَ».

الحمد لله عند فراق الأحبة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: «أَقْبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «أَقْبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا قَالَ؟» قَالُوا: اسْتَرْجَعَ وَحَمْدَكَ، قَالَ: «ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

(١) رواه مالك مرسلًا وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.

الحمد لله عند خروج الروح:

عَنْ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: الْمُؤْمِنُ عِنْدِي بِكُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزَعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ»^(١).

حمد الله من أهل الجنة:

فهؤلاء أهل الجنة وقد صفت قلوبهم وسعدت نفوسهم، حمدوه إذ أذهب عنهم الأحران، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.

قال الحسن البصري: من لم يحزن في الدنيا يخشى عليه أن يكون من أهل النار، ثم قال: فإن أهل الجنة يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.

الحمد لله الذي صدقنا وعده:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا لَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

(١) رواه الحارث، وأحمد بن حنبل، والبزار بسند صحيح.

«الأَوَّلُ وَالْآخِرُ» سُبحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي^(١) :

الأَوَّلُ: هو الذي يترتب عليه غيره، ويُستعمل على أوجه:

١- الأول في الزمان: أي المتقدم على غيره، كقولك: «عبد الملك أولاً، ثم المنصور»^(٢) أي: في الزمان.

٢- الأول في الرياسة^(٣): أي المتقدم بالرياسة القيادة ورفعة القدر، فيُحتذى به ويُقتدى، نحو: «الأمير أولاً، ثم الوزير».

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أي: أنا المُقْتَدَى بي في الإسلام والإيمان.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١]، أي: لا تكونوا ممن يُقتدى بكم في الكفر.

٣- ومنها الأول: أي المتقدم على كل ما سواه في البناء والصناعة، نحو أن يُقال: «الأساس أولاً، ثم البناء»

(١) «مفردات الفاظ القرآن» (١٠٠).

(٢) «وكانا حاكمين سبق أحدهما الآخر».

(٣) يُقال: من الأول في حرفة كذا، أي: الأمهر والأعظم والأشهر، وبذلك سُمِّيَ المتفوقون على غيرهم أوائل، أما أكثرهم تفوقاً فيقال له الأول.

والآخر: مقابل للأول، فلا شيء بعده في الوجود، ولا الرياسة، ولا العظمة، ولا القدر.

ورود هذين الاسمين في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال النبي ﷺ شارحاً وموضحاً معنى هذين الاسمين الكريمين: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»^(١).

قال النبي ﷺ: «كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»^(٢).

وهذه طائفة مما قاله العلماء اسم الله «الأول» تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

١- فهو أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء:

قال الفراء: قوله عز وجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾: يريد (قبل كل شيء)، و﴿وَالْآخِرُ﴾: بعد كل شيء^(٣).

وقال ابن جرير: «هو «الأول» قبل كل شيء بغير حدٍّ، و«الآخر» بعد كل شيء بغير نهاية؛ لأنه كان ولا شيء موجوداً سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]^(٤).

(١) رواه مسلم في كتاب «الذكر» (٤/ ٢٠٨٤).

(٢) رواه البخاري: (٣١٩١).

(٣) «معاني القرآن» (٣/ ١٣٢).

(٤) «جامع البيان» (٢٧/ ١٢٤).

في شرح الأسماء الحسنى

٤٣٥

وكل شيء موجود فإنما أوجده الله سبحانه، وسوف ينتهي كل شيء كما بدأ، ويبقى الله سبحانه وبحمده.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وهو الأول والآخر في الخلق:

فلم يخلق أحدًا خلقًا قبل خلقه سبحانه؛ فهو الذي أنشأ وأبدع وخلق وبرأ وحده؛ فهو الأول في الخلق، ولم يخلق أحدًا شيئًا بعد خلقه سبحانه، ولو على سبيل التقليد والمحاكاة، ولو في أصغر مخلوق؛ كالحبة أو الذرة؛ فهو الآخر في الخلق، وكل شيء جاء بعده إنما هو من خلقه، وأبدعه، ومن صنع يده جل جلاله.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿

[لقمان: ١١]

فالله سبحانه خالق الكون، ومُقدِّره، ومالكه وحده.

وهو الأول والآخر في الرزق:

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلَّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

فهو الأول والآخر في العطاء والمنع، والخفض والرفع.

قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢].

وهو الأول والآخر فى الحكم والقضاء والقدر:

فلا حاكم قبل حكمه، ولا أمر بعد أمره، ولا مُعَقَّب لقضاءه.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤].

وهو الأول والآخر فى ملكه:

فإن الله سبحانه هو الملك الأول ولا ملك قبله، وكل من ملك بعده فإن الله هو الذي ملكه.

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وهو الملك الآخر الذي ينتهي إليه كل الملك والملكوت، فلا ملك بعده.

قال تعالى: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦].

وقال النبي ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»^(١).

وهو الأول والآخر فى علمه:

فهو الذي خلق المعلومات وأنشأها وأمر بكتابتها وحفظها

(١) رواه البخارى (٧٣٨٢)، باب: قول الله تعالى: [ملك الناس].

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»^(١).

فالله سبحانه أول من يعلم ما تعمل، وهو أول وآخر من يحاسبك عليه، فهو الأول في تقدير أقدار خلقه وأرزاقهم وأقواتهم، ثم هو الآخر في حساب كل امرئ؛ أَحْفَظْ أم ضَيِّعْ؟ وهل شكر أم كفر؟
وهو الأول والآخر في ربوبيته:

فلا رب قبله، ولا رب بعده؛ فهو الواحد في ربوبيته، فلا رب قبله يُدعى، ولا رب بعده يُرجى.

وهو الأول والآخر في ألوهيته سبحانه:
فلا إله قبله يُعبد، ولا إله بعده يُركع له ويُسجد.
بما أنه سبحانه هو الأول والآخر في الوجود، والخلق، والملك، والرزق، والحكم والقضاء.. إذن هو الواحد لا شريك له.
إذن هو الأول والآخر في العبادة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾.
[النحل: ٥١]

وهو الأول والآخر في حياة عباده:
أول من مَسَّتْ يده، وأول من عَرَّفَكَ وَعَلَّمَكَ، وأول من كَلَّمَكَ.
وانظر إلى تاريخ وجودك وسوف ترى أن تاريخك كله مرتبطٌ بخالقك.

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٧٠٠) والترمذي وصححه الألباني

فأولك من صَنَعْتِهِ، وآخرك ومنتهاك إلى لقاءه، فكانت أول لمسة لك من الله قبل أن تلمسك أمك، أو يمسك أبوك.

قال النبي ﷺ: «لما خلق الله آدم؛ مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة»^(١).

وانظر كيف حدث هذا وتأمله جيداً:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنوعمان -يعني: عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً، قال: «ألست بربكم؟» قالوا: بلى. شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣].^(٢)

فلا بد أن يكون الله هو الأول في حياتك، لا يسبقه أحدٌ، ولا يتفوق عليه شيءٌ في عبادتك إياه، ولا في حقه عليك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(١) رواه الترمذي، حديث (٣٠٧٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٥٥)، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير كلثوم بن جبر، فمن رجال مسلم، ووثقه أحمد وابن معين، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال النسائي: «ليس بالقوي»، ورجَّحه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥٠١/٣) ووقفه على ابن عباس. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩١)، والطبري (٩/١١٠) - (١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، والحاكم (٥٤٤/٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٦ - ٣٢٧) من طريق حسين بن محمد المروزي بهذا الإسناد، وصحح الحاكم إسناده الحديث، ووافقه الذهبي إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً.

الدعاء بهذين الاسمين الكريمين

١- الحفاظ على أذكار الصباح والمساء

فالله هو الأحق أن يكون أول من تذكره في يومك بلسانك وجنانك، وعند استيقاظك من منامك، وآخر من تذكره عند منامك، وأول من تلقاه بصلاتك. قال ابن القيم: «إن أردت أن تعلم من تحب، فانظر من تذكر عند منامك ويقتطك؛ فإنهما الموضوعان الذي يذكر فيهما الحبيب حبيبه». ولذلك كان رسول الله ﷺ يذكر الله عند استيقاظه من نومه وعندما يأوي إلى فراشه.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» وَإِذَا قَامَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»)^(١).

٢- وهذا دعاء لقضاء الدين والغنى من الفقر:

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(٢).

(١) رواه البخاري

(٢) رواه مسلم (٢٧١٣)، باب: [ما يقول عند النوم وأخذ المضجع].

٣- دعاء لمن أصيب بالوسوسة والشك :

سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ:
وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَشْيَاءٌ مِنْ شَكٍّ؟» قَالَ: وَضَحِكَ، قَالَ: «مَا
نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ»، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} الْآيَةَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «إِذَا وَجَدْتَ
فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ» {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

[الحديد: ٣]

«الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

ظهر عليه: أي غلبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠]، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، أي: ليُغلبه على الدين كله. وظاهرته: عاونته.

قال تعالى: ﴿وَيُظْهِرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٩].
وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحریم: ٤]، أي: تعاونا.
وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، أي: مُعين.
وظهر الشيء: أي حصل على ظهر الأرض، فلا يخفى.
وبطن: إذا حصل في بطنان الأرض، فيخفى.
قال تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].
وقال تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].
وقال تعالى: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].
وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، أي: كثر وشاع.
وقال تعالى: ﴿يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ [غافر: ٢٩].
وقال تعالى: ﴿نِعْمَهُ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ﴾ [لقمان: ٢٠].

يعني بالظاهرة: ما نعرفها ونقف عليها، وبالباطنة: ما لا نعرفها، وإليه أشار

بقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] ^(١).

أصل البطن: الجارحة، وجمعه: بطون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ آجِنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

والبطن خلاف الظهر في كل شيء، ويُقال للجهة السفلى: بطن، وللجهة العليا: ظهر، وبه شُبِّهَ بطنُ الأمر، وبطن الوادي.

ويُقال لكل غامض: بطن، ولكل ظاهر: ظهر، ومنه بُطْنَانِ الْقَدْرِ وَظُهُرَانِهَا.

ويُقال لما تدركه الحاسة: ظاهر، ولما يخفى عنها: باطن.

قال عَزَّجَلَّ: ﴿وَذَرُّوا ظُلْهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال الأصفهاني: «والظاهر والباطن في صفات الله تعالى لا يُقالا إلا مزدوجين؛ كالأول والآخر».

(فالظاهر) قيل: إشارة إلى معرفتنا البديهية؛ فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى ظاهر الوجود والقوة والقدرة والعظمة.

ولذلك قال بعض الحكماء: «مثل طالب معرفة الله مثل من طَوَّفَ في الآفاق في طلب ما هو معه».

و(الباطن): إشارة إلى معرفته الحقيقة وبواطن الأمور الخافية.

وقيل: ظاهر بآياته، باطن بذاته.

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (٥٤٠-٥٤١).

وقيل: ظاهر بأنه محيط بالأشياء، مُدركٌ لها، باطن من أن يُحاط به، كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وهو ظاهر في خلقه، باطن في حكمته.

هو الظاهر والباطن في نعمه.

قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠].

قيل: الظاهرة بالنبوة، والباطنة بالعقل.

وقيل: الظاهرة: المحسوسات، والباطنة: المعقولات.

وقيل: الظاهرة: النصره على الأعداء بالناس، والباطنة: النصره بالملائكة.

وقيل: الظاهرة: أن رزقكم طاعته بأبدانكم، والباطنة: رزقكم حبه والشوق إليه بقلوبكم.

وهو الظاهر والباطن بعلمه.

فإن الله سبحانه يعلم السر كما يعلم العلن، ويعلم الباطن كما يعلم الظاهر.

قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

قال الفراء: «(الظاهر) على كل شيء علمًا، وكذلك (الباطن) على كل شيء علمًا»^(١).

قال ابن جرير: «وقوله (الظاهر) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو

(١) «معاني القرآن» (٣/ ١٣٢).

العلي الأعلى فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه»^(١).

قال الزجاج: «(الظاهر) هو الذي ظهر للعقول بحججه، وبراهين وجوده، وأدلة وحدانيته. هذا إذا أخذته من الظهور»^(٢).

قال الزجاجي: «(الباطن) اسم فاعل من بطن، وهو باطن؛ لأنه غير مُشاهد كما تُشاهد الأشياء المخلوقة - عزَّ عن ذلك وعلا -،

وهو ظاهر بالدلائل الدالة عليه، وأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته؛ فهو ظاهر مُدرك بالعقول والدلائل، وباطن غير مُشاهد كسائر الأشياء المشاهدة في الدنيا عَزَّجَلَّ عن ذلك وتعالى علوًّا كبيرًا»^(٣).

قال الخطابي: «هو الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته، وصحة وحدانيته.

ويكون الظاهر فوق كل شيء بقدرته.

ويكون الظهور بمعنى: العلو.

ويكون بمعنى: الغلبة»^(٤).

وقال الحلبي: «(الظاهر) معناه هو البادى بأفعاله، وهو جل ثناؤه بهذه الصفة، فلا يمكن معها أن يُجحد وجوده، ويُنكر ثبوته»^(٥).

(١) «جامع البيان» (٢٧/ ١٢٤)، واختاره النحاس في كتابه: «إعراب القرآن» (٤/ ٣٥٠).

(٢) «تفسير الأسماء» (ص ٦٠).

(٣) «اشتقاق الأسماء» (١٣٧).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٨٨)، ونقله البيهقي في «الاعتقاد» (ص ٦٣).

(٥) «المنهاج» (١/ ١٨٥)، وذكره ضمن الأسماء التي تتبع أسماء الباري جل ثناؤه، والاعتراف بوجوده، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ١٣).

قال الخطابي: «(الباطن) هو المحتجب عن أبصار الخلق، وهو الذي لا يستولى عليه توهم الكيفية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين»^(١).

قال الحلبي: «(الباطن) هو الذي لا يُحس، وإنما يُدرك بآثاره وأفعاله»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠].

قال ابن جرير: «و(الباطن) يقول: وهو الباطن لجميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]»^(٣).

وقال الزجاج: «(الباطن) هو العالم ببطانة الشيء».

يُقال: بطنت فلاناً وخبرته: إذا عرفته باطنه وظاهره،

والله تعالى عليم ببواطن الأمور وظواهرها»^(٤).

كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الملك: ١٣-١٤].

(١) «شأن الدعاء» (ص ٨٨)، ونقله البيهقي في «الاعتقاد» (ص ٦٤).

(٢) «المنهاج» (١/ ١٩٦)، وذكره ضمن الأسماء التي تتبع نفس التشبيه عن الله تعالى.

(٣) «جامع البيان» (٢٧/ ١٢٤)، وبنحوه قال النحاس في «إعراب القرآن».

(٤) «تفسير الأسماء» (ص ٦١).

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

١- الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الباطن والإيمان به بالغيب .

فالله أعظم الغيب، مُحْتَجِبٌ عن الخلق، لا يراه أحد في الدنيا، إذ لو رآه الخلق فما هي فائدة الإيمان بالغيب وما الحكمة من بعث الرسل وبما يفضل المصدق لهم على المكذب بهم؟
وحجابه النور سبحانه.

قال تعالى لنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: في الدنيا؛ ولذلك الإيمان به سبحانه يكون إيماناً بالغيب، ورؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَى هي أعظم نعيم الجنة.

٢- هو العليم ببواطن الأمور وخوافيها.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]؛ ولذلك استخارة الله سبحانه من أعظم عوامل التوفيق، وفيها قول النبي ﷺ: «فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب»^(١).

ولتكن بطانتك الصالحة مع الله سبحانه.

٣- قد يقدر الله ما ظاهره بلوة ولكن في باطنه نعمة.

فقد أُلْقِيَ يوسف في الجُبِّ، فكان خيراً له من بيت أبيه، وأُدْخِلَ السجن، فكان خيراً له من القصر.

وكان خروج النبي ﷺ من مكة خيراً من بقاءه فيها مع أنها أحب البلاد إلى

(١) البخاري ٦٣٨٢

في شرح الأسماء الحسنى

٤٤٧

الله وإليه ﷺ. قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٤- تجمل في الباطن كما تفعل بالظاهر.

أولاً- تعهد قلبك بالإصلاح، فإنه موضع نظر الله فيك.

قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» - وأشار بإصبعه إلى صدره-^(١).

ثانياً- حسن العبادة والتوكل على الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

ثالثاً- الثقة في الله وحسن الظن به.

قال ابن القيم: «إن الله يُخْفِي حكمته خلف الأقدار».

فقد يظهر لك قدرٌ تخفى عنك الحكمة منه، وقد يكون في ظاهره ضار وشر، ولكنه في باطنه نافع وخير قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ثانياً- استحيي من الله ظاهراً وباطناً.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا أَفْوَاحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قال النبي ﷺ: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامه بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً».

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤)، باب: [تحريم ظلم المسلم].

قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»^(١).

من جلدتكم: من جنسكم.

يأخذون من الليل كما تأخذون: أي يأخذون من عبادة الليل نصيباً.

* * *

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٤٥)، والطبراني في «الصغير» (٦٦٢)، وقال محمد فؤاد: «إسناده صحيح رجاله الثقات»، وصححه الألباني.

«الْبِرُّ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

(الْبِرُّ): خلاف البحر، وتُصَوَّرُ منه التوسع، فاشتق منه (الْبِرُّ)، أي: التوسع في فعل الخير.

ويُنسب ذلك إلى الله تارة، نحو: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

وإلى العبد تارة، فيقال:

بَرَّ العبد ربَّه، أي: توسع في طاعته، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ أَمَنَّ بِاللَّهِ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

و(الْبِرُّ): الإحسان، كَبَّرَ الوالدين، كقوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْكَ﴾ [مريم: ٣٢].

وقال في وصف الملائكة: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]؛ لكثرة طاعتهم وإحسانهم.

و(بررة) أبلغ من (أبرار).

و(الْبِرُّ): الصدق، يُقال: بَرَّ في قوله، وبَرَّ في يمينه، وبَرَّ في وعده^(١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الْبِرُّ) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (١١٤-١١٥).

معنى الاسم في حق الله :

قال الزجاج: «(الْبَرُّ) هو الله تعالى، بَرَّ بخلقه في معنى أنه يُحَسِّنُ إليهم، ويُصْلِحُ أحوالهم»^(١).

وقال الخطابي: «(الْبَرُّ) هو العطوف على عباده، الْمُحْسِنُ إليهم، عَمَّ بِرُّه جميع خلقه، ولا يبخل عليهم برزقه. وهو البر بالْمُحْسِنِ في مُضاعفة الثواب له، والْبَرُّ بِالْمُسِيءِ في الصَّفْحِ والتجاوز عنه»^(٢).

قال القرطبي: «(الْبَرُّ) هو الذي عَمَّ بِرُّه خلقه كلهم في الدنيا، واختصَّ المؤمنين بِبِرِّ مخصوص في الآخرة.

فأما في الدنيا فقد عَمَّ في قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [لقمان: ٢٠].
وأما في الآخرة، فلا يختص بِبِرِّ الله تعالى إلا مَنْ انعم عليه بجواره، وأسكنه بحبوحه أنواره، لا مَنْ أحله في ناره»^(٣).

قال ابن القيم:

والْبَرُّ في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البرِّ الذي هو وصفه فالْبَرُّ حينئذٍ نوعان
وصفٌ وفعلٌ فهو بَرٌّ كريمٌ مولى الجميل ودائم الإحسان^(٤)

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٦١).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٩٠)، وانظر: «النهج الأسمى» (٢/ ١٧٢).

(٣) «الكتاب الأسنى».

(٤) «النونية» (٢/ ٢٣٤).

في شرح الأسماء الحسنى

٤٥١

وعلى هذا يكون اسمه (البِرُّ) سبحانه فيه معنيان :

١ - الإحسان العظيم وكثرة المعروف.

٢ - الصدق في القول والوعد.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم :

إنه الله هو البِرُّ: زاد بَرُّه، وكَثُرَ خَيْرُهُ، وعمَّ إحسانُهُ.

١ - الله هو البِرُّ في وعده وحديثه :

قال أهل الجنة يتذكرون ما كان بينهم وبين ربهم من وعود وعهود: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «(البِرُّ) الصادق فيما وعد»^(١).

وهذه الفرحة بصدق ما وعدهم به ربهم سوف تتكرر في عدة مواضع.

فعندما تُفْتَحَ لهم أبواب الجنة، وَيُسَلِّمَ عليهم الملائكة سوف يقولون:
﴿... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ، وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤].

وعندما يرون أهل النار يُعَذَّبُونَ فسوف يقولون لهم: ﴿ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾ [الأعراف: ٤٤].
وقال النبي ﷺ: «ما يُخْلِفُ الله وعده ولا رُسُلُهُ»^(٢).

(١) البغوي في «تفسيره عن الضحاك» (٤/ ١٩٤)، والقرطبي عن ابن عباس (١٧/ ٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢١٠٤)، باب: [لا تدخل الملائكة بيت فيه كلب ولا صورة].

٢- يأمر ببر من يعصيه ويعاديه :

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أتتني أُمِّي رغبة -أي: مُشْرِكة- في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: أَصِلُّهَا؟ قال: «نعم».

قال ابن عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] ^(١).

٣- الإهداء للجيران ولو كانوا يهوداً :

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لَجَارِنَا الْيَهُودِي؟ أَهْدَيْتُمْ لَجَارِنَا الْيَهُودِي؟. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِلَجَارٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ» ^(٢).

رسول الله أبر الناس :

فقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأبر الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس.

أعز متصل للمجد متزر كأنما وجهه في الظلمة القمر

قال عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: «يا رسول الله، أنت أبر

(١) رواه البخاري (٥٩٧٨)، باب: [صلة الوالد المشرك].

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (١٩٤٣) وحسنه واللفظ له، وفي «الأدب المفرد» (١٢٨) بنحوه، وصححه الألباني.

الناس، وأفضل الناس...»^(١).

وفي قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لرسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنت عبد الله ورسوله، وانت أبرّ الناس، واصلدق الناس، وأوفى الناس» قال عكرمة: «أقول ذلك وإنني لَمُطاطئ رأسي استحياءً منه»^(٢).

قال أبو طالب عن النبي ﷺ^(٣):

وأبيضٌ يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل
يلوذُ به الهلاكُ من آلِ هاشمٍ فهم عنده في رحمةٍ وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة ووزان صدق وزنه غير عائل
وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتمثل بشعر أبي طالب في رسول الله ﷺ^(٤):

وأبيضٌ يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل
وقال أيضًا: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي
فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب.

كذلك البر (بر الوالدين):

كان حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبرّ الناس بأمه فكان جزاءُ بره الفردوس الأعلى.

(١) رواه مسلم (١٠٧٢)، باب: [ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة].

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٥٠٥٧)، باب: [ذكر مناقب عكرمة بن أبي جهل].

(٣) «المجالس وجواهر العلم» باب: [الجزء الثامن عشر] (١٨٥/٦).

(٤) رواه البخاري (١٠٠٨)، باب: [سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا].

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة ابن النعمان، كذلك البر»^(١).
وقال: «كان أبر الناس بأمه»^(٢).

وتلك هي البشري بالفردوس الأعلى:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ بِنَ سَرَّاقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تَحْدِثُنِي عَنْ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرِبَ - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرَتْ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهِدْتَ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى»^(٣).

هذان عثمان وحارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وانظرا إلى أفعال الأبرار:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبْرَ مِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَمَهُمَا: عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَحَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فَأَمَّا عَثْمَانُ فَإِنَّهُ قَالَ: مَا قَدَرْتُ أَتَأَمَّلُ أُمِّي مِنْذُ أُسْلِمْتُ. وَأَمَّا حَارِثَةُ فَإِنَّهُ كَانَ يَغْلِي رَأْسَ أُمِّهِ وَيَطْعَمُهَا بِيَدِهِ، وَلَمْ يَسْتَفْهَمْهَا كَلَامًا قَطَّ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٥/٨٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. والحاكم (٤٩٢٩)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووفقه الذهبي، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١٥)، (٧١٠٤)، واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيحه» (٩١٣)، وقال الأرئوط: «صحيح على شرط الشيخين».

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٥/٨٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. والحاكم (٤٩٢٩)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووفقه الذهبي، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١٥)، (٧١٠٤)، واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيحه» (٩١٣)، وقال الأرئوط: «صحيح على شرط الشيخين».

(٣) رواه البخاري (٢٨٠٩) باب: [من أتاها سهم غرب فقتله].

تأمر به، حتى يسأل مَنْ عندها بعد ان يخرج: ماذا قالت أمي؟»^(١).

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأبِرُّ البِر:

قال عبد الله بن دينار: «أن عبد الله بن عمر كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروّح عليه إذا ملّ ركوب الرحلة، وعمامة يشد بها رأسه.

فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مرّ به أعرابي، فقال: أأست فلان بن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة، قال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروّح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟!.

فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي»، «وإن أباه كان صديقاً لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٢).

أويس القرني برّأمه فأبرّه الله سبحانه:

هذا سيد التابعين «أويس القرني» كان برّ بوالدته، وكان على عهد رسول الله ﷺ ولكنه لم يلق النبي ﷺ.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأويس عندما رآه: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مرادٍ ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل»؛ فاستغفر لي فاستغفر له...»^(٣).

(١) «مكارن الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٢٢٣)، باب: [ما جاء في صلة الرحم].

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٢)، باب: [صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما].

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٢)، باب: [فضل أويس القرني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

بُرَّ الله بالبراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو أقسم على الله لأبره؛
قال النبي ﷺ: «كم من أشعث، أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره
منهم البراء بن مالك»^(١).

انتصار المسلمين يوم تستر بدعاء البراء وقسمه:
عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع
المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: «إنك لو أقسمت
على الله لأبرك»، فأقسم على الله.
فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة
السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: يا براء أقسم على ربك.
فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك ﷺ،
فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢).

أعظم صفتين في البر:

ومن البر ما هو بين العبد وربه سبحانه، ومنه بين العباد وهاتان الصفتان هما
أعظم صفتين فيما بين الناس بعضهم البعض.
١- حسن الخلق:

عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٣٨٥٤) واللفظ له، والحاكم في «المستدرک» (٥٢٧٤)، وقال: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه»، ووفقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٥٢٧٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووفقه الذهبي».

فقال: «البر حُسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(١).

٢- الصدق:

قال النبي ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا...»^(٢).

حُفاظ القرآن مع الكرام البررة:

قال النبي ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران»، وفي رواية قال ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة...»^(٣).

(الكرام البررة): قيل الملائكة.

دعاء الله باسمه البر سبحانه:

إذا آمنت بأن الله هو البرُّ سبحانه فقد علمت أن كلامه كله حق، ووعدته كله صدق، ثم أضف ما في معنى البر من عطاء وإحسان واسع؛ ولذلك فقد وعد بالجنة لمن كان حزيناً في الدنيا، مشفقاً من فتنها ولذلك تذكر جيداً هذا الدعاء إذا كنت في ضيق أو مشقة أو خوف أو ابتلاء أو عناء أو فتنة أو محنة؛ لأنه كان للخائفين المشفقين من سوء العاقبة وعذاب الآخرة.

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣)، باب: [تفسير البر والإثم]. راجع: «نصرة النعيم»، «البر وبر الوالدين».

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، باب: [قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ولفظه: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»].

(٣) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨)، باب: [فضل الماهر بالقرآن].

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣٦) ﴿فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٣٧) ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦-٢٨].

وأسأل الله أن نلتقي مع أصحاب هذا الدعاء وأن نكون منهم ومعهم حيث قالوه نحن وأنتم - آمين.

«الكَرِيمُ - الْأَكْرَمُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال ابن سيده: الكَرَمُ نقيض اللُّؤْمِ^(١).

قال الجوهري: وتكرَّم عن الشائعات: أي تنزه وأكرم نفسه عنها ورفعها.

وكَرَّم السحابُ: إذا جاء بالغيث.

وقيل لشجرة العنب: كَرَمَةٌ بمعنى كريمة وذلك لكثرة خيرها وقرب جناها^(٢).

وقال الزجاجي: الكريم: الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصَّفوح. هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز في وصف الله عَزَّوَجَلَّ^(٣).

وقال الخطابي: قال بعض أهل اللغة: الكريم: الكثير الخير، والعرب تسمي الشيء النافع الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله كريماً، ولذلك قيل للناقة الحوار: كريمة وذلك لغزارة لبنها وكثرة درّها.

وقال الراغب: كل شيء شَرُف في بابهِ فإنه يوصف بالكرم^(٤).

وقد يُسمى الشيء الذي له قدرٌ وخطرٌ: كريماً، ومنه قوله سبحانه وتعالى في قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وبلقيس: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]^(٥).

(١) «اللسان» (١٥ / ٣٨٦١).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٧٠-٧١).

(٣) «اشتقاق أسماء الله» (ص ١٧٦).

(٤) «المفردات» (٤٢٩).

(٥) «شأن الدعاء» (ص ٧٠-٧١).

فالكريم اسم جامع لكل ما يُحمد، فالله كريم حميد الفعال^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، أي: قرآن يحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي: ليناً سهلاً إكراماً لهما.

﴿وَنُذْخِلُكُمْ مُذْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، قالوا: حسناً وهو الجنة؛ والكريم هو المفضل على غيره.

قال إبليس عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، أي: فضّلت عليّ.

ورودهما في القرآن الكريم:

الأول- في قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]^(٢).

الثاني- في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾. [النمل: ٤٠]

الثالث- في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

وأما اسم الله (الأكرم) فقد جاء في القرآن مرة واحدة. في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].

(١) «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٣٢)، (١/ ١٣٥).

(٢) في قراءة حفص «الكريم» بالكسر نعتاً للعرش، وقرأ أبان بن تغلب وابن محيص وأبو جعفر وإسماعيل عن ابن كثير «الكريم» بالرفع على أنه صفة للرب - انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٥٧).

المعنى الشرعي لهذين الاسمين الكريمين :

قال الحلبي: إنه النَّفَّاع من قولهم: شاة كريمة، إذا كانت غزيرة اللَّبَن تدرُّ على الحالب، ولا تقلص بأخلافها، ولا تحبس لبنها. ولا شك في كثرة المنافع التي منَّ الله عَزَّجَلَّ بها على عباده، ابتداء منه وتفضلاً، فهو باسم الكريم أحق^(١).

قال أبو سليمان: من كرم الله عَزَّجَلَّ أنه يتديء بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء ويقول الداعي في دعائه: «يا كريم العفو»^(٢).

قال أبو حامد الغزالي: «(الكريم) هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالى كم أعطى ولمن أعطى، وإن رُفِعَتْ حاجةٌ إلى غيره لا يرضى، وإذا جُفِيَ عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فَمَنْ اجتمع له جميع ذلك بلا تكلف، فهو الكريم المطلق وذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَطْ»^(٣).

وقيل أيضاً: «(الكريم) هو الجميل صفة وذاتاً وفعلاً، دائم الإحسان متواصل النعم».

(الأكرم): الذي لا يوازيه كريم، ولا يُعَادِلُهُ نظير^(٤).

(١) «جامع معمر بن راشد» (١/ ١٤٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «المقصد الأسنى» (١/ ١١٧).

(٤) «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ١٩٢٣).

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

١- كرم الله مع خلقه:

من كرم الله على خلقه أنه خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه وسوّاهم وعدلهم وعلمهم ثم هم يغترون وينسون

ثم قال: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿[الانفطار: ٦-٨].

كان ابن عباس إذا سمع هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ﴾ يبكي ويقول: غرني بك جهلي يا رب.

٢- كرم الله مع الطائعين:

ما ظنك برب أعطى الجنة بشربة ماء للكلب؟!، وما ظنك بكرمه حين يعطيك جبلاً من الأجر بتمرة؟!، وما ظنك بعطائه حين يقيك النار بشق تمرة؟!،

٣- كرم الله مع أهل الجنة:

أما كرمه سبحانه مع أهل الجنة فأمر لا يتوقعه أهل الجنة أنفسهم فأدناهم له مثل ملك الدنيا عشرات المرات أما أعلاهم فهم الذين تولى الله كرامتهم بيده تبارك وتعالى قال النبي ﷺ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مِنَّا زِلْفُهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مِلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ:

رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآية».

٤- وهذا كرمه سبحانه مع مَنْ عصاه ^(١) :

فإن من كرم الله سبحانه على مَنْ عصاه أنه يَسْتُرْهُمْ ولا يفضحهم، ويمهلهم ولا يعجلهم، وإن تابو قبلهم وإن عادوا إليه أحبهم، وإن استغفروه غفر لهم على ما كان منهم، وبذل سيئاتهم حسنات.

وانظر إلى هذا الحديث العظيم:

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصاب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من أن يُثَبِّتَ عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبا في الدنيا، فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه» ^{(٢)(٣)}.

١- إن الله كريم يحب الكرم:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها» ^(٤).

(١) راجع شرح اسمي الله «الغفار والغفور» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) الترمذي (٢٦٢٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح». وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (١١٨/٢) رقم (٥٧٧)، والحاكم (٤٥٥/٢)، وقال: «صحيح على شرط البخاري ومسلم»، وأقره الذهبي.

(٣) راجع اسم الله الغفور والغفار، ستجد ما يسرك في هذا الباب.

(٤) «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٣٧٠/١)، وصححه الألباني، وانظر: «الصحيحة» (١٦٢٦، ١٣٧٨) وبعده حديث أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

— أكرم الناس هو رسول الله ﷺ:

فقد كان النبي ﷺ أطيب الناس وأكرم الناس وأحسن الناس.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ».

— كرم عجب الله منه:

وهذا بيت كريم بيت أبي طلحة وأم سليم، فقد أطعما ضيفهما طعامهم وطعام أطفالهما بينما أوهماه أنهما يأكلان معه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيَّئِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً، فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَنَوِّمْتُ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهُا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

— وجعل الله إكرام الضيف والجار من الإيمان:

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

في شرح الأسماء الحُسنى

٤٦٥

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ». قال: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ».

— أعظم ما يكرمك الله به هو دينه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

— وقد يكون الابتلاء من كرم الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

عن حبيب أبي محمد النهراي قال: «عادني الحسن في مرض لي، فقال: يا حبيب أن لم تُؤَجِّرْ إلا فيما تُحب قلَّ أَجْرُنَا وإنَّ الله كريم يتلي العبد وهو كاره ويعطيه عليه الأجر العظيم»^(١).

قال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٢).

من دعاء النبي ﷺ بهذا الاسم الكريم:

١- دعاء الكرب:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٣).

(١) «شعب الإيمان» (١٢ / ٣٥١).

(٢) رواه الترمذي في «سننه»، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٣١)، باب: [الصبر على البلاء]، وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري «الفتح: ١١»، (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠)، واللفظ له، وأبو داود في «مسنده» (٢٧٧٣).

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: «هذا حديث جليل ينبغي الإعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمر العظيمة».

قال الطبري: «كان السلف يدعون به ويُسمونه دعاء الكرب».

٢- الدعاء عند نزول النعم:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سُمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة، فسُري عنه فاستقبل القبلة، ورفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا»، ثم قال: «أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، حتى ختم عشر آيات»^(١).

٣- الدعاء للميت في صلاة الجنازة:

عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى النبي ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسّع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر» -أو- «من عذاب النار». قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت^(٢).

(١) الترمذي (٣١٧٣) واللفظ له، وأحمد (٣٤/١)، وقال الشيخ أحمد شاكر: [إسناده صحيح]، (١/٢٥٥)

حديث (٢٢٣)، والحاكم (٥٣٥) وقال: [صحيح]، ووفقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم (٩٦٣).

٤- دعاء دخول المسجد :

وهذا دعاء عظيم عن النبي ﷺ وهو يستعيز بوجه الله الكريم من الشيطان الرجيم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». قَالَ: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»^(١).

* * *

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤٦٦)، باب: [فيما يقول الرجل عند دخول المسجد]، وصححه الألباني.

«الْقَرِيبُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (ما أبعد السماء وما أقرب الله)

المعنى اللغوي:

القُرب نقيض البُعد.

قَرَّبَ الشيء بالضم، يَقْرُبُ قُرْبًا وقُرْبَانًا وقِرْبَانًا أي: دنا، فهو قريب.
والقُربان: ما قُرِبَ إلى الله عَزَّجَلَّ وتقربت به ^(١).

قال الأصفهاني ^(٢): «القرب والبعد يتقابلان، ويُستعمل ذلك في المكان، وفي الزمان، وفي النسبة، وفي الحِظوة، والرعاية، والقدرة».

أما المكان كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

أما في الزمان كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

وفي النسبة كقوله تعالى: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧].

وفي الحِظوة (أي: المنزلة والرفعة) كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾

[المطففين: ٢٨].

وفي الرعاية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[الأعراف: ٥٦].

وفي القدرة والعلم نحو قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِن لَّا بُصْرُونَ﴾.

[الواقعة: ٨٥]

(١) انظر: «النهج الأسمي» (٢/ ٢٩٩).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (٦٦٣-٦٦٤).

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن ثلاث مرات وهي:

— قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

— وقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

— وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبا: ٥٠].

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال ابن جرير في قوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾: «يعني تعالى ذكره بذلك: وإذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا؟، فإنني قريب منهم أسمع دعائهم، وأجيب دعوة الداعي منهم»^(١).

وقال في قوله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: «إن ربي قريب من كل مُتَكَلِّمٍ، يسمع كل ما ينطق به، فهو أقرب إليه من حبل الوريد»^(٢).

وقال في قوله ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾: «إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيبٌ له إذا دعاه»^(٣).

قال الزجاجي: «(القريب) في اللغة على أوجه: القريب الذي ليس ببعيد، فالله

(١) «جامع البيان» (٢/ ٩٢).

(٢) المصدر السابق (٢٢/ ٧٢).

(٣) نفسه (١٢/ ٣٨).

عَزَّجَلَّ قريب ليس ببعيد كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]»^(١).

قال الخطابي: «(القريب) معناه: أنه قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعو به بالإجابة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]».

قال ابن القيم:

وهو الْقَرِيبُ وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بِالْـ دَاعِي وَعَابِدِهِ عَلَى الْإِيمَانِ

من أشار بالإيمان بهذا الاسم الكريم:

١- الله قَرِيبٌ من عباده:

فالله سبحانه قريبٌ من خلقه، يسمع دعائهم، ويُجيب ندائهم، ويُلبّي حاجتهم.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ، فكنّا إذا أشرفنا على وادٍ هلّلنا وكبّرنا وارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، اربعوا - ارفقوا - على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميعٌ قريب، تبارك اسمه، وتعالى جده»^(٢)، وفي رواية: «... إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»^(٣).

(١) «النونية» (٢/ ٢٢٩).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩)، ومسلم (٢٧٠٤).

تعالى جده: تعاضم غناه، وعلت عظمته.

(٣) رواه البخاري ومسلم مختصراً، وأحمد (١٩٥٩٩)، واللفظ له، وهو صحيح على شرط الشيخين.

أي: هو سبحانه أقرب إليكم من أقرب قريب منكم، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

قال الحسن: «(الوريد) الوتين، وهو عرق مُعَلَّقٌ بالقلب، وهذا تشبيه للقرب، أي: نحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه، وليس على وجه قُرب المسافة^(١)».

وقيل: أي ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده الذي هو من نفسه؛ لأنه عرق يُخَالِطُ القلب، فَعِلْمُ الرَّبِّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الْقَلْبِ^(٢).

وقال مقاتل رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوريد عرق يُخَالِطُ القلب، وهذا القُرب قُرب العلم والقدرة، وأعضاء الإنسان تحجب بعضها البعض ولا يحجب عِلْمُ اللَّهِ شَيْئاً^(٣)».

قال عامر بن قيس: «ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليَّ منه^(٤)».

٢- لا يعرف قُرب الله إلا من عبده:

فإن قُرب الله سبحانه لا يُرى بالعين، وإنما يُرى بالبصيرة وبقين القلوب، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥].

لا يراه الناس، بل يُشاهدوا آثاره من عطاء بعد حرمان، وفرج بعد ضيق، ومُعافاة بعد ابتلاء، ونصر بعد هزيمة، وإنصاف بعد ظُلم، وفرح بعد همٍّ وحزنٍ.

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٧).

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفسه.

(٤) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٣١).

قال عامر بن قيس: «ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليّ منه»^(١).

٣- تقرب الله إلي خلقه أعظم من تقربهم إليه سبحانه :

فإنه سبحانه كما جعل الحسنه بعشر أمثالها ثم إلى سبعمائه ضعف، فقد جعل تقربه إلى خلقه أعظم وأفضل وأكثر من تقربهم إليه؛ جزاء لهم ومكافأة لطاعتهم؛ وهذا من عظيم فضله سبحانه، فإن سعوا إليه كان هو أسرع إليهم برحمته وكرمه، وقبوله وتوفيقه، بل وحبه سبحانه وتعالى.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٢).

٤- إن الله قريب بفرجه ونصره :

فإن الله قريب بفرجه للمهموم وقريب بنصره للمظلوم.

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

عسى الكرب الذي أمسيت فيه	يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويُفك عانٍ	ويأتي أهله النائي الغريب
ألا ليت الرياح مُسخرات	بحاجتنا تبادر أو تتوب

(١) «تفسير القرطبي» (١٧ / ٢٣١).

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥).

فتخبرنا الشمال إذا أتينا وتخبر أهلنا عنا الجنوب
فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب^(١)

هـ - قُرب الله من خلقه نوعان :

قال السعدي: القريب المجيب، أي: هو تعالى القريب من كل أحد، وقُربه تعالى نوعان:

الأول - قرب عام من كل أحد بعلمه وخبرته بهم، ومراقبته ومشاهدته لهم، وإحاطته بهم؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧].

الثاني - قرب خاص من عابديه وسائليه ومحبيه سبحانه، وهو قُرب تُعلم آثاره من لطفه بعبده وعنايته به وتوفيقه وتسديده له والدفاع عنه .

ومن آثاره: الإجابة للداعين، والحفاظة للمبتلين، وتأمين الخائفين، وذلك كقوله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦]. وكقول النبي ﷺ لصاحبه في الغار مُكْتَفِيًا بِصُحْبَةِ رَبِّهِ لهما، ومَعِيَّتِهِ وقربه منهما: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٢)، وفي رواية: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»^(٣).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

(١) «شعب الإيمان» (١/ ٣٦٥) ونُسب إنشاده لعلي بن مهدي.

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٣).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم.

فَاتَّبِعْهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال محمد فؤاد في شرحه على حديث مسلم^(١) «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»: «معناه: ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وهو داخل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

كيف تتقرب إلى الله؟

١- أداء الفرائض ثم النواقل:

قال تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...»^(٢).

٢- ذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم»^(٣).

(١) «شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٤).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢)، باب: [التواضع].

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم.

٣- أقرب الأحوال في السجود:

قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء»^(١).
وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

٤- الإحسان:

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

متى يتقرب الله إلى خلقه؟

إن الله قريب من خلقه جميعاً، ولكن هذه المرة فإن الله يقترب من خواص خلقه، وخيرة عباده.

١- في الثلث الأخير من الليل:

قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»^(٢)، وفي رواية: «... أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»^(٣).

٢- في يوم عرفة:

وما أدراك ما يوم عرفة!! إنه رقة القلب، ودمعة العين، وإجابة الدعاء، والعتق من النار، وما هذا إلا لأن الله قد دنا من خلقه واقترب منهم.

قال النبي ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة،

(١) رواه مسلم (٤٨٢)، باب: [ما يُقال في الركوع والسجود].

(٢) رواه البخاري (٦٣٢١)، باب: [دعاء نصف الليل].

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (٣٥٧٩) ت. شاكر، وصححه الألباني.

وإنه ليدنو، ثم يُباهي الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟^(١).

ليس كمثله شيء في قربه:

فإن الناس في قربهم من بعضهم يكونوا في حالتين:

الأول - قرب إجباري، كالقربة من الوالدين وذوي الأرحام؛ وهذا لا اختيار للإنسان فيه، وهذا ما لا يستطيع قطعه.، وقد يتحمّله وهو كاره، ويحبك الناس فيه على قدر عطائك وليس أخذك منهم.

الثاني - قرب اختياري، وهو ما يحدث بالصدقة، أو الزواج، أو المحبة..

وأشبه ذلك غالباً يكون بإرادة الإنسان.

وهذا القرب قائم غالباً على المصالح، أو العواطف القلبية، فإذا انعدمت تلك المصالح، أو ذهبت تلك المشاعر تجد هذا القرب قد تحول إلى بُعد، وهذا الحب قد تحول إلى بُغض.

أما قرب الله فلا يقوم على مصلحة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل المصلحة كل المصلحة عائدة على عباده وليس عليه.

فكل من يتقرب إليك يريد أن يأخذ منك، أو يكسب عليك؛ إلا الله سبحانه يقترب منك ليُعْطِيكَ، وتكسب عليه أعظم المكاسب.

وقد يكون قرب الناس منك عبئاً ثقيلاً عليك، أما في قرب الله فإنه يحمل عنك أعبائك، ويخفف عنك أحمالك وأثقالك.

(١) رواه مسلم (١٣٤٨).

وقد يكون قرب الناس منك في صورة بُعد مُقَنِّع، أي: يكون الإنسان قريباً منك ببدنه لكنه بعيداً عنك بعقله وقلبه، وقد ينظر إليك بعينه ولكنه شاردٌ عنك بفكره.

لكن الله سبحانه يُقْبِلُ عليك في قربه أكثر مما تُقْبِلُ عليه، ويقترب منك أكثر مما تقترب أنت منه.

لقد رَغِبَكَ الله في أن تكون من المقربين، فلا تجعل نفسك من المُبعدين.

قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

[الواقعة: ١٠-١٢].

أنت قريبٌ من الله إن كنت بعيداً عن معصيته :

ولذلك لم يأمر الله فقط بترك الحرام وإنما أمر باجتنابه وعدم القرب منه فإن القرب من الحرام حرام وأقوى الناس من ابتعد عن المعصية قبل اقترابها منه.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

إن الله قريب منك فاتقيه واستحي منه :

أين الله؟؟

عن نافع، قال: «خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له ووضعوا سفرة له، فمرَّ بهم راعي غنم، قال: فسَلَّم، فقال ابن عمر: هَلَمْ يا راعي، هَلَمْ، فأَصَب من هذه السفرة.

فقال له: إني صائم.

فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار شديد سمومه، وأنت في هذه الجبال ترعى هذا الغنم؟

فقال له: أي والله، أبادر أيامي الخالية.

فقال له ابن عمر وهو يريد يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه، فنُعطيك ثمنها ونُعطيك من لحمها فتفطر عليه؟

فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي.

فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلاً إذا فقدها، فقلت: أكلها الذئب؟!

فولَّى الراعي عنه وهو رافع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: أين الله؟؟!!

قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، وهو يقول: «قال الراعي: فأين الله؟».

قال: فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق

الراعي، ووهب له الغنم»^(١).

(١) «شعب الإيمان» (٧/ ٢٢٣)، باب: [الأمانات وما يجب من أدائها].

«المَجِيبُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

جواب الكلام: هو قطع المسافة من الأرض، فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع.

والسؤال على ضربين:

طلب مقال، وجوابه مقال.

وطلب نوال (أي: مال ونحوه)، وجوابه النوال (أي: عطاء السائل ما يتمنى ويرجو في سؤاله ودعائه).

فعلى الأول: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩].

والاستجابة: قيل هي الإجابة، وحقيقتها هي التحري للجواب، والتهيؤ له (أي: الحرص والعناية بتحقيق الدعاء والمسألة). مثل قوله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ورود الاسم في القرآن الكريم:

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال الشيخ السعدي: «فهو (المجيب) إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأينما كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق.

وهو (المجيب) إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه.

وهو (المجيب) أيضاً للمضطرين ومن انقطع رجاءهم من المخلوقين،

وقوي تعلقهم به طمعاً ورجاءً وخوفاً»^(١).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

١- ادع ولا تحمل هم الإجابة:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرفعوا أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم»^(٢)، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون قريباً محبباً يسمع دعائكم ويستجيب»^(٣).

يُروى أنه كان بأرض الصّين ملكٌ وَقَدْ ذَهَبَ سَمْعُ مَلِكِهِمْ، فَجَعَلَ يَبْكِي. فَقَالَ وَزَرَاؤُهُ: مَا لَكَ تَبْكِي لَا بَكَتَ عَيْنَاكَ.

فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِي، وَلَكِنْ أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنْ كَانَ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصْرِي لَمْ يَذْهَبْ، نَادُوا فِي النَّاسِ أَلَا لَا يَلْبِسُ ثَوْباً أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُوماً، فَكَانَ يَرْكَبُ الْفِيلَ وَيَطُوفُ النَّهَارَ هَلْ يَرَى مَظْلُوماً فَيَنْصِفُهُ.

قال سفيان بن غيينة: «لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب الله تعالى لإبليس وهو شرُّ الخلق، قال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْثُونَ﴾ قال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥]»^(٤).

(١) «تيسير الكريم» (٣٠٤ / ٥).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٢).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (١٩٦٠٥) ط. الرسالة.

(٤) «شعب الإيمان» (٣٨٥ / ٢).

وقال يحيى بن مُعَاذ: «إلهي. كيف أمتنع من الدعاء ولا أراك تمتنع للذنوب من العطاء؟!».

عن إبراهيم بن السري السَّقَطِي يَقُول: «سمعت أبي يقول: كُنْ مِثْلَ الصَّبِيِّ إِذَا اشْتَهَى عَلَى أَبَوَيْهِ شَهْوَةً فَلَمْ يُمَكِّنَاهُ، فَقَدْ يَبْكِي عَلَيْهِمَا، فَكُنْ أَنْتَ مِثْلَهُ فَإِذَا سَأَلْتَ رَبَّكَ وَلَمْ يُعْطِكَ، فَاقْعُدْ فَابْكِ عَلَيْهِ»^(١).
(فلنعم المجيبون)..
فإن الله سبحانه نِعَمَ المجيب لعباده، فلا حُجْبُ تمنعه من القُرب، ولا ضَوْضَاءُ تحجبه من السمع، ولا بخل يمنعه من الإجابة، ولا فقر يمنعه من العطاء.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥].

هَذَا اقْرَبُهُ:

جاء أعرابي لرسول الله ﷺ فقال: «أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟، فأنزل الله عزَّجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]^(٢).

وهذا اغْنَاهُ:

قال تعالى في الحديث القدسي: «... يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيت كل إنسان منهم مسأله؛ ما نقص ذلك مما

(١) «شعب الإيمان» (٢/ ٣٨٥). ذكر فصول في الدعاء.

(٢) «العظمة» لأبي الشيخ (١٦٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره».

عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدْخِلَ البحر»^(١).

وهذا حياؤه: فإن الله يستحي أن يرد يديك في دعائك.

قال النبي ﷺ: «إن الله حيٌّ كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين»^(٢).

(الصَّفر): الفارغ.

وهذا كرمه:

ينادي الله خلقه ليدعونه ليستجيب لهم:

قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

قال أبو بكر الشبلي: «قال: ادعوني بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة»^(٣).
وقال يحيى بن مُعَاذ الرازي: «إلهي أسألك تذُلًّا فأعطني تفضُّلاً»^(٤).

وينهى عن سؤال غيره:

قال النبي ﷺ: «إن الله يُمهِّل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثاه قال: لا يسألن عبادي غيري، من يدعني أَسْتَجِبْ له، من يسألني أُعْطِه، من يستغفرني أُغْفِرْ له حتى يطلع الفجر»^(٥).

(١) رواه مسلم في «صحيحه».

والمخيط: ما يخاط به الثوب كالإبرة ونحوها.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «شعب الإيمان» (١١١١).

(٤) نفسه.

(٥) رواه ابن ماجه في «سننه» (١٣٦٧)، باب: [ما جاء في أي ساعات الليل أفضل]، وصححه الألباني.

— ويغضب على من لم يسأله:

قال النبي ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»^(١).

— وقد يستجيب برغبة القلب:

أي: بمجرد أن يرى الله سبحانه حاجة في قلوب عباده، فإنه قد يحقق رجائهم وإن لم يسألوه حاجتهم.

وهذا ما حدث لرسول الله ﷺ في تحويل القبلة، فكان ﷺ يتمنى أن يتحول من المسجد الأقصى إلى المسجد لحرام، قال تعالى: ﴿قَدْ زَرَى ثَقَلُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

هكذا يستجيب الله الدعاء

من أسباب قبول الدعاء:

١- الإيمان والتقوى:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

٢- اليقين بالإجابة والعزم في المسألة:

— قال النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»^(٢).

— قال النبي ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مُستكره له»^(٣).

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٣٣٧٣) ت. أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي في «سننه» والحاكم في «المستدرک» (١٨١٧)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٦٣٣٨)، باب: [ليعزم المسألة]، ومسلم (٢٦٧٨)، باب: [العزم في الدعاء] واللفظ له.

٣- دعاء المسلم لأخيه المسلم:

قال النبي ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستجابة، عند رأسه ملكٌ مُوَكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك المُوَكَّلُ به: آمين، ولك بمثل»^(١).

٤- دعوة المظلوم:

قال النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أُرسله إلى اليمن: «... واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

٥- من نصب وجهه لله في مسألة:

قال النبي ﷺ: «ما من مسلم ينصب وجهه لله عَزَّجَلَّ في مسألة إلا أعطاهُ إياها، إما أن يُعَجَّلَها له، وإما أن يدخرها له في الآخرة»^(٢).

٦- الدعاء كريم على الله سبحانه:

قال النبي ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»^(٣).

هو لا يستجيب الله دعائهم:

١- الشرك والكفر:

قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

(١) رواه مسلم (٢٧٣٣)، باب: [فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب].

(٢) رواه أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسنادٍ لا بأس به، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (١٦٣٢) (٢/٢٧٧).

(٣) رواه الترمذي وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (١٦٢٩) (٢/٢٧٦).

٢- أكل الحرام:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ الرَّجُلَ: «يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثُ أَغْبَر، يَمْدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لَذَلِكَ»^(١).

٣- الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم والاستعجال:

قال النبي ﷺ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ».

قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟

قال: «يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم يُستجب لي، فيستحسر عند ذلك، وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»^(٢).

٤- القلب الغافل:

قال النبي ﷺ: «... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»^(٣).

ليس كمثله شيء في إجابته :

أما غير الله فدعاؤه كله خسران..

فإما بعيد لا يُرجى وصاله، وإما فقير لا يُرجى عطاؤه ونواله، وإما بخيل لا يفيد سؤاله، ولو كان قريباً غنياً كريماً فالفناء حاله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(١٣) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ^(١٤) يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿فاطر: ١٣-١٥﴾.

(١) رواه مسلم (١٠١٥)، باب: [قبول الصدقة من كسب طيب].

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٥)، باب: [بيان أن يُستجاب للداعي ما لم يُعجل].

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (٣٤٧٩)، والحاكم في «المستدرک» (١٨١٧)، وحسنه الألباني.

«الرَّءُوفُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

(الرأفة): أشد الرحمة.

وقال الزجاج: يُقال: أن الرأفة والرحمة واحدٌ، وقد فرَّقوا بينهما أيضًا.

يُقال: فلانٌ رحيمٌ، فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوفٌ.

قال الكمي:

وهم الأرفون بالناس في الرؤفة والأحلمون في الأحلام.

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في كتاب الله عشر مرات، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[النور: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[الحشر: ١٠].

معنى الاسم في حق الله سبحانه^(١):

قال أبو عبيدة: (رؤوف) فعول من الرأفة، وهي أرقُّ الرحمة.

(١) «النهج الأسمى» (٢/ ٢١٤-٢١٥).

قال كعب بن مالك الأنصاري:

نطيع نبينا ونطيع ربّا هو الرحمن كان بنا رؤوفاً

قال ابن جرير: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥، البقرة: ١٤٣].

إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة.

وقال الخطابي: (الرؤوف) هو الرحيم العاطف برأفته على عباده، (الرأفة) منتهى الرحمة وأرقها.

جاء في «الأسنى» للقرطبي: «أن الرأفة: نعمة مُلذّة^(١) من جميع الوجوه، والرحمة قد تكون مؤلمة في الحال، ويكون عقباها لذّة».

ولذلك قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، ولم يقل: (رحمة).

فإن إقامة الحدود على الجنّة، وضرب العصاة رحمة لهم لا رأفة، فإن صفة الرأفة إذا انسدت على مخلوق لم يلحقه مكروه؛ فلذلك تقول لمن أصابه بلاءٌ في الدنيا، وفي ضمنه خيرٌ في الآخرة: «إن الله قد رحمه بهذا البلاء».

ونقول لمن أصابه عافية في الدنيا، وفي ضمنها خيرٌ في الآخرة، واتصلت له العافية أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا: «إن الله قد رأف به».

قال الأفلحي: «فتأمل هذه التفرقة بين الرأفة والرحمة، ولذلك جاء معًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾».

وعلى هذا.. الرأفة أعم من الرحمة، فمتى أراد الله بعبده رحمة أنعم عليه

(١) مُلذّة: ممتعة ومريحة.

بها؛ إلا أنها قد تكون عقيب بلاء، وقد لا تكون، والرأفة بخلاف ذلك^(١).

من آثار الإيمان باسم الله الرؤوف سبحانه :

١- الله أرف بالعباد من أنفسهم:

ومن أجل ذلك خلق الله لك ما ينفعك، وما يريح بدنك، فلقد خلقك الله ورزقك وأحيأك وحبأك، وإذا مرضت شفاك، وعلمك ما لم تكن تعلم، وعرفك ما كنت تجهل، وأنامك وأيقظك، وحسن خلقك، وهيا رزقك، وسخر لك الشمس والقمر، وحمأك في البر والبحر.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ (٣٣) وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۝ (إبراهيم: ٣٢-٣٤). ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ (الحج: ٦٥). ﴾

٢- خلق لك ما يتحمل عنك المشقة:

كيف لو كُلفَ الإنسان أن يحمل بضاعة من بلد إلى بلد، أو أن ينقل الأثقال الهائلة بالأطنان دون معين له، أو أن يسافر من قارة إلى أخرى بلا دوابٍّ تحمله أو ناقلٍ تنقله .

﴿ وَاللَّائِمَةَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا

(١) «الأسنى» (١٧٣-١٧٤).

جَمَالٍ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿النحل: ٥-٧﴾.

٣- من رأفته سبحانه في شرعه:

١- أنه لم يُحْمَلْ ما لا تطيق:

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢- يريد لك اليسر دائماً:

ولذلك لا تجد عزيمة إلا ومعها رخصة، وما من مشقة إلا وأوجد الله لها مخرجاً ويسراً.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال النبي ﷺ: «إن هذا الدين يسر»^(١).

وقال ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»^(٢)، وفي رواية: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»^(٣).

وأنه يقبل منك القليل ويعطيك الجزيل، فقد ضاعف لك الحسنه بعشر، ثم إلى سبعمئة ضعف، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) رواه البخاري (٣٩)، باب: [الدين يسر]، والنسائي في «سننه» (٥٠٣٤).

(٢) رواه أحمد (٥٨٧٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٥٠)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح، وابن حبان في «صحيح» (٣٥٦٨)، وصححه الألباني، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه»، وقال الألباني: صحيح في «الإرواء» (٥٦٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

ومنها أنه يُمتعك ويؤجرُك على نظافتك والحفاظ على حسنك وجمالِك.
- فقد خلقك وجَمَلَك وحسَّن مظهرك، فإذا تطهرت وتجملت وتعطرت
أحبك. قال النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(١).

- ورزقك زوجة لتسكن إليها، ومتعك بها، ثم يأجرُك على متعة فراشك.
قال النبي ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة»^(٢).

٤- رؤوف بعباده مع معاصيهم وعند أخطائهم:

فرحم ضعفهم، وفتح لهم أبواب رأفته.
- فلم يعاجلهم بالعقوبة.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَلَاثِ نَفَسٍ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ رَحِيمٌ ﴿٤٦﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

قال ابن كثير: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ رَحِيمٌ﴾ أي: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، كما
ثبت في (الصحيحين).

قال النبي ﷺ: «ما أحدٌ أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى إنهم يجعلون له نذًا،
ويجعلون له ولدًا، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم»^{(٣)(٤)}.

(١) رواه مسلم (٩١)، باب: [تحريم الكبر]، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوب حسن، ونعله حسن، فأجابه رسول الله ﷺ: «... الحديث».

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باب: [بيان اسم الصدقة على كل نوع من المعروف].

(٣) رواه البخاري، باب: [الصبر على الأذى] (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤)، باب: [لا أحد أصبر على أذى من الله].

(٤) «تفسير ابن كثير» (٥٧٥/٤).

- أن يرزقهم التوبة ^(١).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

هـ- من رأفته بخلقه حذرهم نفسه:

قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ومن رأفة الله بخلقه أنه حذرهم من حشرات يوم القيامة عندما يرى كل إنسان ما قدمت يداها، وينقسم الناس إلى شقي وسعيد، فأراد الله سبحانه تحذيرهم غضبه وعقابه؛ لأنه رؤوف بهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذرهم نفسه ^(٢).

- ومن رأفته سبحانه أنه أرسل إلينا رسول الله ﷺ.

لقد بعث الله رسوله ﷺ إلى الناس، وقد صاغه برحمته، وأسبغ عليه من رأفته سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

١- حرصه على هداية الناس مع أذاهم له ﷺ:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَأَنِّي أَنْظِرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

(١) راجع شرح اسم الله «الغفار» و «الغفور» و «التواب».

(٢) ابن كثير في «تفسيره» (٣٢/٢)، تفسير [الآية ٣٠ من آل عمران].

ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

٢- رأفته ﷺ بالضعفاء؛ كالنساء والأطفال:

فكان يتأثر ﷺ ببكاء الأطفال في صلاته، فيخفف فيها رحمةً بالصبي وأمه. عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأجتوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»^(٢)، وفي رواية: «... فأخفف من شدة وجد أمه به»^(٣).

(وجد أمه به) أي: من شدة ما تجد من حبه لها، وحزنها على بكائه، واشتغال قلبها به^(٤).

٣- أمره ﷺ بالتيسير على الناس:

فقد كان ﷺ يأمر الدعاة والأمرأ بالتيسير على الناس، فلما بعث رسول الله معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُتَفَّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»^(٥).

(١) رواه البخاري (٣٧٧)، باب: [حديث الغار].

(٢) رواه البخاري (٧٠٧)، باب: [من أخف الصلاة عند بكاء الصبي].

(٣) رواه مسلم (٤٧٠)، باب: [أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام].

(٤) (شرح محمد فؤاد على صحيح مسلم) (١/٣٤٣).

(٥) رواه البخاري (٧١٧٢)، باب: [أمر الوالي إذا وجّه أميرين إلى موضع أن يتطاولا ولا يتعاصيا]، ومسلم

(١٧٣٣)، باب: [في الأمر بالتيسير وترك التنفير].

٤- رأفته ﷺ في تعليم ذوي الأخطاء، ومعالجة أخطائهم:

فمن ذلك رأفته بالأعرابي الذي بال في المسجد، فأمر ﷺ أصحابه بأن يتركوه حتى لا يضره البول إذا حبس في جسده.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام أعرابي، فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً من ماء -أو ذنوباً من ماء- فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»^(١)، وفي رواية: قال الأعرابي، فقام النبي ﷺ إليّ -بأبي هو وأمي-، فلم يسبّ ولم يؤنّب، ولم يضرب^(٢).

٥- حرصه ﷺ على نجات الناس وسلامتهم:

فإن النبي ﷺ لأُمته كالأب الحنون لأبنائه، والراعي الشفوق لرعيته، يحب سلامتهم، ويخشى عليهم الأذى، وضرب لذلك مثلاً، قال ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراس يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي»^(٣).

٧- ومن رأفته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى تحريمه للضرر:

فلا يرضى الله عز وجل لخلقه أن يضر بعضهم بعضاً في دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار، من ضارّ ضارّه

(١) رواه البخاري (٢٢٠)، باب: [صب الماء على البول في المسجد].

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٠٥٣٣) في «المستد» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦٤٨٣)، باب: [الانتها عن المعاصي]، ومسلم (٢٢٨٥)، واللفظ له، باب: [شفقته ﷺ على أمته وتحذيرهم مما يضرهم].

الله، ومن شاق شاق الله عليه^(١).

و(الضرر): أن يضر الرجل نفسه أو غيره، و(الضرار): أن يضر الرجلان كلاهما الآخر.

- مَنْ رَأَفَ بِالْخَلْقِ رَأَفَ اللَّهُ بِهِ.

فإن الله سبحانه بلغ من رأفته أنه يرحم ويكرم من يرحم خلقه حتى لو كانت الحيوانات

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَذْبُحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي لَا أَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحُهَا، قَالَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ» مَرَّتَيْنِ^(٢).
أي قال له: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ، وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ».

دعاء الله باسمه الرءوف (سبحانه):

فإن المؤمنين يحب بعضهم بعضاً، ويرحم بعضهم بعضاً، ويدعون لبعضهم البعض.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وأحق الناس بهذا الحق من الحب والولاء والدعاء هم أصحاب رسول الله ﷺ الكرام.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢٣٤٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) رواه أحمد في المسند (١٥٥٩٢) الحاكم في «المستدرک» (٧٥٦٢) وقال: صحيح، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٣) وصححه الألباني.

وإليك أخي الحبيب درّة من كلام الله في وصف المؤمنين في أخوتهم،
وجوهرة في حب الصالحين لأصحاب النبي ﷺ الكرام - رضي الله عنهم
جميعاً -.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: بعد المهاجرين والأنصار
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم المتَّبِعُونَ لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الدّاعون لهم في
السّر والعلانية، قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ
فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾، أي: بُغْضًا وحسدًا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي -
الشيوعي - الذي يَسُبُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتّصافه
بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وعنه أيضًا رحمه الله قال: «من يبغض أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في
الفيء نصيب».

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أُمرُوا أن يستغفروا لهم فسبّوهم - ثم قرأت هذه
الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ﴾».

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لمن فعل ذلك: «أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد

ﷺ فسببتموهم. سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»^(١).

علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدِ افْع عن أصحاب النبي ﷺ:

أتى نفرٌ من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أي: أسأؤوا إليهم - فلما فرغوا قال لهم علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا تخبروني أنتم الفقراء المهاجرون الأولون ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؟

قالوا: لا.

قال: فأنتم الذين ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟

قالوا: لا.

قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عَزَّجَلَّ فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. اخرجوا عني فعل الله بكم - أي: دعا عليهم وزجرهم^(٢).

i «الطيوريات» (٨٩/١) (٦٩).

(١) رواه البغوي في «معالم التنزيل» (٨/٨)، وله شاهد في «صحيح مسلم» برقم (٣٠٢٢) عن عروة، قال: «قالت لي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبّوهم».

(٢) «حلية الأولياء وطبقة الأصفياء» (٣/١٣٧) - زين العابدين علي بن الحسين.

أحسن الناس هم المحبون لأصحاب النبي ﷺ؛

الناس ثلاث منازل، وأحسنهم الآن الذين يدعون ويستغفرون لأصحاب النبي ﷺ.

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الناس على ثلاث منازل، فمضت اثنتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بَقِيَتْ، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] الآية، ثم قال: هؤلاء هم المهاجرون، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية. قال: فقد مضت هاتان المنزلتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بَقِيَتْ، يقول: أن تستغفروا لهم»^(١).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٨٠٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

«التَّوَابُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي e :

(التَّوْبَةُ): الرجوع من الذنب، وكذلك التَّوْبَ مثله.

وقال الأخفش: التَّوْبَ جمع توبة، مثل (عَزَمَةٍ وَعَزَمٍ)^(١).

و(تاب إلى الله) توبةً ومتاباً.

و(قد تاب الله عليه): وفَّقَهُ للتوبة.

و(استتابه): سألَه أن يتوب^(٢).

و(رجل تَوَّاب): تائب إلى الله - وهو كثير التوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

و(الله تَوَّاب): يتوب على عبده^(٣).

(تَوَّاب): من أبنية المبالغة، مثل: رزَّاق - لكثير الرزق، وخَلَّاق - لكثير

الخلق، وضرَّاب - لكثير الضرب^(٤).

والله سبحانه هو (التَّوَّاب) - كثير التوبة على خلقه.

* انظر: «النهج الأسمى» (١٨١ / ٢).

(١) انظر: «الصحاح» (٩٢-٩١ / ١).

(٢) «اللسان»، مادة [توب].

(٣) «تفسير أسماء الله» (ص ٦١).

(٤) «اشتقاق أسماء الله» (ص ٦٢-٦٣).

ورود هذا الاسم في القرآن الكريم:

- ورد اسم الله (التَّوَّاب) في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة - تسعة منها مقروناً باسمه «الرحيم» تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مما يدل على سعة رحمة الله بالتائبين ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّٰ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

- وجاء مرة واحدة مقروناً باسم الله «الحكيم» تَبَارَكَ وَتَعَالَى. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]. - وجاء مفرداً مرة واحدة.

في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

المعنى في حق الله سبحانه:

قال قتادة: «(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ): إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَهَّابُ لِعِبَادِهِ الْإِنَابَةَ إِلَى طَاعَتِهِ، الْمَوْفَّقُ مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ لِمَا يَرْضِيهِ عَنْهُ»^(١).

وقال أبو عبيدة: «(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ): أَيُّ يَتُوبُ عَلَى الْعِبَادِ، وَالتَّوَّابُ مِنَ النَّاسِ الَّذِي يَتُوبُ مِنَ الذَّنْبِ»^(٢).

وقال ابن جرير «(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ): إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ التَّوَّابُ عَلَى

(١) «جامع البيان» (٤١ / ١١) بسند حسن عنه.

(٢) «عجاز القرآن» (٣٩ / ١).

في شرح الأسماء الحسنى

٥٠٣

من تاب إليه من عباده المذنبين^(١).

وتوبة العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مُقيماً مما يكرهه ربه.

فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه^(٢).

قال الخطابي: «(التَّوَاب) هو الذي يتوب على عبده، ويقبل توبته، كلما تكررَّت التوبة تكرر القبول.

ويُقال: تاب الله على العبد، بمعنى: وفَّقه للتوبة، فتاب العبد.

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

ومعنى (التوبة): عَوْدُ العبد إلى الطاعة بعد المعصية^(٣).

من أشار بالإيمان بهذا الاسم الكريم:

- إن الله يحب التَّوَّابِينَ.

ذلك لما في التوبة من الرجوع إلى الحق، وترك الحرام، وقُرب الرحمن، وبُعد عن الشيطان، والإصلاح بعد الإفساد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(١) «جامع البيان» (١/ ١٩٥).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٩٠).

ويفرح بتوبتهم.

وذلك لما يحب الله من مصالح عباده، وإرادته بهم الخير والثواب بدلاً من الإثم والعقاب.

قال النبي ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته (١) بأرض فلاة (٢)، فانفلتت (٣) منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس (٤) منها، فأقى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» (٥).

ويبسط يده للتائبين ليلاً ونهاراً:

قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل...» (٦).

وهذا فيه من حب الله للتوبة، وإرادته لقبولها وقبول التائبين شيء عظيم، إذ أن العرب كانوا إذا أحبوا شيئاً ورضوه بسطوا أيديهم إليه ليأخذوه، وإذا كرهوه قبضوا أيديهم عنه.

ويريد لعباده التوبة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

(١) راحلته: الدابة التي تحملها.

(٢) أرض فلاة: أي الصحراء الواسعة التي لا زرع فيها ولا ماء.

(٣) فانفلتت: أي هربت وضاعت.

(٤) أيس: يأس.

(٥) رواه مسلم (٢٧٤٧) باب: [الحض على التوبة والفرح بها].

(٦) رواه مسلم (٢٧٥٩).

في شرح الأسماء الحسنى



قال القرطبي: يريد توبتكم ويقبلها فيتجاوز عن ذنوبكم ويريد التخفيف عنكم^(١).

ويقبلها منهم إن تابوا إليه :

قال تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [غافر: ٣].

قال ابن كثير: أي: يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه^(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

قال القرطبي هذه الآية: وفيها أن قبول التوبة من العباد مما لا يصل إليه نبي مرسل، ولا ملك مقرب^(٣).

توبة العبد بين توبتين من الله :

فإن الله يتوب على العباد مرتين:

الأولى: أن يرزقهم الله التوبة ويوفقهم إليها.

قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْنَبْنَاهُ رَبَّهُ. فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ ﴾.

[طه: ١٢١-١٢٢]

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

(١) «تفسير القرطبي» (١٤٩/٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٢٧/٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٥٠/٨).

قال القرطبي: فبدأ بالتوبة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال أبو زيد: غلطت في أربعة أشياء في الإبتداء مع الله، ظننت أنني أحبه فإذا هو أحبني. وقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وظننت أنني أَرْضِي عنه فإذا هو رَضِيَ عني. وقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وظننت أنني أتوب فإذا هو قد تاب عليّ.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [المائدة: ١١٨].

قال القرطبي: قيل: توبته عليهم أن تدارك قلوبهم حتى لم تَزِغْ، وكذلك سُئِنَ الحق مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب، وظنُّوا بأنفسهم الهلاك أمطر عليهم سحاب الجود فأحيا قلوبهم، وأنشد.

منك أرجو ولست أعرف ربًّا	يُرْتَجَى منه بعض ما منك أرجو
وإذا اشتدت الشدائد في الأر	ض على الخلق فاستغاثوا وعجُّوا
وابتليت العباد بالخوف والجو	ع وصَرُّوا على الذنوب ولَجُّوا
لم يكن لي سواك ربي ملاذ	فتيقنت أنني بك أنجو

هكذا تكون التوبة..

إن التوبة من صفات الأبرار ومن سمات الأخيار، ملأت حياتهم بالأنوار، وأصبح بينهم وبين ربهم من أخيار وأسرار تملأ قلوبهم محبة لربهم واعترافاً بذنوبهم، وتفريجاً لكروبهم ولكن لهذه التوبة وصفٌ وصفات أجملها العلماء

في أربعة شروط:

- ١- الاعتراف بالذنب والاستغفار منه.
- ٢- الندم على الذنب والإقلاع عنه.
- ٣- العزيمة على عدم الرجوع إليه مرة أخرى.
- ٤- إن كان لإنسان حقُّ عنده فليرجعه إليه أو ليطلب منه أن يسامحه ويعفو عنه.

تلك هي الشروط العامة والآن تعالى معي لتتعرف معاً على التوبة وشروطها تفصيلاً.

تُب من المعصية قبل فعلها (تتحول إلى حسنات) ..

إن هذه التوبة هي توبة ترك المعاصي قبل فعلها؛ فمن ترك الحرام قبل أن يفعله (ولو همَّ به) فإن الله سبحانه يحسبها له طاعة وأجر.

قال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِ فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً»^(١).

وهذا الصنف من التوبة كما كان نجاة من الإثم والسيئات فإنه كذلك نجاة من الكروب والمهلكات، ويصبح لصاحبه رصيْدٌ عند الله تعالى يقبل به دعائه ويحقق به رجائه.

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبقية الحديث: «وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا [ص: ١٤٥] فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ».

في حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار: رجلٌ ترك الحرام من أجل الله سبحانه
تفأنجاه الله من الموت وفيه: «... قال أحدهم: اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحَبَّتُهَا
كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ مِنْهَا، فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَبَغَيْتُ حَتَّى
جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ،
فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»^(١).

وإنما يتحقق ذلك الأجر إذا ترك الإصرار والعزم على المعصية ابتغاء
مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، أما إذا ترك العزم على المعصية والإصرار عليها لحائل حال
بينه وبينها كمن يذهب ليسرق أو يزني بامرأة فوجد الباب مُغْلَقًا ولم يستطع فتحه
أو وجد شرطياً أو قريباً للمرأة... فذلك يَأْثُمُ والله أعلم^(٢).

التوبة أعظم من جبال الذهب:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلَ لَنَا
الصِّفَا^(٣) ذَهَبًا فَإِنْ أَصْبَحَ لَنَا ذَهَبًا اتَّبَعْنَاكَ، فَدَعَا رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ
كَفَرَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَمْ أُعَذِّبْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ
التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ. قَالَ: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ.

(٢) الأحاديث القدسية (٩، ١٠) بتعليق وشرح فضيلة الشيخ مصطفى العدوي، حفظه الله.

(٣) الصفا: جبل في مكة.

(٤) رواه الطبراني ورواه رواة الصحيح، وأخرجه أحمد أيضاً في «المسند» (١/ ٢٤٢، ٣٤٥)، وصححه الحاكم
(٢٤٠/ ٤)، ووافقه الذهبي.

الفرح والسرور دنيا وأخرة:

عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرُهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيَكْثِرْ فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَارِ»^(١).

وفي رواية أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارٌ كَثِيرٌ»^(٢).

خيرات كلهن:

عن أبي طویل، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرِكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرِكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً^(٣) إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟»

قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرِكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُكَ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهِنَّ»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى^(٤).

عودة الإيمان:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزِيهِ الْعَبْدُ حِينَ يَزِيهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخُمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

(١) رواه البيهقي بإسناد لا بأس به.

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح عن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حاجة ولا داجة: أي لم يترك صغيرة ولا كبيرة، دلالة على كثرة ذنوبه.

(٤) رواه البزار والطبراني واللفظ له، وإسناده جيد قوي.

قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: «هكذا وشبك بين أصابعه ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك بين أصابعه».

توبة الأنبياء والمرسلين

إن التوبة من أعظم صفات الصالحين، ومن خير أعمال الأنبياء والمرسلين. إذ كل الناس ذووا خطأ وخير الخطائين التوابون.

قال النبي ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١).

أصدق توبة توبة النبي ﷺ

فرسول الله ﷺ أكمل الخلق وأكرمهم على الله، وهو المُقَدَّم على جميع الخلق في أنواع الطاعات

فهو أفضل المحبين لله وأفضل العابدين له، وأفضل العارفين به، وأفضل التائبين إليه، وتوبته أكمل من توبة غيره، ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبهذه المغفرة نال الشفاعة يوم القيامة.

- توبة رسول الله ﷺ :

وبالرغم أن النبي ﷺ هو خير البشر، وهو المعصوم من الخطأ، وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكنه كان يتوب مائة مرة في كل يوم يمر عليه وليس مرة واحدة في حياته ﷺ.

قال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةٌ، مَرَّةً»^(٢).

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥١)، والترمذي في «سننه» (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٠٢) باب [الاستغفار والاستكثار منه].

وهذه توبته ﷺ في المجلس الواحد!!.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١).

كان النبي ﷺ يتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة،

قال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٢).

وكان يتوب في المجلس الواحد مائة مرة.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٣).

وفي رواية: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^(٤).

وكان ﷺ يستغفر بين السجدين:

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سَجُودِهِ وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»^(٥).

وكذلك في ركوعه وسجوده ﷺ:

(١) رواه أبو داود في «سننه» (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو داود، وصححه الألباني أيضًا.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يتأول القرآن ^(١).

- توبة آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

فبعدما استزلهما الشيطان وأخرجهما من الجنة لم يعملما شيئاً يعودان به إلى النعيم خيراً لهما من التوبة ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢٣].

- توبة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

فبينما هما يرفعان قواعد بيت الله الحرام كان من خير ما يعملان ويسألان أن يتوبا إلى الله.

ومن دعائهما ما قاله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

- توبة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فعندما رأى الجبل دكاً من عظمة الله وجلاله قال: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(١) رواه البخاري، باب: [التسبيح والدعاء في السجود]، ومسلم في الصلاة باب: [ما يقال في الركوع والسجود] برقم (٤٨٤)، يتأول القرآن: يفعل ما أمر به بمثل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قاتل المائة

مَنْ تَحَرَّكَتِ الْأَرْضُ مِنْ أَجْلِهِ

جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى: هذا ما قاتله ملائكة الرحمة عن هذا الرجل لقد قتل مائة ولا زال قلبه متعلقاً بربه، وكل ما حوله يباعده عن الله ولكنه مُصِرّاً على الاقتراب منه، وضيق عليه الناس رحمة الله وقنطوه منها ولكن الله سبحانه قد تلقاه بواسع رحمته وكان له أفضل مما تمنى لنفسه.

يا من ألوذ به فيما أئمله واستجير به مما أحاذره
لا يجير الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أن جابره

والقصة كما يرويها لنا الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيِّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^(١).

وفي رواية: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشيرٍ فجعل من أهلها».

وفي رواية: «فأوحى الله إلى هذه أن تباعدني، وإلى هذه أن تقرّبي وقال: قيسوا بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشيرٍ فغير له».

وفي رواية: قال قتادة: قال الحسن:

«ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ مَلِكُ الْمَوْتِ نَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا».

كما جاء أيضاً في رواية لمسلم:

«فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَذْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ»^(٢).

غفر الله لما عَزَبَ بَنَ مَالِكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ما توبة أفضل من توبة ماعز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. هكذا قال من رآه يوم توبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذه قصة ماعز بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي غلبته نفسه مرة فغلبها ألف مرة، وشغلته نفسه بالمعصية في دقائق من حياته فَضَحَّى بِحَيَاتِهِ كُلِّهَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَصَابَهُ دَنَسُ الْهَوَى فَعَاهَدَ اللَّهَ أَلَّا يَلْقَاهُ إِلَّا طَاهِرًا،

فما أطهر الروح حين تصفوا لخالقها، وما أجمل النفس حين يكون الله أولى عندها منها، تلك هي نفس ماعز بن مالك، وهذه هي توبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكأنه يقول:

لكل شيءٍ إذا فارقتَه عِوَضٌ وليس لله إن فارقت من عوض

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه بنحوه.

والقصة كما يرويها لنا الإمام مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَثُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَثُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَ أَطَهَّرَكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الزَّنَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبِهَ جُنُونٌ؟» فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمَرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزَيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»^(١).

وفي رواية أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ قد مرا بماعز بعد رجمه فقالا: انظُرَا إِلَى هَذَا الَّذِي أَتَى النَّبِيَّ ﷺ كُلَّ ذَلِكَ يَرُدُّهُ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُقْتَلَ قَتَلَ الْكَلْبِ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَرَّ بِحِمَارٍ مَيِّتٍ شَائِلٍ رِجْلُهُ فَقَالَ: «يَا هَذَانِ تَعَالَيَا فُكُلَا» قَالَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَهَلْ أَحَدٌ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: «مَا نِلْتُمَا قَبْلُ مِنْ أَخِيكُمَا كَانَ أَشَدَّ مِنْ هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْغَمِسُ» قَالَ: يَعْنِي يَتَنَعَّمُ.

(١) رواه مسلم.

توبة صادقة

جادت بنفسها لله عزَّ وجلَّ !!

فهذه هي المرأة الغامدية قد أصابت ذنباً عظيماً ترك لها أثراً في أحشائها - طفلاً من الحرام داخل بطنها - كلما تحرك؛ تحركت معه آلامها وأحزانها، وكلما كُبر؛ كُبر معه ندمها ولكن توبتها كانت أكبر من كل الأحزان والآلام، وحبها لربها كان أعظم من كل الآثام حتى أنها لم تستطع الحياة بعده بعيدة عن الله سبحانه ففضلت الموت تقرباً إلى الله، عن الحياة بعيدة عنه فجادت بنفسها لله فأصبحت توبتها بسبعين من الأنصار الأطهار، والعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّانِي، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنِ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأَتِنِي بِهَا»، فَفَعَلَ.

وفي رواية: (قال النبي ﷺ: «أَذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي» فلما ولدت أته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: «ارْجِعِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ».

فلما فطمته أته بالصبي في يده كسرة خبز؛ فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين) (١).

فأمر بها نبي الله ﷺ فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا فقال عمر: تصلي عليها يا رسول الله! وقد زنت؟ قال: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدَتْ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى» (٢).

جادت بنفسها: أي أخرجت روحها ودفعتها لله سبحانه.

(١) رواه مسلم (ما بين القوسين عن بريدة).

(٢) رواه مسلم عن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هكذا تكون التوبة النصوح

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

لا يعود إلى الذنب:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه ^(١).

وقال العلماء: التوبة النصوح أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على ألا يفعل في المستقبل ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه ^(٢).

تُبْغِضُ الذَّنْبَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ:

عن الحسن أنه قال: التوبة النصوح: أن تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه إذا ذكرته ^(٣).

توبة صادقة:

قال ابن كثير: «توبة نصوحاً»: أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتُلْمُ شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات ^(٤).

(١) «تفسير ابن كثير» طبعة العالمية (٨/ ١٩٠).

(٢) «نفسه».

(٣) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٨/ ١٦٩).

(٤) «نفسه» (٨/ ١٦٨).

من علامات قبول التوبة

١- أن تكون «التوبة النصوح»

أمر الله المؤمنين بالتوبة الناصحة الصالحة، فقال تعالى: ﴿يَتَّئِبَهَا الَّذِينَ أٰمَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التوبة النصوح أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبداً - ولا يريد أن يعود إليه ^(١).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: التوبة النصوح: أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه ^(٢).

ويقال: لا يرجع إلى ذنب تركه.

وقال قتادة: هي التوبة الصادقة الناصحة.

٢- الندم على الذنب:

قال النبي ﷺ: «الندم توبة» ^(٣)، «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» ^(٤).

(الندم): هو الحزن على اقتراف الذنب والتحسر على ارتكاب المعصية.

وقيل هو ألم يصيب القلب عند تذكر الذنب؛ حياءً من الرب سبحانه.

(١) «تفسير الطبري» (٤٩٣/٢٣) في تفسير سورة التحريم.

(٢) «نفس المصدر» (٤٩٤/٢٣).

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٢)، وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٠) وحسنه الألباني.

البكاء على الخطيئة :

فالبكاء حزناً على الخطايا وندم على الآثام من علامات التوبة الصادقة، ومن أمارات النجاة في الدنيا والآخرة.

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاهُ؟ قَالَ: «أَمْلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْنَكَ، وَأَبِكُ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(١).

وقال سفيان بن عيينة: البكاء من مفاتيح التوبة ألا ترى أنه يرمد فيندم.

هجران الذنب وما يُذكر به

فإن من كره شيئاً كره تذكّره، وتجنب ما يذكّره به، سواء كان مكان ارتكب فيه ذنبه أو أشخاصاً عصى الله معهم أو بسببهم فإن هناك مَنْ لا يعصى الله إلا في أماكن يُفعل فيها الحرام أو يسهّل فعله ولو لم يذهب إليها لكان صالحاً، ومن الناس من لا يرتكب المعصية إلا مع أشخاص يعينونه على الشرّ وإذا لم يصحبهم لكان طيباً خيراً.

وهذه أمثلة على هذا:

(توبة قاتل المائة) :

فهذا رجل قد قتل مائة إنسان وما صحت توبته إلا بتركه للأرض التي يسهل عليه أهلها القتل وذهابه إلى أناس صالحين فأخبر النبي ﷺ عن هذا الرجل أنه سأل عالماً ... «إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: وَمَنْ يُحَوِّلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٧٣٣٤)، والترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني.

انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ»^(١).

(توبة أبي لبابة):

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبِي لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ حِينَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي وَأَهْجِرَ دَارِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ^(٢).

بادر بالتوبة قبل هذه الأحداث

فمع قدر التوبة وجلال مكانتها ولكن هناك أشياء إذا حدثت فلن تصح معها التوبة، ولن تُقبل من صاحبها؛ ومنها:

١- الموت:

إذ أن التوبة من عمل الأحياء ومن خصائصهم، حيث أن الموت وسكراته يشكفان للإنسان ما خفي عنه من أهوال الغيب سوف يتوب وقتها خوفاً مما رأى وليس مدمماً على ما فعل.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(٣). أخي الحبيب.. أختي

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠) باب: [حديث الغار]، ومسلم (٢٧٦٦) باب: [قبول توبة القاتل وإن كثر قتله]، واللفظ لمسلم وفيه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ».

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١٥٧٥٠)، وسعيد بن منصور في «التفسير» (٩٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٠٩)، والحاكم في «المستدرک» (٦٦٥٨).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٦١٦٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والترمذي في «سننه» (٣٥٣٧)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٣)، وحسنه الألباني، والحاكم في «المستدرک»، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الفاضلة.. إن الوقت عامل في غاية الأهمية في صحة التوبة وقبولها، فإن الوقت هو رأس مال الفالحين، وسلاح الفائزين.

ألا ترى أن قاتل المائة تاب قبل موته بثوانٍ فأفلح وسعد ولو تأخر لحظة لخسر دنياه وأخراه معًا.

أما علمت بخبر الرجل الذي أسلم وبعدها بدقائق قُتل مجاهدًا في ساحة المعركة وهو شهيد يدافع عن الإسلام^(١).

واذكر أن فرعون قد تاب في هذا الوقت؛ فقال عندما رأى الموت: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠) ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [يونس: ٩٠، ٩١].

قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عُوجل بثلاث: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة^(٢).

والغرغرة: هي خروج الروح من الحلقوم وهي نفس الحالة التي تاب فيها فرعون فلم تقبل منه، قال تعالى عن فرعون: ﴿حَقَّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

وهذا ردُّ الله عليه: ﴿ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

(١) راجع اسم الله الواحد الأحد.

(٢) كتاب «علو الهمة» للدكتور محمد إسماعيل المقدم (٣٤٦).

٢- طلوع الشمس من مغربها :

قال النبي ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).
أي علامات الساعة الكبرى حيث يؤمن كل من يراها بأن الله حق والإسلام
حق ورسول الله ﷺ حق ولكنه لا ينفعهم إيمانهم في ذلك اليوم.
قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا
النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ» فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيهِ
إِيْمَانَهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

- من كفر بعد إيمانه :

وهذه الحالة من الكفر بعد الإيمان تصيب القلب بقسوة لا مخرج منها،
وتقطع طريق العودة إلى الله سبحانه إذ «ليس بعد الكفر ذنب».
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمْ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

- أصحاب البدع :

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ، حَتَّى يَدَعَ بَدْعَتَهُ»^(٢).
وهذا لما في صاحب البدعة من مفارقة رسول الله ﷺ ومخالفته لطريق
الهدى الذي كان عليه.

قال أبو أيوب السخيتاني: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد بها من الله بُعدًا.

(١) رواه مسلم (٢٧٠٣) باب: [استحباب الاستغفار والاستكثار منه].

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤) عن أنس رضي الله عنه، ورواه الطبراني بإسناد حسن، وصححه الألباني في
«حجة النبي ﷺ»، وقال: رواه الطبراني والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» بسند صحيح.

وجاء في (الأثر): من جالس صاحب بدعة نُزعت منه العصمة ووُكِلَ إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة فقد مشى في هدم الإسلام^(١).

دعاء الله باسمه التَّوَاب (سبحانه)

والدعاء باسم الله التَّوَاب كثير مشهور، وذلك من كثرة الحاجة إلى التوبة من عباد الله إلى ربهم سبحانه.
ومن ذلك:

١ - قول النبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٢).

٢ - عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسول الله ﷺ: عَلِّمْنِي دَعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي.

قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٣).

سيد الاستغفار ثم الجنة :

ومن أعظم الدعاء للتوبة هذا الدعاء الذي جمع بين استرحام التائب لربه، وتوحيده لآلهه، والاعتراف بالذنب، والاستغفار منه، والعزيمة على تركه ومعاهدة الله على ذلك، ولذلك كان جزاؤه الجنة.

(١) «البدع» لابن وضاح (١/٢٨).

(٢) «سبق تخريجه».

(٣) رواه البخاري (٨٣٤) باب: [الدعاء قبل السلام].

قال النبي ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

دعاء يغفر لصاحبه الفرار من الزحف:

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ»^(٢).

صلاة التوبة:

وهذا من كريم خصال المؤمنين أنهم إذا أسأوا أحسنوا، وإذا أخطأوا تابوا إلى الله واستغفروه، وأحسن الحسن أن يكون ذلك في لقاء بالله سبحانه.

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]»^(٣).

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦) باب: [أفضل الاستغفار].

(٢) رواه أبو داود (١٥١٧) في «سننه»، والترمذي (٣٥٧٧) وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (١٥٢١)، وصححه الألباني، والترمذي في «سننه» (٤٠٦)، وابن ماجه (١٣٩٥) بإسناد حسن.

«الكبير - الأكبر» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي لهذين الاسمين:

(الكبير): يستخدم في الكمية بمعنى الكثير، كما قال تعالى:

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩].

و(كثير): قُرئ بهما.

(الكبير): يُستخدم في المعانى نحو:

- ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

- ويُستعمل فيما اعتُبر فيه الزمان، فيقال: فلان كبير، أي: مُسِنٌ نحو قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا..﴾ [الإسراء: ٢٣].

- ومنه ما اعتُبر فيه المنزلة والرفعة، نحو: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

- ونحو: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

- وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣١]، أي: أعظمناه، والتكبير:

التعظيم.

- وكقوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١]، أي: رئيسكم.

- كَبَرُ يَكْبَرُ، أي: عَظُمَ فهو كبير، نحو: ﴿كَبَرُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

[الشورى: ١٣]

وفي الأذان والتكبير: (الله أكبر).

قيل: الله أكبر من كل شيء، أي: أعظم، فَحُذِفَتْ «من» لوضوح معناها.

وقبل معناه: الله أكبر من أن يُعرف كنه كبريائه وعظمته.

الكبير - على وزن الفعيل، أي: العظيم الكبير.

أما الأكبر - فهو على صيغة منتهى التفضيل، التي تعني بلوغ النهاية في الصفة، كالأقوى والأغنى، أي أنه الأكبر من كل كبير مطلقاً.

الدليل الشرعي على الاسمين:

أما اسم الله (الكبير) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد جاء في ستة مواضع من كتاب الله، ومنها:

- قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

- وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

أما اسم الله (الأكبر) سبحانه فقد جاء في الحديث الشريف، ومنها:

- عندما فتح رسول الله ﷺ خيبر، قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]»^(١).

معنى الاسمين في حق الله:

قال ابن جرير: «(الكبير) يعني العظيم الذي كل شيءٍ دونه، ولا شيء أعظم منه»^(٢).

قال القرطبي: «(الكبير) أي الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشأن»^(٣).

(١) البخاري (٣٧١).

(٢) «جامع البيان» (١٣/ ٧٥)، (١٧/ ١٣٧) وانظر: «ابن كثير» (٢/ ٥٠٣)، (٣/ ٢٣٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٩١).

قال الخطابي: «(الكبير) هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فَصَغُرَ دون جلاله كل كبير، ويُقال: هو الذي كَبُرَ عن شبه المخلوقين»^(١).

قال ابن كثير: «(الكبير المتعال) فكل شيءٍ تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدَّس وتَنَزَّه وعز وجل عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً»^(٢).

إن الله هو الكبير الذي لا أكبر منه :

إن كل شيءٍ كبيرٍ إنما يوصف بالكِبَرِ بالمقارنة لما هو أصغر منه، ولكنه بالنسبة لما هو أكبر منه صغير.

كأن تقول: أن البناء الضخم أكبر من الإنسان، والحي أكبر من البيت، والبلد أكبر من المدينة، والكرة الأرضية أكبر من البلد، والسماء أكبر من الأرض، والكرسي أكبر من السماوات.. وهكذا لا نعلم أحجاماً هي أكبر من هذه المكونات للكون^٥.

إذا علمت أن حجم الكون من حولنا يوازي ملايين السنوات الضوئية فكم حجم الكون وكبر مساحاته. يقول العلماء: والفضاء فيه النجوم متباعدة حتى لا يرتطم بعضها ببعض؛ لأن حجم الفضاء يعادل ١٠ مليون مرة ما يحتويه من النجوم، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(١) «شأن الدعاء» (ص ٦٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/٤٤٩).

^٥ كم سنة ضوئية بيننا وبين الساء الدنيا وأحجام الكواكب.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ غافر: ٥٧ ﴾، لكن الله سبحانه لا يُقَارَنُ به ولا بعظمته شيء.
قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهو الكبير في خلقه:

قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧].

وهو الكبير في كلامه وأحكامه:

فإن الله سبحانه إذا تكلم في السماء صُعِقَتِ الملائكة في السماء خضوعاً
لكلام الله سبحانه في علوه وكبريائه، وَيَخِرُّوا له سُجَّدًا، ويكون أولهم يرفع رأسه
جبريل، فيُكَلِّمُهُ الله من وحيه بما أَرَادَ، ثم كلما مرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ أَهْلُهَا: ماذا قال
ربنا؟ قال الحق وإليك الحديث: قال النبي ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت
الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان»^(١)، فإذا فُرِّعَ عن قلوبهم قالوا:
ماذا قال ربكم؟، قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير»^(٢).

وهو الكبير في أحكامه:

قال تعالى: ﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

قال ابن كثير: «أي: هو الحاكم في خلقه، فحكمه عدلٌ لا يجور، فيهدي من
يشاء، ويُضِلُّ من يشاء، ويرحم من يشاء، ويُعَذِّبُ من يشاء، لا إله إلا هو»^(٣).

(١) أي: كصوت سلاسل الحديد على الحجارة الصلبة إذا اصطدمت بها.

(٢) رواه البخاري (٤٨٠٠).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٣٤ / ٧) تفسير [سورة غافر].

رضا الله أكبر وأفضل من الجنة وما فيها.

وهذا في كل شيء، فإن صفة واحدة لله سبحانه أعظم من كل الخلق؛ إذ لا يُقارن المخلوق بالخالق، ولا المرزوق بالرزاق.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

قال ابن كثير: «﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم»^(١).

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لَبِيكُ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ؟! فيقول: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أُحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٢)، وفي رواية: «... يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: هل تشتهون شيئاً فأزيدكم؟، فيقولون: ربنا، وما فوق ما أعطيتنا؟! قال: «يقول: رضواني أكبر»^(٣).

الله أكبر في قلبك:

فلا يكون في قلبك حبُّ أكبر من حبه، ولا قُرب أحب إليك من قُربه.

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٩)، باب: [صفة الجنة والنار]، ومسلم (٢٨٢٩)، باب: [إحلال الرضوان على أهل الجنة].

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٧٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي.

قال النبي ﷺ: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»^(١).

الله أكبر من كل شيء :

فالله هو الكبير الأكبر من كل شيء. فهو أكبر من مالك وولدك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع «الله أكبر» بالنداء للصلاة لا يشغله أهله عن ربه، فيخرج.

سُئِلَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟، قالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج»^(٢).

١- توحيد الله سبحانه:

وهو أن تكبر الله فلا شريك له ولا معبود سواه، وتنزهه عن كل شر.
قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدرثر: ٣]، أي: عظمه عما يقوله عبدة الأوثان^(٣).
قال القرطبي: «﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: سيدك ومالكك ومُصلِح أمرك فَعَظَّم، وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد، وفي حديث أنهم قالوا: «بِمَ تُفْتَح

(١) رواه البخاري (١٦)، باب: [حلاوة الإيمان].

(٢) رواه البخاري (٥٣٦٣)، باب: [خدمة الرجل في أهله].

(٣) «تفسير البغوي» (١٧٣/٥) إحياء التراث.

الصلاة؟»، فنزلت: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، أي: وَصِفْهُ بأنه أكبر^(١).

قال ابن العربي: «وهذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة، فإنه مرادٌ به التكبير والتقديس والتنزيه، لخلع الأنداد والأصنام دونه، ولا تتخذ ولياً غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلاً إلا له، ولا نعمة إلا منه»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وفي الحديث: «لما كان يوم أُحُد قال أبو سفيان - وكان كافراً لم يُسلم بعد: أُعْلُ هُبَل^(٣)، أُعْلُ هُبَل.

قال النبي ﷺ: «ألا تحببوا له؟».

قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟

قال: «قولوا: الله أعلى وأَجَلُّ».

قال أبو سفيان: إن لنا العُزَّى^(٤)، ولا عُزَّى لكم.

فقال النبي ﷺ: «ألا تحببوا له؟».

قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟

قال: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم»^(٥).

(١) «تفسير القرطبي» (٦٢ / ١٩) في تفسير [سورة المدثر].

(٢) المصدر السابق.

(٣) هُبَلُ: اسم صنم كان في الكعبة. (اعْلُ هُبَلُ): كلمة يريد بها التفخيم لهذا الصنم وإعلاء شأنه.

(٤) العُزَّى: تأنيث الأعز، وهو اسم صنم كان لقريش.

(٥) رواه البخاري (٣٠٣٩)، باب: [ما يكره من الاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه] (٤٠٤٣)، باب: [غزوة أُحُد].

ارحم الصغير والضعيف (فالله أكبر منك) :

فرحمة الكبير لمن هم تحت ولايته تُشعرهم بالأمان وراحة البال، وقسوته عليهم تجعل حياتهم كئيبة، وقلوبهم حزينة، فإن كان كبيراً فلي تذكر أن الله أعلى منه وأكبر، ومن ذلك: التعامل مع الزوجات.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير: «إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها، وليس له ضربها ولا هجرانها.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن»^(١).

دعاء الله وذكره بهذين الاسمين :

التكبير هو منار الإسلام وعلمه وعلامته فتجده يبدأ به الأذان وتدخل به الصلاة وفي العيدين بعد عبادتين عظيمتين هما الصيام والحج وفي الجهاد وعند الفرح والتعجب وبعد الصلاة...

كَبِّرَ اللَّهُ يُصَدِّقُكَ اللَّهُ :

عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر. يقول الله عز وجل: صدق عبدي لا إله إلا أنا، وأنا أكبر...»^(٢).

(١) (٢/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٣٧٩٤)، باب: [فضل لا إله إلا الله]، وصححه الألباني.

في شرح الأسماء الحُسنى

٥٣٣

«الله أكبر» من أحب الكلام إلى الله :

قال النبي ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. لا يضرك بأيهن بدأت»^(١)، وفي رواية: «أفضل الكلام أربع...»^(٢).

التكبير في العيدين: فتلك هي أيام الفرح بنعمة الله من الطاعة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واذكروا الله في أيام معلومات: أيام العشر، والأيام المعدودات: أيام التشريق».

وكان ابن عمر وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما^(٣).

وعن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنا نؤمر بالخروج في العيدين والمُخَبَّاةَ والبكر»، قالت: «الحَيَّضُ يخرجن، فيَكُنَّ خلف الناس يُكَبِّرْنَ مع الناس»^(٤).

التكبير عند خسوف الشمس أو القمر:

فإن الله أكبر من كل المخلوقات وغرائبها، وأعظم من تقلباتها وعجائبها. فعندما نرى التغير في الكون فمن السُنَّةِ التكبير عند ذلك.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي، فأطال القيام جداً.. ثم قال: «إن الشمس والقمر من آيات الله، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فأكبروا وادعوا الله وصلُّوا وتصدَّقوا...»^(٥).

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم (٨٩٠)، كتاب «صلاة العيدين».

(٥) رواه مسلم (٩٠١)، باب: [صلاة الكسوف].

«الْقَهَّارُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي^(١) :

(القهر): الغلبة والأخذ من فوق.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقال فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وقهره يقهره قهراً، وأخذتهم قهراً، أي: من غير رضاهم.

قال الأصبغاني: «(القهر) الغلبة والتذليل معاً، ويُستخدم في كل واحد منهما.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا آلِثَمَ فَلَا نَقْهَرَ﴾ [الضحى: ٩]، أي: لا تُدَلِّل.

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم «القهار» في القرآن الكريم ست مرات، وجاءت كلها مقترنةً مع

اسم الله «الواحد» سبحانه، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ءَأَزَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

- وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

- وقوله عزَّجَلَّ: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن كثير: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب،

وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء،

(١) «النهاية» (٤/ ١٢٩)، «لسان العرب» (٥/ ٣٧٦٤)، «المفردات» (٦٨٧).

ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على كل شيء، واستكانت له المخلوقات وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه»^(١).

قال الخطابي: «(القَهَّار) هو الذي قهر الجبابة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»^(٢).

وقال الزجاج: «(القَهَّار) والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلائل على وحدانيته، وقهر جبابة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت»^(٣).
قال ابن القيم:

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حيًّا عزيزًا قادرًا ما كان من قهرٍ ومن سلطان

الواحد القهار:

فقد اقترن هذان الاسمان كلاهما بالآخر في كل المواضع الستة التي ورد فيها اسم «القَهَّار». جاء بعد اسم الله «الواحد» سبحانه.

وهنا سببان لاقترانهما:

١ - كل من يقهر الناس يحتاج أعوانًا إلا الله، فهو وحده القَهَّار بغير مُعين.
فهؤلاء هم الحكام الظالمون، والملوك الطاغون الذين يقهرون رعيتهم

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢٦)، (٢/ ١٣٨، ٤٧٩)، (٤/ ٧٤)، وانظر: «النهج الأسمى» (١/ ١٨٢).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٣)، وانظر: «فتح القدير» (٣/ ٧٤).

(٣) «تفسير الأسماء» (ص ٣٨).

ويظلمونهم يحتاجون إلى وزراء يُدبرون لهم المكائد، وإلى جنود يُنفذوا أوامرهم، وإلى جيوش ليحمونهم من غضب الغاضبين، وإلى أسلحة لقتل العزّل،..

لذلك قال فرعون وهو يستنفر وزرائه وجنوده لتعذيب بني إسرائيل: ﴿سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، ولم يقل: «سأقتل»، وقال: ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، ولم يقل: «أستحيي»، وقال: ﴿وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، ولم يقل: «وإني فوقهم قاهر».

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. أما الله سبحانه فقد قهر الخلق جميعاً وحده، ووحده فقط من فعل هذا.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

وكذب ابن هانئ حينما خاطب حاكم مصر الشيعي، المعز الفاطمي بقوله^(١).

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهَّار
وكذب كل من قالها لغير الله سبحانه.

٢- أن الله سبحانه هو «القَهَّار» بالحق الذي لا يشاركه فيه غيره:

ولذلك انظر إلى المواضع الست التي جاء فيها اسم الله «القَهَّار» بعد اسمه «الواحد» ستجدها كلها في وحدانية الله سبحانه.

- في توحيد الربوبية (فهو الرب الواحد القهَّار):

فهاهم الأرباب متفرقون، ضعفاء، مُتشرذمون إلا الله وحده رب كل شيء.

(١) «الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية» (٢/ ٥٥١).

قال تعالى: ﴿أَزَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

- هو الخالق القهار وحده:

فهاهم الخلق كلهم عاجزون عن أن يخلقوا ذرة أو يُنبِتوا برة.

قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

- هو الذي يقهر الخلق على البعث وحده:

قُلْ لي: من الذي يستطيع أن يُبدِّل أرضًا غير أرضنا وسماوات غير سمائنا ويأتي بغيرها؟، من الذي يستطيع أن يبعث الموتى من قبورهم فإذا هم قيام ينظرون حُفَاءَ عُرَاءَ غُرًّا لَا يَمْلِكُونَ.

قال تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

- وهو الإله القهار وحده:

فانظر إلى هذه الألوهية التي قُهرَ لها من في السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].

- هو القهار للوحدة والوحشة وحده:

فهو سبحانه لم يخلق الخلق ليستأنس بهم من وحشة، ولا ليستكثر بهم من قلة، وما اتخذ صاحبة ولا ولداً، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحتاج إلى زوجة ولا ولد ولا عائلة ولا مجتمع كما يحتاج الخلق.

قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

تحريم قهر الناس:

بالذات الضعفاء؛ كاليتامى والنساء، فإن قلوبهم سريعة الانكسار، وسنذكر هنا أربعة أنواع هؤلاء الضعفاء:

١ - قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

قال الفراء والزجاج: «لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت تفعل العرب في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم»^(١).
وخصّ اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلّظ في أمره بتغليظ العقوبة في ظلمه^(٢).

قال قتادة: «كُن لليتيم كالأب الرحيم»^(٣).

٢ - النهي عن إيذاء النساء:

وهذه وصية من الله ورسوله للزوج، فلا يضربن زوجته ضرباً مبرحاً ويؤذيها، ثم لعله يحتاج إلى قربها في آخر يومه، فبأي يد ستلمس الجلد الذي ضربته؟! وبأي قلب سوف تسعد بالقلب الذي كسرتة؟!
قال النبي ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم»^(٤).

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٢٦٩) - تفسير [سورة الضحى].

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٠٠) - تفسير [سورة الضحى].

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٧) - تفسير [سورة الضحى].

(٤) رواه البخاري (٥٢٠٤)، باب: [ما يكره من ضرب النساء].

٣- الخدم ومن هم تحت ولايتك:

وهؤلاء الضعفاء والمساكين أيضًا؛ كالخدم والعبيد ومن هم تحت سيطرة الأغنياء والسادة، فإن النبي ﷺ يُذكر بقدرة الله على من يظلمهم، وقهره سبحانه فوق من يقهرهم.

عن أبي مسعود البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب.

قال: فلما دنا مني إذ هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، فقلت: لا أضرب مملوك بعده أبدًا^(١).

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حرٌ لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفتحك النار - أو: لمستك النار»^(٢).

٤- السائلين:

والسائل قد صادف قلبه انكسارٌ لحاجته، سواء كانت حاجة للمال أو الطعام، أم كانت في السؤال عن دينه طلباً للعلم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

قال البغوي^(٣): «قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: «لا تنهره، لا تزجره، إذا سألك فقد كنت فقيرًا، فإما أن تطعمه، وإما أن ترده ردًا لينًا».

(١) رواه مسلم (١٦٥٩)، باب: [صحبة المالك وكفارة من لطم].

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢٧٠ / ٥).

قال إبراهيم بن أدهم: «نعم القوم السُّؤال^(١)؛ يحملون زادنا إلى الآخرة».

وقال إبراهيم النخعي: «السائل يريدنا إلى الآخرة، يحبىء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟».

وروى الحسن في قوله ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قال: «طالب العلم».

وقال سفيان: «هو السائل عن الدين، أي: فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجبه برفق ولين».

قال ابن العربي: «وأما السائل عن الدين، فجوابه فرض على العالم. وقد كان أبو الدرداء ينظر إلى أصحاب الحديث ويبسط لهم رداءه ويقول: مرحباً بأحبة رسول الله ﷺ»^(٢).

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة، فقال عن رسول الله: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده احسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني»، فقال رسول الله ﷺ له: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»^(٣).

(١) السُّؤال: أي السائلون المحتاجون.

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠٢/٢٠) - تفسير [سورة الأضحى].

(٣) والحديث رواه مسلم (٥٣٧)، باب: [تحريم الكلام في الصلاة]، وبدايته: «قال معاوية بن الحكم رضي الله عنه: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجل من القوم فنقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فنقلت: واااكل أميائه، ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمّتونني لکنني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي..» وذكر الحديث.

(الْحَكْمُ)

جل جلاله وتقدّست أسماؤه

المعنى اللغوي:

الحكم بمعنى الحاكم وهو القاضي.

قال الزجاج: والحكم والحاكم بمعنى واحد وأصل (ح ك م) في الكلام: المنع، وسُمِّيَ الحاكم حاكماً؛ لأنه يمنع الخصمين من التظالم وحَكَمَةُ الدابة سُميت حكمة لأنها تمنعها من الجماح. و(الحُكْم): العلم والقضاء بالعدل^(١).

قال الأصفهاني: حكم أصله: منع منعاً لإصلاح. ومنه سُميت اللجام: حكمة الدابة، وقيل: حَكَمْتُهُ، وحَكَمْتُ الدابة: منعتها بالحكمة، وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها.

قال الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهائكم إني أخاف عليكم أن أغضبا^(٢)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال أيضاً: ﴿وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

(١) «النهاية» (١/ ٤١٨ - ٤٢٠)، و«اللسان» (٢/ ٩٥١ - ٩٥٤)، «تفسير الأسماء» (ص ٤٣)، و«شأن الدعاء» (ص ٦١) نقلاً عن النهج الأسمى (١/ ٢٤١) بشيء من الاختصار.

(٢) «مفردات القرآن» للأصفهاني (٢٤٨).

و«الحكم»: المتخصص بالحكم بين الخلق فهو أبلغ، قال الله تعالى:
﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

الدليل الشرعي على هذا الاسم

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وروده في الحديث الشريف:

عن شريح عن أبيه هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه، فسمعهم النبي ﷺ وهم يُكِنُّونَه بأبي الحكم فدعاه النبي ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنِي أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شَرِيحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شَرِيحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ» ودعا له ولولده^(١).

وقد استنبط بعض العلماء دليلاً من القرآن الكريم^(٢).

وهو قول تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧) في «صحيح سننه»، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١١) باب: [كُتِبَ أَبِي الْحَكَمِ]، وصححه الألباني في «سنن أبي داود والنسائي»، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٩)، و«الإرواء» (٢٦١٥)، و«صحيح الجامع مختصراً» (١٨٤٥، ٨١٥)، و«الإرواء» (٢٦٨٢)، و«المشكاة» (٤٧٦٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد يزيد ابن المقدام صدوق، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجة، وباقي رجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر النهج الأسمى للنجدي

قال القرطبي: والمعنى: أفغير الله أطلب لكم حاكماً وهو كفاكم مئونة المسألة في الآيات بما أنزل إليكم من الكتاب المفصل أي المبين.

ثم قيل: «الحكم» أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بـ «الحكم» إلا من يحكم بالحق؛ لأنها صفة تعظيم في مدح، أما «الحاكم» فقد يُسمى بها من يحكم بغير الحق^(١).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

قال النحاس: ﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾، أي: قل: فليس لي أن أتعدى حكمه عز وجل

وأتجاوزَه؛ لأنه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه^(٢).

وقال القشيري: قل لهم: أترون أني بعد ظهور البيان، ووضوح البرهان أذكر اليقين، وأوثر التخمين، وأفارق الحق، وأقارن الحظ؟ إن هذا محال من الظن^(٣).

والمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ: أأبتغي غير الله حكماً؟ أي: أأبتغي حكماً غير حكمه؟، ولا حكم أعدل من حكمه^(٤).

(١) «تفسير القرطبي» (٧٠ / ٧) تفسير سورة الأنعام، الآية (١١٤).

(٢) «تفسير الطبري» (٦٠ / ١٢).

(٣) «تفسير القشيري» (٤٩٦ / ١).

(٤) «الهداية إلى بلوغ النهاية» (٢١٦٠ / ٣).

الحكم الحق هو الله :

قال تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

حكم الله أحسن الأحكام :

فحكمه كله عدل وحق وكلامه كله خير وصدق.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨].

فأحكام الله تتميز بالخير، فلم يأمر إلا بخير ولم ينه إلا عن شر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

فكل ما أمر الله به يكون قرينه النفع واليسر.

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والشر كله في ترك حكم الله ومخالفة أمره عز وجل :

فإن الله سبحانه خلق الخلق ثم نظم لهم حياتهم بقوانين وأحكام إلهية غاية في الحكمة والإحكام، فمن اتبعها فهو لاء هم السعداء، ومن تركها وخالفها فأولئك هم الأشقياء وهذا ما استعاذ رسول الله ﷺ منه.

قال النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشَدَّةِ

الْمُؤْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا
الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ،
فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا
جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»^(١).

لا حكم إلا لله :

فلا يملك الحكم الحقيقي إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وهو الذي يحكم بما يشاء على من يريد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾
[المائدة: ١].

والله يصدر حكمه على من يشاء بحكمته فإذا حكم بشيء فلا راد لحكمه، ولا مبدل لقضائه، قال
تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

فاحكموا بالعدل :

وهذا أمر من الله سبحانه لمن وُضِعَ في مقام الحكم والقضاء وليعلم أنه
مسؤول أمام الله أن يحكم بالعدل فيما يحكم ويقضي على رقاب الخلق من
أحكام قد تغير مجرى حياتهم؛ فليكم الحكم عادلاً وليس أعدل من أحكام الله
عَزَّوَجَلَّ في كتابه وسنة رسوله ﷺ

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

(١) ابن ماجه في «سننه» (٤٠١٩)، وحسنه الألباني، والحاكم في «المستدرک»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

أَمَّمُ تَعْبِدُ حُكَّامَهَا (عندما يصبح الحاكم إلهًا) :

وهذا عندما يتحول الحاكم إلى إله يُعْبَد، وحين يصبح الإنسان ربًّا يُرْكَع له
وَيُسْجَد.

فإن في الإمام من اتخذ آلهة يعبدونها من دون الله
وهؤلاء وإن اتفقوا في الكفر مُسَمًّى ومنعًى ولكنهم اختلفت بهم طرقه
وتعددت بهم ألوانه وسُبله.

فمنهم من اتخذ آلهة النار؛ كالمجوس، ومنهم من عبد الأصنام؛ كقوم
إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكفار قريش، ومنهم من اتخذ الحكام والملوك أربابًا من دون
خالقهم سبحانه، وآلهة يعبدونهم من دون الله عَزَّجَلَّ وَمِنْ هَؤُلَاءِ:

- النمرود:

فهذا حاكم حمله حكمه على الطغيان، ودفعته غطرسته إلى الزور والبهتان
حتى قال: ﴿قَالَ أَنَا أُخِيءُ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

طُغَاةُ الْحُكَّامِ

ففي بعض البلدان كان الناس يعبدون حكامهم وكانت مصر مثلاً واضحاً
على هذا النوع من الحكام؛ فإن كان في كل البلاد التي أشرك أهلها معبودات من
الأصنام ككفار قريش، أو النار كالمجوس، ... إلا المصريين.

فإن المعبود الأكبر لديهم كان حكامهم، وإن العدو الأشرس لله ودينه
وأنبياؤه كانوا ملوكهم، ولذلك كل من عرفه من الأنبياء الذين نزلوا مصر لا
يجدون عائقاً للتوحيد أكبر من حكامها.

الملك الجبار أيام إبراهيم عليه السلام :

وهذا الذي كان يستحل الحرمات ويرتكب الموبقات وكان حوله بطانة من الطغاة يعينونه على الشر.

وهذا الذي أخذ سارة عليها السلام من زوجها نبي الله إبراهيم عليه السلام، والحديث في البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال عن إبراهيم عليه السلام: فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةٌ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمَ أَنَّكَ أَمْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكَ، فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أَضْرُكَ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجِرًا. قَالَ: فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي، فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهَيْم؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ

وفي زمن يوسف عليه السلام:

كانت مصر تحت حكم أناس يقدسون حاكمهم حتى أنهم كانوا يدعونه رباً.

قال يوسف: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١].

وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠].

ولذلك عندما أراد يوسف عليه السلام أن يدعوا المصريين إلى توحيد الله سبحانه نهاهم عن الأرباب من دون الله وقال: ﴿أَرْيَا بَئِثَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٣٩] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

ثم خصَّ التحذير من عبادة الحكام؛ لأنها علَّتْهم المُسلَّطة على رقابهم وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وهذا فرعون:

فقد ظل يذهب بنفسه أشراً وبطراً حتى نصب نفسه على قومه رباً رازقاً ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

بل وجعل نفسه إلهاً واحداً معبوداً لا شريك له. قال: ﴿لِيَن آتَخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

ولما أرسل الله نبيه موسى إلى مصر، لم يبعثه إلى أهلها، وإنما بعثه إلى حاكمها؛ فإن الناس تبعاً له ولا توجد عشرة أمام التوحيد هي أشد من هذا الحاكم

الظالم الطاغى، قال تعالى لموسى: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزِجَ ۚ وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٧-١٩].

فما كان رده على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَن هَدده بعدم إثارة هذه القضية التي ترعبه هو والفراعين في كل حين، ألا وهي (توحيد الله الحَكَم الحق، والتحاكم إلى الله وإلى شرعه) قال: ﴿لَئِنْ اتَّخَذَتِ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. فهذا ما يهدم بنيان حكمهم من قواعده؛ لأنهم ظالمون لا يريدون عدلاً، كاذبون لا يريدون صدقاً، ويحكمون بالباطل لا يريدون حقاً.

فلا يريدون أحداً يحكم الناس غيرهم ولو كان الله سبحانه، ولا يريد قانوناً غير قانونهم ولو كان كتاب الله وشريعته؛ فانظر إلى غضبهم وإنكارهم بل وحبهم لمن خالف أحكامهم وهم يخالفون أحكام الله ليلاً ونهاراً.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أصحاب الأخدود؛

وهؤلاء أيضاً لم يكن معبودهم إلا حاكمهم الذي قال لصاحبه: «وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي»^(١).

ومن أجل ذلك حرقوا المؤمنين الموحدين لأحكام الحاكمين.

قال تعالى: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤-٨].

(١) رواه مسلم مع القصة بكاملها (٣٠٥).

إياك ومخالفة حكم الله ورسوله

لقد وصف الله التاركين للحكم بما أنزل الله في ثلاث آيات في السورة واحدة من القرآن الكريم كل منها تلو الآخر.

١- وصفهم بالكفر: قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢- ومرة أخرى بالظلم: قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٣- ومرة يصفهم بالفسق: قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

هم الكافرون في عقائدهم، والظالمون في حكمهم، والفاسقون في أعمالهم وحياتهم.

عبادة الله ودعائه بهذا الاسم الكريم

وعبادة الله باسمه الحكم أن تحكمه وتحكم شرعه وتحتكم إليه في كل شأنك ولا تحكم غير شرعه سبحانه ولا تتبع أحكام الطواغيب. ومن يطع الله الرسول فقد أطاع الله.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

اجتناب التحاكم إلى غير الله سبحانه

فمن علم أن الله هو خالقه ورازقه ومالكه لم يخالفه في شرعه، ولم يرض بغير حكمه ولا حكم رسوله ﷺ.

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَدَّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(١).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إنكارٌ من الله عَزَّجَلَّ.

على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٢).

(١) رواه مسلم (٣٨٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/٢٤٦).

«الرَّبُّ»

«ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

من هو الربُّ؟ ماذا يفعل الربُّ لخلقهِ؟

كل إجابة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على هذا السؤال هو ما يسمى بـ «توحيد الربوبية».

من رضي بالله رباً دخل الجنة:

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ، لَا أَخْذَنْ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»^(١).

ما هي صفات الرب؟

إبراهيم عليه السلام يصف الربَّ سبحانه فقال: ﴿فَاتَّبَعْتُهُمُ عُدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ^(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ^(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ^(٨٠) وَالَّذِي يُمْسِكُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ^(٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿[الشعراء: ٧٧-٨٢].

فالنعيم كلها من الله. قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

(الرَّبُّ) هو الشافي وحده: قال النبي ﷺ: «أَذْهَبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ أَشْفَى أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»^(٢).

(الرَّبُّ) هو الخالق وحده لكل شيء: قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٥٧)، و«الصحيح» (٨٦٢٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(الرَّبُّ) هو الرزاق وحده: قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

(الرَّبُّ) يُحيي ويميت: قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ﴾. [البقرة: ٢٥٨]

(الرَّبُّ) هو الذي يُعَلِّم، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّادِيَّ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ﴾ [١] ﴿الَّذِى عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٢] [العلق: ١-٥].

وصف جامعٌ للرَّب. قال تعالى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝﴾ [١] ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ۝﴾ [٢] ﴿الَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ۝﴾ [٣] ﴿وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝﴾ [٤] ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝﴾ [٥] [الأعلى: ١-٥].

نوح عليه السلام يدعو قومه إلى ربهم بكلامٍ تدمع له القلوب قبل العيون:

قال نوح لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ﴾ [١٣] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۖ﴾ [١٤] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ﴾ [١٥] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ﴾ [١٦] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ﴾ [١٧] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ﴾ [١٨] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۖ﴾ [١٩] ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۖ﴾.

[نوح: ١٣-٢٠]

العبادة حقٌّ للرَّبِّ وحده سبحانه:

إذا كنت لم تخلق بنفسك فإنك لم تخلق لنفسك إنما خلقت لله وعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾.

أمم لا تعرف ربها

فقد أغوى الشيطان أممًا، وأضلَّ عقولًا حتى نسوا ربهم، فمن هؤلاء الذين لم يعرفوا خالقهم ورازقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوم ثمود كفروا ربهم:

قال تعالى: ﴿الْأَيْنِ ثَمُودُ اكْفُرُوا رَبَّهُمْ ۖ آلَا بَعْدَ الثَّمُودِ﴾ (هود: ٦٨).

فرعون لا يعرف من ربه:

فقد قال فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ﴾ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

قارون لا يعرف من يرزقه:

فقال له علماء قومه: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. فقال لهم: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. وكانت النتيجة: قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

اليهود والنصارى يتخذون أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله:

عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]. فقلت: إنا

لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرّمونه ويحلون ما حرّم الله فتحلونه»؟ فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»^(١).

ويظنون أن المغفرة بأيديهم:

فإذا أخطأ أحدهم يذهب إلى ما يُسمى عندهم بـ «البابا» ويجلس على كرسي يُسمى بـ «كرسي الاعتراف» ثم يقص عليه أحداث ذنبه وتفاصيل خطيئته طالباً المغفرة، فيقول له: اذهب فقد غفر لك الرب، يطلب من عبدٍ مثله يخطئ كبقية البشر ويذنب كسائر المذنبين، قال النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(٢).

سبحان الله عما يصفون، هكذا يكون قد ارتكب إثمين عظيمين:

أولهما - الشرك بالله؛ لأنه لا يدري أن الله وحده هو الغفار للذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال النبي ﷺ: «فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

ثانيهما - أنه قد فضح نفسه لعبد مثله لا يملك له نفعاً ولا ضراً، ومثل هذا لا يغفر له، قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنْ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْملَ الرَّجُلُ عَمَلًا ثُمَّ يَصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ». رواه البخاري ومسلم

(١) رواه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٩٤)، وأصله عند أحمد في «المسند» (٣٧٨، ٢٥٧/٤) دون هذا اللفظ.

(٢) حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٣٤١).

الشيوعيون ينكرون أن لهذا الكون رباً^(١) :

فلا يؤمنون بأن لهذا الخلق خالقاً، ولا للرزق رازقاً ويقولون: إن الطبيعة هي المادة الفاعلة والمؤجدة لهذا الكون، وإن هذا الوجود أزلي ليس له بداية وليس له نهاية، ومن عقائدهم إنكار وجود الله وكل المغيبيات، ومن كلامهم الخبيث: «نؤمن بثلاثة: ماركس، ولينين، وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، والدين، والملكية الخاصة. عليهم لعنة الله إلى يوم الدين»^(٢).

سبحان الله يمشون على أرضٍ لا يدرون من بسطها، وتحت سماءٍ لا يعلمون من رفعها، ويأكلون زروعاً لا يعرفون من أثمرها، ويشربون من أنهار لا يعرفون من فجرها، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]!!

الحيوانات تعرف من خلقها ويرزقها :

الذئب يعرف من يرزقه: قال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذَّبُّ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاءً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذَّبُّ فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي»^(٣)، وفي رواية أحمد قال الذئب: «ألا تتقي الله؟ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي»^(٤).

البقرة تعلم من خلقها: قال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ: إِنْ لَمْ أَخْلُقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ». فقال الناس:

(١) نشأت الشيوعية في القرن السابع عشر بأوروبا وتطوّرت على يد ماركس ولينين وستالين.

(٢) «الموسوعة الميسرة» (٣١٠)، وانظر كتاب «الشرك في القديم والحديث» لأبي بكر محمد بن زكريا. ط. مكتبة الرشد.

(٣) البخاري (٣٦٦٣).

(٤) انظر: «دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

سبحان الله! قال النبي ﷺ: «فَإِنِّي أُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(١).

هل يكفي بأن تعرف ربك لتكون مسلماً؟

الإجابة على هذا السؤال تكون بما نطق به القرآن وجاءت به السنة وإليك

بعضه:

كفار قريش يعلمون أن الله هو الخالق:

قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

فمن أقر بالله رباً ولم يعبده وحده أو اتخذ معه معبوداً آخر لم ينفعه ذلك الإقرار؛ إذ أنه أقر بالنعمة ولم يشكر من أنعم بها سبحانه، ويعترف بأن الله هو الخالق الرازق وحده ولكنه لا يعبد وحده. يعترفون بأن الله رب ثم يعبدون غيره!! يعبدونهم ليقربوهم من الله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

فتراه قد اتخذ إلهاً غير الله أو معه يحبه كحب الله ويدعوه من دونه ويتوسل إليه ويتوكل عليه وينذر وينحر له (سبحان الله عما يصفون).

إبليس - عليه لعنة الله - يعلم أن الله ربه وخالقه :

فقال إبليس - عليه لعنة الله - لله سبحانه: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

(١) البخاري (٣٦٦٣).

ويعلم أن الحياة والموت بيد الله وحده:

فلما أراد إبليس الإفساد في الأرض وإضلال بني آدم إلى يوم القيامة سأل الله أن يحييه إلى يوم القيامة ولا يميته، قال تعالى عن إبليس^(١): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿ [الحجر: ٣٦-٣٧].

ومن أجل ذلك من عرف الله ولم يعبد له ولم تنفعه معرفته تلك، كمن يعلم أن الله هو الإله الحق ولا يعبد له ويأبى أن يركع له ويسجد، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ»^(٢)، وقال أيضًا: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(٣) (٤).

* * *

(١) قال سفيان بن عيينة: لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس -لعنه الله- إذ قال: ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦].

(٢) رواه مسلم.

(٣) وكفر تارك الصلاة على خلاف بين العلماء، فهل يُخرج من الملة أم هو كفر أصغر؟ وكذلك اختلفوا في سبب تركها: جحودًا أم كسلًا، وكذلك في معنى كلمة «تركها» هل ترك كامل طوال عمره أم هو ترك مؤقت كالذي يترك بعض الفرائض أو يجمع الصلوات؟ فتأمل ذلك جيدًا قبل الحكم على الناس.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

«الإله» تَبَارَكَ وَتَعَالَى

أعظم دليل في الشرع يتحدث عن الإله :

فقد قال النبي ﷺ لأبي كعب: «أَتَدْرِي أَيَّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

[الزخرف: ٨٤]

وقد جاء أيضًا في الحديث الشريف:

خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُضْحِي بِرُوحِهِ فِي سَبِيلِ الْإِلَهِ سُبْحَانَهُ؟

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ خَبِيبَ بْنَ عَدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا أَرَادَ كِفَارَ قَرِيشٍ قَتْلَهُ قَالَ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مُصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَرَّعٍ

معنى: «لا إله إلا الله»

المعنى اللغوي:

قال الراغب الأصفهاني: «... وأله فلان يأله إلهةً، عبد يعبد عبادة وقيل: تأله فالإله على هذا هو المعبود»^(١).

قيل: «أصله»: «ولاه» فأبدل من الواو همزة وتسميته بذلك؛ لكون كل مخلوق والهّا نحوه إمّا بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات وإمّا بالتسخير والإرادة معاً كبعض الناس ومن هذا الوجه.

قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها وعليه دلّ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِخَّرْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]^(٢).

قال الزجاج: إله (فعال) بمعنى مفعول، كأنه مألوه، أي: معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويؤلهونه، والتأله: التعبد^(٣).

قال أهل اللغة: إن (إله) فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب وإمام بمعنى مؤتم به فيكون (معبوداً) ويقال: «أله» يأله بالفتح فيهما «إلهة» أي: عبادة^(٤).

«الآلهة»: الأصنام سمّوها - أي: الكافرون - بذلك؛ لاعتقادهم أن العبادة مستحقة لها.

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٨٢-٨٣)، الولاه: أي: من الوله، (أي: الحب والخضوع).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «اشتقاق الأسماء» للزجاج ص[٢٤].

(٤) «تاج العروس» ص[٩].

مَنْ هُوَ الْإِلَهِ؟

الإله هو المحبوب المعبود المطاع.

قال ابن القيم: واسم الله دال على كونه مألوهًا، معبودًا، تألهه الخلائق؛ محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب^(١).

وقال أيضًا: فمن اتسع قلبه لمشهد الأهلية، وقام بحقه من التبعّد الذي هو كمال الحب بكمال الدّلّ والتعظيم والقيام بوظائفه العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق، وصار من أغنى العباد، ولسان حاله يقول:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم وإن الغني الغالي عن الشيء لا به

فيا له من غنى ما أعظم خطره وأجلّ قدره تضاءلت دونه الممالك^(٢).

قال أبو عبد الله القرطبي في (تفسيره): «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإله» هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد^(٣).

وقال أيضًا: فإن الإله هو المحبوب، المعبود الذي تأله القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه وترجوه، وتنب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت: «لا إله إلا الله» أصدق الكلام وكان

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٢).

(٢) «طريق المهجرتين» (ص ٦٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ٢٤٩).

أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صَحَّت
صَحَّ بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يَصَحَّصْها العبد فالفساد له في علومه
وأعماله^(١).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإله» هو الذي يُطَاع فلا يُعصى؛ هيبَةً له وإجلالاً
ومحبة وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كُله
إلا لله عَزَّجَلَّ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص
الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا الله» وكان فيه من عبودية
المخلوق بحسب ما فيه من ذلك^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعبادة الرحمن: غاية حبه	مع ذلِّ عابده هما قطبان
ومداره بالأمر - أمر رسوله -	لا بالهوى والنفس والشيطان
حق الإله عبادة بالأمر لا	بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما	سبب النجاة فحبذا السببان
لم ينبج من غضب الإله وناره	إلا الذي قامت به الأطلال
والناس بعد فمشرك بإلهه	أو ذو ابتداع أو له الوصفان

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣/٢٠٢).

(٢) ابن رجب: «كلمة الإخلاص» (٢٣).

أعظم من شهد أن «لا إله إلا الله»

الله وملائكته وأولو العلم :

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

أخبت من اعترف بها

فهذه شهادة من «إله الباطل لإله الحق»:

شهادة من قال: «ما علمت لكم من إله غيري»، اعتراف من فرعون نهديه إلى كل فرعون متكبر جبار في كل زمان ومكان، ونقول: اسمعوا لإمامكم وهو يُقَرُّ بالتوحيد، وانظروا لقدوتكم وهو يخضع لرب الوجود وإله العبيد في وقت لا ينفع فيه مُلْكٌ ولا تاجٌ ولا جنود.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُوا إِسْرَءِيلَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ ﴾ [٩٠] ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

من فضائل «لا إله إلا الله»

معرفة الله أفضل العلوم، وتوحيد الله أفضل الأعمال وكل فضل إنما هو ثمرة له، فمن ذلك:

١ - تحريم المال والدم: قال النبي ﷺ: «مَنْ وَحَدَ اللَّهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١).

٢ - دخول الجنة: قال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، وقال أيضًا: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ»^(٣).

٣ - التحريم على النار: قال النبي ﷺ: «لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلُ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ»^(٤)، وفي رواية: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ»^(٥).

٤ - الخروج من النار لمن قالها وآمن بها: قال النبي ﷺ: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ دَرَّةً»^(٦).

(١) رواه مسلم (٢٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم (٥٤).

(٥) رواه مسلم (٤٧)، من حديث عبادة بن الصامت.

(٦) رواه البخاري.

٥ - انتفاع الموحدين بأعمال أبنائهم: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لعمرو بن العاص: «أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد فُصِّمَتْ وتصدقت عنه نفعه ذلك»^(١).

٦ - لا إله إلا الله: أثقل ما في الميزان: عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر له تسعة وتسعون سَجَلًا - أي من الذنوب - كُلُّ منها مدّ البصر ثم يُقال: أُنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يارب، فيُقال: ألك عذرٌ أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك، فيُخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كِفَّة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»^(٢).

٧ - أسعد الناس بالشفاعة: عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(٣).

٨ - الموحدون هم الشفعاء في الدنيا والآخرة: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ»^(٤).

(١) رواه أحمد (١٨٢/٢) حديث رقم (٦٧٠٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في «مجمع الزوائد» (١٩٢/٤).

(٢) رواه الترمذي باب الإيمان (٢٦٤١)، وأحمد في «مسنده» (٢/٢١٣)، وابن ماجه في «الزهد» برقم (٤٣٠٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح (١٩٩٤).

(٣) رواه البخاري مع «الفتح» (٩٩/١).

(٤) رواه مسلم (٩٤٨).

٩- قبول العمل: فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ».

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَن كَانَ رِجْوَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَدِيقًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠]

قال يحيى بن كثير: هذان شقاً قبول العمل أن يكون صواباً وخالصاً، قالوا: وكيف يكون صواباً؟ قال: أن يكون على سنة النبي ﷺ.

١٠- المغفرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨]

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٢).

١١- من حقق «لا إله إلا الله» دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:

قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. عنان السماء، قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عن لك منها أي ظهر، وقراب الأرض: هو ما يقارب ملئها.

(٣) الترمذي في «الجامع» برقم (٣٥٣٤)، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٤ - ١٧٢)، وله شاهد عند مسلم من حديث أبي ذر في «الصحيح» برقم (٢٦٨٧).

وفي رواية: «هُم الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١).

«يتطَيَّرُونَ»: يتشائمون، «يكتونون»: أي يستخدمون الكي في علاج الأمراض، «يسترقون»: أي يطلبون من غيرهم أن يرقىهم^(٢).

الترهيب من الشرك

إذا كان السبب الذي بُني من أجله الكون وخلق من أجله الخلق هو عبادة الله وحده سبحانه فكل خير في الدنيا والآخرة هو ثمرة لتلك العبادة، وكل شر في الدنيا والآخرة كان سببه هو التفريط في تلك العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فتوحيد الله عزَّجَلَّ أعظم ما يرضي الله من خلقه، والشرك أعظم أسباب غضبه وعقابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٣١].

صور من غضب الآلهة الباطلة لألهيتهم:

- فرعون أبى أن يكون معه إله؛ فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وغضب على من عبد إلهاً غيره، ولو كان هذا الإله هو الله سبحانه، فقال لنبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَئِنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، يقول هذا وهو كاذب في دعواه وما هو إلا عبد من عباد الله، فكيف يغضب رب العالمين وإله الأولين والآخرين على من اتخذ معه أو من دونه إلهاً؟!!!

(١) البخاري (٥٩٩١) «الرقاق».

(٢) البخاري.

وهذا صاحب الأخدود سَخِطَ على من لم يتخذه إلهاً وثارت ثورته على عباد الله الذين وَحَّدُوا الله فأدخلهم نار الدنيا أحياءً، فكيف بعذاب الله لمن أشرك به سبحانه وهو الإله الحق وكل ما عُبد من دونه آلهة باطلة.

١- الشرك أعظم الذنوب:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»^(١).

٢- الشرك لا يُغفر أبداً:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٣- لا يقبل الله أعمال المشركين:

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبِطَنَ عَمَلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٤- خلود المشركين في جهنم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

٥- حرمان المشركين من رؤية الله سبحانه وتعالى:

فكما أن هؤلاء الكفار حجبا عن قلوبهم نور الهداية والتوحيد لله العظيم حجبهم الله عن رؤية وجهه الكريم. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

(١) على خلاف بين العلماء على معنى الاسترقاء هل هو الاسترقاء بما يحتوي على نهي شرعي أم المقصود عموم الاسترقاء بالمشروع وبغيره، والله أعلم.

٦- نسيان الله للمشركين :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»^(١).

قال أبو عيسى الترمذي: ومعنى قوله: «الْيَوْمَ أَنْسَاكَ». يقول: اليوم أتركك في العذاب، هكذا فسّروه كما في موضع آخر.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنِنَا يُجَادُونَ﴾ [الأعراف: ٥١].

٧- دعاء الكافرين لا يقبل :

قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

٨- حرمانهم من الجنة أبداً :

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٩- الكافرون هم أعداء الله :

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

١٠- الشرك أعظم الظلم :

قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

١١- الشرك أعظم أسباب الخوف في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

فلا يزال الشرك مصدراً لكل شر ومانعاً لكل خير، فبالشرك هلكت أمم، ودمّرت قرى، وزالت ممالك، وذلل ملوك.

كم إلها تعبد؟

أما المشركون فيقولون: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].
عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمَّ! إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجَزِيَّةَ»، فقالوا: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشراً، فقالوا: وما هي؟ قال النبي ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.
وأما المؤمنون فيقولون: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.
[الكهف: ١٤]

النفي ثم الإثبات

إن الإيمان بالوهمية الله يتضمن أمرين هامين:

الأول: نفي كل الآلهة التي تُعبد من دون الله والكفر بها، وهذا قول: «لا إله».

الثاني: إثبات الألوهية لله وحده سبحانه لا شريك له ولا ند معه، وهذا قول: «... إلا الله».

مثال: الخليل إبراهيم ومن تبعه يتبرؤون من الشرك وأهله فيقولون لقومهم:
﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

مثال آخر:

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

لماذا لا إله إلا الله؟

١- لأنه الخالق وحده سبحانه وتعالى وغيره لا يخلق :

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَ تُؤْفَكُونَ﴾.

[غافر: ٦٢]

قال ابن كثير: أي الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق كل شيء الذي لا إله غيره ولا رب سواه، ﴿فَآَنَ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: تعبدون غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة منحوتة.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ».

٢- لأنه الرزاق وحده تبارك وتعالى وغيره لا يرزق :

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ بِرَبِّكُمْ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

ينبه الله عباده إلى الاستدلال على توحيده وإفراده بالعبادة؛ لأنه سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق لا يشاركه أحد في ذلك، وإن كان كذلك فليُفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد.

حتى الكفار يرزقهم ويعافهم: عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَا

أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ؛ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١).

٣- لأنه الملك وحده عزَّجَلَّ وغيره لا يملك :

فالله عزَّجَلَّ هو الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا تحت سلطانه^(٢).

قال تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال أيضًا: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى عن غيره:

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

٤- لأن النفع والضرب بيد الله وحده :

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ

لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال النبي ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،

وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا

بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ

عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ»^(٣).

(١) رواه الترمذي (٢٤٢٨/٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

(٣) «النور الأسنى عن جامع البيان» (٣٦/٢٨) بتصرف.

فاعلم أنه لا إله إلا الله

لا معبود بحق إلا الله

١- فالعبادة حق لله وحده:

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ».

٢- والحب كله لله وحده:

فإن الإله هو المحبوب الأعظم بالقلب والجنان والمعبود الأحد الحق بالبدن واللسان.

والله أحق بقول القائل:

أَحِبُّ حَبِيبًا لَا أَعَابُ بِحَبِّهِ وَأَحْبَبْتُمْ مَنْ فِي سِوَاهِ عَيْبٍ

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

-والحب يكون في الله وحده. قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ»^(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.

٣- الخوف من الله وحده:

فالنفع والضرر بيد الله وحده، والعطاء والمنع بيده وحده، والثواب والعقاب بيده وحده، ولذلك الخوف من فوات الخير أو حصول الضرر لا بد وأن يكون من الله وحده سبحانه؛ لأن غيره لا ينفع ولا يضر.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

٤- الدعاء لله وحده:

فلا يُلبّي نداء المحتاجين غيره، ولا يجيب دعاء المضطرين سواه، فكل من دُعي من دون الله لا يملك شيئاً لمن دعاه ولا يسمعه ولو سمعه ما استجاب له. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠].

وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

٥- المساجد لله وحده:

فالمساجد بيوت الله رُفعت لذكر الله وعبادته، فكيف يُدعى فيها غيره أو يُرجى فيها سواه سبحانه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

٦- الصلاة والتمتع لله وحده:

فقد خلق الله الإنسان وخلق له الأنعام ولا بد لنعم الله من شكر، فمن شُكر الإنسان لله أن تكون العبادة والصلاة لله وحده، وأما الشكر على الأنعام فبذبحها لله وحده وباسم الله وحده، وكما أمر الله وحده سبحانه. قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

هكذا يفعل الأحناف

فقد كان زيد بن عمرو بن نفيل من الأحناف على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال للمشركين: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله؛ إنكاراً لذلك وإعظاماً له»^(١).

وقال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ». (رواه مسلم)

٧- الاستعاذة بالله وحده:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ (١) مَلِكِ النَّاسِ ۝ (٢) إِلَهِ النَّاسِ ۝ (٣) ﴾ [الناس: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾. [الجن: ٦]

٨- الاستغاثة بالله وحده:

قال بعض أصحاب النبي ﷺ: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي، وإنما يستغاث بالله».

(١) رواه البخاري (٣٨٢٦).

٩- الاستعانة بالله وحده:

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

١٠- التوسل إلى الله وحده:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ [المائدة: ٣٥].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الوسيلة» أي: القربة.

وعن قتادة: «وابتغوا إليه الوسيلة» أي: تقربوا إليه بطاعته.

وقال ابن كثير: والوسيلة هي التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تحصيل المقصود.

والتوسل إلى الله يكون بإحدى ثلاث طرق:

أولاً- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ إذ هي أعظم أسباب إجابة الدعاء.

مثال: كقول النبي ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ...»^(١).

مثال آخر: وقوله ﷺ في دعاء ليلة القدر: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ مُّحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(٢).

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٧٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٨)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وانظر «صحيح جامع الترمذي» (٢٧٨٩).

ثانيًا- التوسل إلى الله بالعمل الصالح. وهو مشروع؛ لأنه من طاعة الله سبحانه ويُتقَرَّب إليه به.

مثال التوسل بالإيمان: كقول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

وكقولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

مثال آخر: التوسل بالإخلاص في العمل الصالح:

وهو ظاهر في حديث الثلاثة الذين دخلوا الكهف فأغلقتهم الصخرة، فقالوا: «لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم»، فتوسل الأول ببره لوالديه، والثاني بتركه للحرام، والثالث بحفظه للأمانة وأداء الحقوق لأصحابها، وكان كل منهم يقول: «اللهم إن كُنْتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فأنفرت الصخرة فخرجوا يمشون» متفق عليه.

ثالثًا- التوسل إلى الله بطلب الدعاء من صالح حيٍّ:

مثال: طلب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النبي ﷺ الدعاء أثناء حياته، فمن ذلك:

- روى البخاري من حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قال عكاشة بن محصن: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعله منهم»، وفي رواية، فقال: «أنت منهم».

- وكذلك المرأة التي كانت تُصرع فتتكشف، قالت: «ادع الله أن لا أتكشف» فدعا لها. متفق عليه.

- مثال آخر: عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَوْثَسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُّهُ، فَلَيْسَتْ غَيْرَ لَكُمْ».

١١- الحكم والقضاء لله وحده:

فحكم الله أعدل الأحكام، وقضاؤه أعظم القضاء، فقد سَلِمَ حكمه من الظلم وقضاؤه من الجور. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، من أجل ذلك قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»^(١).

فمن علم حكمة الله في حكمه، ورحمة الله في قضائه، وعدل الله في شرعه لا يسعه إلا أن يحتكم إليه وحده وإلى رسوله. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

١٢- إخلاص الدين لله وحده:

فيا من يذهبون لبيوت الله؛ ليدعوا فيها غير الله ويتبركوا بقبور وأضرحة الأموات وينحروا لهم ألا تسمعون قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ [الزمر: ٢-٣]. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨١١)، وأبو داود (٤٩٥٥)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (٤١٤٥).

١٣- رجاء الثواب من الله وحده:

وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(١)، وفي رواية: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرِّكَ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(٢).

١٤- والحلف بالله وحده:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٣).

١٥- حتى الحياة والموت لله وحده:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٣٦) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فالله عَزَّجَلَّ هو خالق الحياة والموت. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فلا بد من الحياة لله على شرع الله وأمره، والموت كذلك كالشهادة في سبيل الله أو الموت على الإسلام وأنت موحد لله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه.

(٣) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

«إله مع الله؟»

ليس كمثله شيء في ألوهيته

هل إله غير الله يُعبد هل إله غيره يُشكر ويُحمد؟

١- كل الآلهة التي تُعبد من دون الله مخلوقة، والله هو الخالق وحده:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

قال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئاً وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها.

ولذلك كان أقبح الذنوب وأعظمها أن يُجعل المخلوق نداً للخالق سبحانه، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قلت يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ».

فسبحان الله ما أعظمه من إله، فكل شيء من خلقه وإبداعه من أجل ذلك
قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

ولله درُّ القائل:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك
على قُضْب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وقال آخر:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحد الجاحد؟
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

٢- كل الآلهة من دون الله متفرقون متشاكسون :

قال الله تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال
تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

٣- آلهة تأكل وتشرب وتلد :

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

قال ابن كثير: أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما، فهما عبدان
كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة، عليهم لعائن الله
المتتابعة إلى يوم القيامة.

ما أصبره عليهم!

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

٤- آلهة مفلسة وفقيرة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) **﴿١٣﴾** إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿فاطر: ١٣-١٤﴾.

٥- آلهة عباد الله جل جلاله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٤).

٦- آلهة تنام وتموت:

قال تعالى عن الآلهة الباطلة: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (النحل: ٢٠-٢١).

وقال تعالى عن نفسه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال عن غيره: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

فأين فرعون الذي كان يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وأين النمرود الذي قال: ﴿أَنَا أُمِيتُ﴾، بل أين صاحب الأخدود الذي قال لمن آمن: «ألك ربٌ غيري».

فهم كما قال الشاعر:

أتى على الكل أمرٌ لا مرد له فقصوا وكأنَّ الكل ما كانوا
وكما قال آخر:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام
قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ
الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

٧- كل الآلهة من دون الله باطلة :

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]،
وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَدَ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].
عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَصْدُقُ كَلِمَةً قَالَهَا الشَّاعِرُ لَبِيد: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا
خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ».

٨- عاجزون «أضعف من الذباب» :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِن يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].
عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي،
فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»، وفي رواية لأحمد: «فَلْيَخْلُقُوا مِثْلَ
خَلْقِي ذَرَّةً أَوْ ذُبَابَةً أَوْ حَبَّةً».

قال ابن كثير: أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون

عن مقاومته والانتصار منه لو سلبهم شيئاً ثم أرادوا أن يستنقذوه منه لما قدروا على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها، ولهذا قال تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّلِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٩- آلهة لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر:

قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَتَأَبَتُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: ٤٢].

١٠- معبودات من صنع عابديها:

قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ١٥ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. [الصافات: ٩٥-٩٦]

١١- ليس لها إلا الأسماء في نفوس أصحابها:

قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

قال ابن كثير: إن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هي جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله.

١٢- آلهة قبيحة:

فلا تجد معبوداً من دون الله يخلو من أوجه القبح بين أصنام وأحجار أو قبور وأشجار أو بشر يأكلون ويشربون ويولون ويتغيطون، أين هذا من الله سبحانه الذي وصفه النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ».

وانظر إلى الجمال والعظمة والكبرياء حين يصف النبي ﷺ وجه الله فيقول:
«جَبَابَهُ الثُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأُخْرِقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وانظر إلى هذا الوصف الذي يجعل النفس تشرق بنور الإيمان، والقلب
يسعد بحب الرحمن. قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

١٣- آلهة تقود عابديها وأصحابها إلى جهنم:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ
مُؤَدِّنٌ: تَتَّبِعْ كُلَّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا
يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ».

وفي رواية لأحمد: «فَيَتَّبِعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ الشَّمْسَ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَتَّبِعُ
الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْقَمَرَ الْقَمَرَ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَتَّبِعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ
الْأَوْثَانَ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الْأَصْنَامَ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ».

١٤- آلهة تعذب مع أصحابها في جهنم:

قال تعالى للكافرين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ
لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هُتُولَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال ابن كثير: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة
صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها.

لا إله إلا الله : دعوة الأنبياء والمرسلين

الدعوة إلى «لا إله إلا الله»؛ فهي نجاة من الشرك.

قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وهي خير الأعمال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهي دعوة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهي دعوة نوح لابنه أيضًا. قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [٤٤] قَالَ سَتَأْوِي إِلَيَّ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ [هود: ٤٢-٤٣].

وهي رسالة إبراهيم عليه السلام، فدعا أباه وقومه إليها.

قال تعالى يخبر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [٨٥] أَفَبِكُلِّ عِلْقٍ عَلَيْهِمْ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ [٨٦] فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [الصافات: ٨٥-٨٧].

ووصى بها أبنائه. قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ودعوة هود عليه السلام إلى عاد. قال تعالى: ﴿وَالِإِنِّي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُوتُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

ونداء صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ثمود. قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفَوْرُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وموعظة لقمان لابنه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تَشْرِكْ
بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ووصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبنيه عند موته. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ
يَعْقُوبَ أَلْمُوتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهي دعوة النبي محمد ﷺ وأُمَّته إِلَى الناس كافة إِلَى قيام الساعة.

فقد بعث الله رسوله ﷺ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْعَرَبِ
وَالْعَجَمِ، وَأَمْرِهِ ﷺ هُوَ وَأُمَّتُهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال ابن كثير: يقول تعالى لرسوله ﷺ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَمْرًا لَهُ أَنْ
يُخْبِرَ النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ سَبِيلُهُ، أَي: طَرِيقَتُهُ وَمَسْلَكَهُ وَسُنَّتُهُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى شَهَادَةِ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَقِينُ
وَبِرْهَانٍ هُوَ وَكُلٌّ مَنْ اتَّبَعَهُ، يَدْعُو إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَقِينُ
وَبِرْهَانٍ عَقْلِيٍّ وَشَرْعِيٍّ^(١).

(١) «تفسير ابن كثير» (٢-٤٧٩).

دعوة النبي محمد ﷺ لقومه: فقد كان النبي ﷺ يطوف بقومه ويقول لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»^(١).

وأمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدعو إليها أهل اليمن:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وفي رواية: «إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ...»^(٢).

ومن أجل الدعوة إليها فرض الجهاد وأرسل النبي ﷺ الجيوش: فإن جهاد الإسلام جهاد مقدس طاهر فلم يفرض الجهاد؛ لسفك الدماء ولا لنهب الأموال وهتك الأعراض كما يفعل أهل الظلم والبغي والطغيان، ولكن فرض الجهاد؛ لتكون كلمة الله هي العليا؛ وليعرف الناس خالقهم ويعبدوا إلههم الحق سبحانه. فقد أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميراً على الجيش في غزوة خيبر، وقال له: «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

نجاة أمة التوحيد بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمعرفة من الإله المعبود وبراءته من عبادة غيره:

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤٩٢، ٤/٣٤١)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، من حديث ربيعة بن عباد، وابن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» (٤/١٩١)، والبخاري في أفعال العباد (٢٥٨)، والدارقطني في «السنن» (٣/٤٤)، والحاكم في «المستدرک» (٢/٦١١)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث طارق ابن عبد الله المحاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري في «صحيحه» (١٤٥٨، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٧٣٧١)، ومسلم (١٩)، وغيرهما.

فإن أعظم ما أصلح الله به أمة الإسلام عند وفاة النبي ﷺ «فداه نفسي وولدي ووالدي» هو أن قيض الله لتلك الأمة رجلاً موحّداً موفّقاً يعلم أن لا إله إلا الله، وثبت عليها وبها حين زلت الأقدام وحارت الأفهام، فكان نعم القائد لقوم كانوا في حيرة واضطراب، ونعم الراعي لأناس كانوا كالشاة وسط الذئاب، فخرج عليهم وقال: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»، ثم قرأ الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال: فنشج الناس ييكون.

ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم وخرجوا يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

هذه دعوة الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من العلماء والصالحين، فسير على هديهم تلحق بهم، وكن مثلهم تحشر معهم، ولا يكوننّ (الهدهد) أحرص منك على دين الله والدعوة إليه، فإن لك مثل أجر من يهتدي على يدك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى.

دعاء الله باسمه «الإله» تَبَارَكَ وَتَعَالَى

١- الإخلاص في «لا إله إلا الله» :

عن أبي رَحْمَةَ اللَّهِ عَنْهُ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ».

٢- دعاء مُسْتَجَاب :

سمع النبي ﷺ رجلاً كان يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أُعْطِيَ، وإذا دُعِيَ به أُجِبَ».

وفي رواية: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أُجِبَ، وإذا سُئِلَ به أُعْطِيَ».

٣- ودعاء عند الكرب والشدة :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ». وفي رواية النسائي وصححه الحاكم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ لَاءِ الْكَلِمَاتِ وَأَمْرَنِي أَنْ نَزَلَ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ أَنْ أَقُولَهَا.

ودعاء سارة لكرب النساء :

فلما أراد الملك الظالم أن يأخذ سارة عَلَيْهَا السَّلَامُ لم تجد ما تدعو الله به أعظم من توحيدها له فقالت: «اللهم إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تَسْلُطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ»، فصرفه الله عنها وأخدمها هاجر.

٤- دعوة يونس عليه السلام تجاب لكل مسلم :

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعْوَةُ ذِي الثُّنُونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

٥- الشهادتان بعد الوضوء تفتح بهما أبواب الجنة :

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(١).

٦- خير الكلام :

قال النبي ﷺ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّ وَنَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

٧- عشر مرات بأربعة أنفس :

عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

٨- مائة مرة أجر عظيم وحرز من الشيطان :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

(١) رواه مسلم (٢٣٤) في «الطهارة».

(٢) رواه الترمذي (٣٥٧٩) في «الدعوات» وهو في «المشكاة» (٢٥٩٨)، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٣)، و«صحيح الترمذي» (٣٨٣٧).

لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَحُيِّتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِسي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

٩- دعاء عند المضجع : عند النوم :

عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يقول إذا تبوأ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني، والذي من عليّ فأفضل، والذي أعطيني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم ربّ كل شيء ومليكه وإله كل شيء، أعوذ بك من التّار».

١٠- دعاء يصدق الله قائله وينجيه من النار :

عن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ».

١١- سيد الاستغفار ثم الجنة :

عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا حِينَ يُمِسي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

قُلْ مَعَ الْكَوْنِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»:

فكل مَنْ في هذا الكون يعلم أن الله هو خالقه ورازقه فيشكره ويحمده
ويعلم أن الله سبحانه هو إلهه فيطيعه ويعبده.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ».
ولله درُّ القائل:

سبحانه من كان قبل الخلق أجمعه	لا قبل من قبله لا بعد إلا هو
رب الوجود تعالى أن يحيط به	علم العباد بلا شرك عبده
فانظر. تأمل. تفكر سوف تعرفه	في كل شيء وتوقن أنه الله
هو الذي خلق الأشياء من عدم	وكل شيء يسبحه ويخشاه
فالشمس والبدر من أنوار حكمته	والبر والبحر فيض من عطياه
فالعرش والكرسي والملكوت قدسه	رغباً ورهباً سبحانه هو الله
والشمس تسجد له والنجم والشجر	حُباً وشوقاً فالله مولاه
والمُزَن سَبَّح في جوِّ السماء طرباً	والرعد سبحه والريح تهواه
والصخر يهبط من عليائه خوفاً	ويَفْجُر الماء ويبكي مما يخشاه
والبحر مجّده، والموج كبره	والطير سبّحه والحوث ناجاه
والنمل تحت الصخور الصّم يعرفه	والنحل يهتف حمداً في خلاياه
الكون يشكره والعبد يكفره	والعبد ينسى وربّي ليس ينساه

فكل ما حولنا فينا يذكرنا إذا نسينا بأن إلهنا الله
 من ذا الذي يسمع الشكوى ويرفعها ويستجيب لخلق الله إلا هو
 من يكشف السوء غير الله خالقنا إن مسنا الضر من ندوه إلا هو
 اختص باسم فلا يحظى به أحد وذلك الاسم معروف هو الله

فانظر لهذا التقديس من حملة العرش ومن حوله.

حملة العرش ومن حوله يلهجون بالتسبيح ويحفون من حول العرش
 بالإجلال والتقديس والتعظيم لله سبحانه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَسْتَغْفِرُونَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
 عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

سبحان الله وبحمده لغة كل المخلوقات :

وعن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ نُوحٌ لَّابْنِهِ: ... وَأَوْصِيكَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهُمَا
 صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَبِهِمَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ...»^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
 [الإسراء: ٤٤].

كل المخلوقات تصلي لله وتسبحه في وقت واحد معاً :

وقال النبي ﷺ: «ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا

(١) رواه النسائي واللفظ له، والبخاري، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»^(١).

السموات السبع والأرض يسبحن:

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

الرعد والسحاب يُسَبِّحان «بحمد الله»:

قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

ديك عظيم يسبح الله «العلي العظيم»:

فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقْتُ رَجُلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»^(٢).

إسرافيل ويا لصبره على طاعة الله عز وجل! ويا لذه بين يدي العزيز الجبار! فانظر إلى حاله وهو يمسك بالصور في فمه منذ آلاف بل قد يكون ملايين السنين وتأمل دِقَّتَهُ في متابعة أمر الله عز وجل.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ تَقَمَّ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ»^(٣)، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ، فَيَنْفُخَ»^(٤).

(١) حسن: رواه ابن السني، وأبو نعيم في «الحلية»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٥/٥)، والبيهقي في «الأسماء» (٤٧٥)، وغيرهما، وانظر «الصحيح» (١٦٦٥).

(٣) صاحب القرن: أي إسرافيل عليه السلام، والقرن هو الصور.

(٤) رواه الترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن، وابن حبان في صحيحه.

كل شيء يسجد لله

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

الشمس تسجد لله تحت العرش:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟». قال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»^(١).

وفي رواية أحمد: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا».

النجم يسجد مع الشجر لربه وخالفه:

قال تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ أَي: نجوم السماء وأشجار الأرض تعرف ربها وتسجد له وتطيع وتخضع^(٢).

الشجرة تسجد لله وتدعوه:

عن أبي سعيد الخدري قال: رأيت فيما يرى النائم كأنني تحت شجرة وكأن الشجرة تقرأ سورة (ص)، فلما أتت على «السجدة» سَجَدَتْ فقالت في سجودها: «اللهم اغفر لي بها، اللهم حُط عني بها وزراً، وأحدث لي بها شكراً، وتقبلها مني كما

(١) رواه البخاري.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» ص (٨٢٩).

تقبلت من عبدك داود سجدة»، فغدوت على النبي ﷺ فأخبرته فقال: «سجدت أبا سعيد؟» قلت: لا، قال: «فأنت أحق بالسجود من الشجرة»، ثم قرأ النبي ﷺ سورة (ص)، ثم أتى السجدة وقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها^(١).

حتى الدواة والقلم يسجدان لمن أنزل القرآن (سبحانه) :

عن أبي رَئِيْلَةَ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كُتِبَتْ عَنْهُ سُورَةُ النَّجْمِ، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ سَجَدَ، وَسَجَدْنَا مَعَهُ وَسَجَدَتِ الدَّوَاةُ وَالْقَلَمُ^(٢).

تلبية الحجر والشجر والمدر مع المحرم بالحج أو العمرة :

عن سهل بن سعد رَئِيْلَةَ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ مِنْ شَجَرٍ وَحَجَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هُنَا وَهُنَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ»^(٣).

خشوع الجبال لكلام الله :

سبحان الله! هذه المخلوقات الصلبة تؤمن بالله، وتذل لعزته وتخضع، وتتواضع لعظمته وتخضع، سبحانه ما أعظمه!

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُ بِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قال ابن كثير: أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدّع من خوف الله عَزَّجَلَّ فكيف يليق بكم - أيها البشر - أن لا

(١) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه أبو يعلى والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري، وحسنه الألباني في «الصحيح» (٢٧١٠).

(٢) رواه البزار بإسناد جيد، وانظر «الصحيح» (٣٠٣٥).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وابن خزيمة في «صحيحه»، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه^(١)!

تشقق الحجارة وهبوطها وبكاؤها من خشية الله :

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا نَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: كل حجر يتفجّر منه الماء أو يتشقّق عن ماء أو يتردّى من رأس جبل، لَمِنْ خشية الله؛ نزل بذلك القرآن^(٢).

وعن ابن أبي حاتم بسنده عن يحيى بن يعقوب في قوله: ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، قال: كثرة البكاء، وقوله: ﴿يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ﴾، قال: قليل البكاء^(٣).

حُبُّ جِبَلٍ أَحَدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ :

هذه المخلوقات قاسية المعدن لكنها لينّة القلب، قوّة البناء بينما هي ناعمة المشاعر، قال النبي ﷺ عن جبل أحد: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(٤).

غضب السموات والأرض والجبال من أجل الله :

فإن السموات والأرض والجبال تغضب أن دُعي للرحمن ولدٌ، تحزن أن هؤلاء السفهاء يسبّون الله الواحد الأحد.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ

(١) «ابن كثير» (٤ / ٣٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١ / ١٠٩).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) رواه البخاري.

السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿[مريم: ٨٨-٩٢]﴾.

إلى هؤلاء الذين ادعوا أن لله ولداً، أما تخافون أن تنفطر فوق رؤوسكم
السماء أو تبتلعكم الأرض أو تنهدم عليكم الجبال؟

معاداة الشجر والحجر لليهود من أجل الله :

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ،
فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا عَبْدَ
اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلَفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْعَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» (١).

حتى أجساد الكفار تعبد الله وتطيعه :

فإن الله خالقها ومصورها سبحانه وتعالى، فإنها تدين له وحده بالولاء
والطاعة، فإذا أمرها أطاعت وإذا سخرها لأصحابها سُخِّرَتْ، وإذا سلبها هذا
التسخير سُلِبَتْ وإذا مَسَخَهَا مُسِخَتْ.

أجساد اليهود تتحول إلى أجساد قردة وخنازير :

فانظر إلى أجساد اليهود حين عصوا الله عَزَّجَلَّ واحتالوا على شرعه،
واصطادوا يوم السبت الذي حُرِّمَ عليهم الصيد فيه فأمر الله أجسادهم أن تتحول
إلى أجساد قردة فاستجابت الأجساد لأمر خالقها سبحانه. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ
عَلَّمْتُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦].

(١) رواه مسلم (٥٢٠٣).

في شرح الأسماء الحسنى

٦٠٥

الأسماء والأبصار والجلود تشهد الله على أصحابها :

وفي يوم القيامة يسلب الله سبحانه تسخير الأجساد لأصحابها فتطيع إلهها وتنطق الأسماء والأبصار والجلود وتشهد لله تعالى على أصحابها.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَجَاءُهَا شِهَدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت: ١٩-٢١].

حتى النار تعبد الله العزيز القهار سبحانه وتعالى :

فالنار وحرها ولهيبها يعبدون الله تعالى ويخضعون لقهره وسلطانه فإن أراد أن تحرق أحرق وإن أراد الله أن تصبح النار بردًا، ولهيبها نسيماً عليلاً وحرها هواءً جميلاً لأطاعت لأمره وخضعت لقهره.

فمن ذلك: حين ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال تعالى: ﴿ قُلْنَا نَارُكُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

الذئب يدعو إلى «لا إله إلا الله» :

عن أهبان بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت في غنم لي فشدَّ الذئب على شاة منها، فصحت عليه، فأقعى الذئب على ذنبه يخاطبني وقال: من لها يوم تنشغل عنها؟ تمنعني رزقاً رزقنيه الله تعالى؟ فصَفَّقْتُ بيدي وقلت: والله ما رأيت شيئاً أعجب من هذا! فقال الذئب: أعجب من هذا، هذا رسول الله بين هذه النخلات يدعو إلى الله، فأتى أهبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ فأخبره وأسلم.

الهدهد، تهتدي على يديه أمة :

الهدهد يغار على «لا إله إلا الله» وعلى توحيد الله.

فقد حزن الهدهد أن غير الله يُعبد، وتألم أن غير الله يُركع له ويُسجد، فانظر إلى همته العلية واستمع إلى لهجته الجادة القويّة وهو يحدث سليمان عليه السلام عن قول سبأ فقال: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينِ ۖ﴾ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ [النمل: ٢٢-٢٦].

حب الخلق للدعاة إلى الله :

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الثَّمَلَةَ فِي جُبْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتِ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» (١). وفي رواية أخرى: «وإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَّتَانُ فِي الْمَاءِ» (٢). النمل أمة تسبح الله :

وعن أبي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قَرَضَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَضَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ اللَّهَ» (٣).

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) رواه البخاري.

«الجميل» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

الجمال: الحُسْنُ الكثير^(١).

قال ابن سيده: الجمال: الحُسْنُ يكون في الفعل والخلق وقد جُمِلَ الرجل بالضم جمالاً فهو جميل وجَمَال، وجُمَال.

الجمال: البهاء والحسن.

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرْمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

وروده في الحديث الشريف:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢).

المعنى الشرعي لهذا الاسم الجميل:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الله جميل يحب الجمال، بل الجمال كله له، والجمال كله منه، فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه.

وقال أيضاً: ومن أسماء الله الحسنى: الجميل، ومن أحق بالجمال منه وكل جمال في الوجود فهو من آثار صنعه، فله جمال الذات، وجمال الوصف، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء؛ فأسماءه كلها حُسْنَى، وصفاته كلها كمال،

(١) «المفردات» للأصفهاني (٢٠٢).

(٢) رواه مسلم في «الإيمان» (١/ ٩٣).

وأفعاله كلها جميلة.

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكون
من بعض آثار الجميل فربها أُولَى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والأفعا ل والأسماء بالبرهان

من آثار الإيمان باسم الله الجميل سبحانه

فالله هو الجميل وله كل أنواع الجمال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماءه كلها حُسْنَى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة^(١).

- فهو الجميل في أسمائه (أسماءه كلها حُسْنَى).

فإن أسماء الله كلها حُسْنَةٌ وجمال، وخيرٌ وكمال، وقوة وجلال، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وبهذه الأسماء الجميلة يتغنى العابدون وَيُسَبِّحُ الْمُسَبِّحُونَ فهي أجمل ما يذكرون وأعظم ما يرتلون وأحسن ما ينطقون وذلك في السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

(١) «الفوائد» (٢٠٢).

جميل في ذاته سبحانه :

وأما جمال الذات لله سبحانه وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه سبحانه وتعالى ولا يعلمه غيره وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه من عباده؛ فإن هذا الجمال مصون من الأعيان^(١).

من عرف جمال الله أحبه واشتاق إليه.

قلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله، فإذا لاحظ جلاله هابه وعظمه، وإذا لاحظ جماله أحبه واشتاق إليه^(٢).

ويكفي أن النبي ﷺ مع كثرة ما يعلمه من جمال الله سبحانه وتعالى بل هو أكثر من لديه علم بهذا الجمال، ومع ذلك

قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٣).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال، وسير بنعوت العظمة والجلال^(٤).

وجهه سبحانه وتعالى جميل :

ويكفي في جماله سبحانه أنه له العزة جميعاً، والقوة جميعاً، والجلود كله

(١) «الفوائد» (٢٠٢).

(٢) «الفوائد» (٢٣٢).

(٣) رواه مسلم (٢٢٢) باب: [ما يقال في الركوع والسجود]، وهو جزء من حديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان النبي ﷺ ساجداً فقال: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ» الحديث.

(٤) «الفوائد» (٢٠٢، ٢٠٣).

والإحسان كله، والعلم كله، والفضل كله، ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النبي ﷺ في دعاء الطائف: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

نور وجهه لا تحتمله الكائنات (ويضيئ السموات والأرض).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

سبحانك اللهم ما أجملك وما أجمل وجهك الجميل!!!

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه فهو سبحانه نور السموات والأرض، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ الثُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢).

الله جميلٌ في صبره:

فإن الله يصبر على العاصي حتى يتوب، ويصبر على الشارد حتى يأوب،

(١) رواه الطبراني (١٤٧٦٤)، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣)، وقال محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لقوله ﷺ (حجابه الثور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلق): السبحات: جمع سبحة قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب: فأصله في اللغة المنع والستر والمعنى هنا المانع من رؤيته سبحانه؛ لأن النور يمنع من الرؤية في الغالب لشعاعه، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه: جميع المخلوقات؛ لأن بصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محيط بجميع الكائنات.

ويصبر على الغافل حتى يذكر، وعلى قليل الطاعة حتى يُكثر، وعلى كثير الشر حتى يُقصر، وكل هذا وهو يسمع ما يؤذيه ويراه حتى ممن كفر به ولم يقبل هداه كل وهو يرزقهم ويعافهم.

قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١).

وروي أنه ليس من ليلة إلا والبحر يُشرف فيها ثلاث مرات على الأرض يستأذن الله أن ينفضخ عليهم فيكفّه الله عز وجل ينفضخ: يفتح ويسيل.

وقد أمر الله رسوله بالصبر الجميل؛ فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

قل في الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه، ولا شكوى فيه، وألا تحدث بوجعك.

ونُسب للشافعي أنه قال:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرَجَا مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا

مَنْ صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أَدَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا^(٢)

وأمر بالهجر الجميل فقال (سبحانه): ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

وأمر بالصفح الجميل فقال (سبحانه): ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

(١) رواه البخاري (٧٣٧٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤٣٢/٨).

وقيل: الصبر الجميل : لا شكاية فيه

الصفح الجميل: لا معاتبة فيه

العفو الجميل : لا مَنَّ فيه

الهجر الجميل : لا إيذاء فيه

يُعْرِفُ اللَّهُ (سبحانه) بالجمال

وَيُعْبَدُ بالجمال

فكل ما يُعرف الله به جميل وكل ما يوصف الله به جميل وكل ما يُعبد الله به جميل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: يُعْرِفُ اللهُ سُبْحَانَهُ بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، وَيُعْبَدُ بالجمال الذي يحبه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق، فيحب من عبده أَنْ يُجَمِّلَ لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه ولباسه وتطهيره له...، ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة؛ فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه لقوله: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ»، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة، والسلوك^(١).

والله جميل في كلامه :

فكل كلام يدل على صاحبه وكل قول يشير إلى حال قائله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ

(١) «الفوائد (٢٠٧)».

نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِي نَقْشِ عُرْمَتِهِ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿[الزمر: ٢٣].

ولذلك يحب الله الأصوات الجميلة بالقرآن؛ قال النبي ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»^(١).

يتغنّى بالقرآن: أي يحسّن صوته به^(٢). وقد كان النبي ﷺ أيضاً يعجبه الصوت الحسن بالقرآن ويحب الاستماع إليه ويشني عليه

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَةِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^(٣).

زينوا القرآن بأصواتكم؛

هكذا أمرنا رسول الله ﷺ، فقال: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٤).

الله جميل في أحكامه؛

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وفي هذه الآية ثلاثة أشياء أمر الله بها جمعت الخير كله، وثلاثة نهى الله

(١) رواه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢) واللفظ له.

(٢) انظر: شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (١/ ٥٤٥).

(٣) رواه مسلم: (٩٧٣).

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (١٤٦٨) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني، وروى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» فقيل لابن أبي مليكة: يا أبا محمد: أرايت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع.

عنها جمعت الشر كله؛ قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ أَجْمَعَ آيَةَ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ النُّحْلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾»^(١).

إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ فِي مُعَامَلَتِكَ

فإن الله سبحانه يحبك قبل أن تحبه، ويرضى عنك قبل رضاك عنه، وإن ذكرته ذكرك بأحسن منه، وإن تقربت إليه شبراً تقرب إليك ذراعاً... وإن أتيتَه تمشي أتاك وهو يهرول سبحانه، وإن سألتَه أعطاك، وإن شكرته زادك وعافاك، وإن أطعته أحبك، وإن عصيته أمهلك، وإن تبت إليه قبلك. وبدل سيئاتك حسنات، ولا يتغير عليك حتى تتغير أنت عليه.

سبحانك ربي ما أجملك!!!

وإليك بعض التفصيل والبيان:

فهو يحبك قبل أن تحبه؛ قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[المائدة: ٥٤].

وهو جميل في رضاه:

قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وهو جميل في ذكره لخلقه وتقربه إليهم.

قال النبي ﷺ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ

(١) رواه ابن جرير، «تفسير الطبري» (٦٣٥ / ٧).

ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً^(١).

وفي رواية قال: «يا ابن آدم، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِي إِلَيْكَ، وَاْمْشِ إِلَيَّ أَهْرُولُ إِلَيْكَ»^(٢).

كان رسول الله ﷺ جميلًا يحب الجمال.

فقد وصف البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمال النبي ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا^(٣).

وكان له شعرٌ جميل ووجه جميل، ويرتدي من الثياب الجميل في هيئته ولونه.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله مربوعًا، بعيدًا ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه^(٤).

ويصف أبو جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمال عطره وبرودة يده ﷺ فيقول: «...فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ»^(٥).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْبَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا شَمِئْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرَفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ»^(٦).

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (٤٧٨/٣).

(٣) رواه البخاري (٣٥٤٩).

(٤) البخاري (٣٥٥١).

(٥) البخاري (٣٥٥٣).

(٦) البخاري (٣٥٦١).

وَقَالَ أَيضًا: «مَا شَمَمْتُ عَبْرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكَ، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيْبًا جَا، وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

ويصف أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لونه بالأزهر، وعرقه باللؤلؤ فيقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللَّوْلُؤُ»^(٢).

وأما جمال طبعه ﷺ فقد كان طيبًا لينًا سهلًا؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَارٍ»^(٣).

وكان النبي ﷺ يحبُّ إلى أصحابه حسن المظهر والجوهر وحسن الخلق فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهُدَى الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ الثُّبُوتِ»^(٤).

وكان جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جميلًا وسمًا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوسف هذه الأمة.

فعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ»^(٥).

(١) رواه مسلم (٢٣٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٠).

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٩)، عطار: بائع العطر.

(٤) رواه أبو داود (٤٧٧٦) واللفظ له، وأحمد (٢٩٦/١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٤٤/٤) رقم (٢٦٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٧) رقم (٧٩١).

(٥) رواه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٤٧٥)، حجبني: أي منعي الدخول عليه ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ يثني على الجمال وأصحابه بما في ذلك جمال الخلق والخلق، وإليك هذا الموقف الذي يصفه لنا جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما دخل المدينة فقال: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْخَتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي^(١)، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ^(٢)، فَقُلْتُ لِحَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، ذَكَّرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَّرَكَ أَنْفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ، إِلَّا أَنْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٍ»^(٣).

جمال الظاهر وجمال الباطن

وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضًا على عبده يوجب شكرًا؛ فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالًا على جماله، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئًا ظاهرًا صافي الدنيا قبل الآخرة فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحًا وشيئًا.

وقد قيل: الجمال بلا طيبة لا يساوي شيئًا، وجمال بلا حياء ورده بلا عطر. وقال الشاعر:

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداءٍ يرتديه جميل^(٤)

(١) العيبة: مستودع الثياب والصندوق الذي يحفظ فيه كل شيء نفيس.

(٢) التحديق: شدة النظر.

(٣) أثر من الجمال؛ لأنهم يصفون الملائكة بالجمال، وكان جرير سيدًا مطاعًا مليحًا طوالاً بديع الجمال، «عمدة القاري» (١٨٦/٢).

(٤) «معجم اللغة المعاصرة» (١/٧٧٣).

وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر؛ كما قال جرير ابن عبد الله؛ وقد كان جريراً جميلاً جداً، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسميه يوسف هذه الأمة، قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ قَدْ حَسَنَ اللَّهُ خَلْقَكَ فَأَحْسَن خَلْقَكَ»^(١).

وقال بعض الحكماء: ينبغي للعبد أن ينظر في المرأة فإن رأى صورته حسنة لم يشنها بقبيح فعله، (أي لا يفسد جمالاً بقبيح الفعل)، وإن رآها قبيحة لم يجمع بين قبح الصورة وقبح الفعل.

ولما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس، معظماً في القلوب لم يبعث الله نبياً إلا جميل الصورة، حسن الوجه، كريم الحسب، حسن الصوت، هكذا قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان النبي ﷺ أجمل خلق الله، وأحسنهم وجهاً كما قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يصف جمال النبي ﷺ أنه كان كالقمر.

فَسُئِلَ: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف (أي يلمع مثل السيف)؟
قال: لا بل مثل القمر^(٢).

فشبه وجه النبي ﷺ كالقمر في جماله ونوره واستدارته، بل وجاء في صحيح مسلم «بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ»^(٣).

(١) «مكارم الأخلاق» للخرائطي (٧) باب: [الحث على الأخلاق الصالحة].

(٢) البخاري (٣٥٥٢)، باب: [صفة النبي ﷺ].

(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

وفي صفته ﷺ: «كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ»^(١). ويقول واصفه: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال ربيعة الجرشي: قُسِّمَ الحسنُ نصفين فأخذ يوسف شطره، وقد وصف النبي ﷺ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما رآه في الإسراء والمعراج بقوله: «فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ»^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يستحب أن يكون الرسول الذي يُرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم، وكان يقول: «إِذَا أَبْرَدْتُكُمْ إِلَيَّ بَرِيدًا فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَسْمِ»^(٣). وقال أيضاً: «مَنْ أَتَاهُ اللَّهُ وَجْهًا حَسَنًا وَاسْمًا حَسَنًا وَجَعَلَهُ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ شَائِنٍ فَهُوَ مِنْ صَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ»^(٤).

وقال وهب: قال داود: يا رب أيَّ عبادك أحبُّ إليك؟

قال: مؤمن حسن الصورة.

قال: فأَيَّ عبادك أبغض إليك؟

قال: كافرٌ قبيح الصورة.

ويذكر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْتَظِرُهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى الْبَابِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ فِي الْمَاءِ وَيَسْوِي شَعْرَهُ وَلِحْيَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ. فقلت يا رسول الله (١) رواه أحمد والترمذي، وابن حبان عن أبي هريرة، وهو صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل».

(٢) رواه مسلم (٢٥٩).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٤٣٨٣)، والبحر الزخار، ابن أبي شيبة (٣٣٠٠٨).

(٤) «المعجم الصغير» للطبراني (٦٣٥)، و«شعب الإيمان» (٣٢٦٥)، وفي إسناده ضعف (الخراطمي).

الله! وأنت تفعل هذا؟ قال: «نعم، إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَلْيَهَيِّئْ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(١).

كن جميلاً

كل طاعة لله ورسوله فهي اقتراب من جمال الهل وجلاله ومن اقتراب من هذا الجمال جملة الله وزينه كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنْ لِلطَّاعَةِ لِنُورٌ فِي الْقَلْبِ وَلِضِيَاءٌ فِي الْوَجْهِ وَصِحَّةٌ فِي الْبَدَنِ، وَسَعَةٌ فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةٌ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنْ هَاهُنَا طَاعَاتٌ تَجْمَلُ صَاحِبُهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَمِنْهَا:

١- الإسلام:

فإن الإسلام تحول من الكفر بكآبته وسوء عقائده وفساد أعماله مما يورث الكفار ظلمة القلب وسواد الوده ولو كان أبيضاً فإذا أسلم أشرق قلبه بالإيمان بالله وحده فيضيئ وجهه بعلامات الإيمان، ومن ذلك ما حدث لأسيد بن الحضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أسلم فقال مصعب بن عمير، وأسعد بن زرارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والله لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم في إشراقه، وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله»^(٢).

٢- الإيمان:

فإن للإيمان زينة وجمال يشعر بها المؤمن في قلبه، وتُلحظ على وجهه وجسده فمنها ما يشعر بها المؤمن من جمال الإيمان وراحة اليقين ولذة الرضا

(١) رواه الخرائطي في «اعتدال القلوب» (٣٥٢) باب: [ذكر فضيلة الجمال]، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧٣) ما يفعل من لم تكن له مرآة.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤٣٦/١) ت السقا.

وهذه زينة وجمال في القلب تجعله يحب الإيمان ويكره الكفران.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وكان النبي ﷺ يحب جمال الإيمان وزينته فيسأل الله أن يكرمه بها هو وأُمَّته ويقول: «اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ»^(١).

الصلاة:

فالصلاة صفة المؤمنين وسمت الصالحين حتى امتلأت قلوبهم بالخشوع وأجسادهم بالخضوع وأعينهم بالدموع فظهر ذلك على أحوالهم وعُرفت بالسجود وجوهرهم.

كسأهم الله من نور الصلاة، قال النبي ﷺ: «الصلاة نور»^(٢).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿سَيِّمَاهُمُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

يعني السمت الحسن، قال مجاهد: الخشوع والتواضع، وقال السدي: الصلاة تحسن الوجوه.

(١) رواه النسائي في «سننه» (١٣٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا الدعاء العظيم وهو: «اللَّهُمَّ بَعِّلْكَ الْغَيْبَ، وَقُدِّرْكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبِبْنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ حَرٍّ أَوْ مُضَرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْتَدِينَ».

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) باب: [فضل الوضوء].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ»^(١).

وُسئِلَ الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما بال المتهجدين (المصلين بالليل) من أحسن الناس وجوهاً؟

قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره^(٢).

العلم والدعوة إلى الله سبحانه

فإن الدعوة إلى الله سبحانه تُعَلِّمُ الداعي الإخلاص، والرفق بالناس، مما يروثه جمال الأخلاق ودمت الطباع، ومعايشته للوحي من القرآن، السنة تكسوه نبلاً في هديه وسمته، ونوراً أعلى وجهه وحلاوة في منطقه وهذا ما دعا به رسول الله ﷺ للعلماء والدعاة وطلاب العلم فقال: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِهِ»^(٣).

قال الخطابي: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا»^(٤) دعاء له بالنظارة وهي النعمة، ونَصَرَ من النضارة: وهي في الأصل حُسْنُ الوجه والبريق وأراد حسن قدره، والمراد: ألبسه الله النضرة وهي الحُسْنُ وخلوص اللون.

وقيل: جمّله وزينه وأوصله الله إلى نضرة الجنة أي نعيمها ونضارتها.

(١) «سنن ابن ماجه» (١٣٣٣)، وانظر: «تفسير ابن كثير».

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٥٥) باب: [فضيلة قيام الليل].

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٤) شرح محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجه (١/ ٨٤).

قال ابن عيينة: ما من أحدٍ يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة لهذا الحديث،
أي أصابته دعوة رسول الله ﷺ بالحسن والجمال.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في
تخشعه ولسانه وبصره ويده ^(١).

قال ابن الجوزي: قد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى
سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته ^(٢).

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ دَلًّا وَسَمْتًا وَهَدِيًّا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ،
لَا بَنُ أُمِّ عَبْدٍ» ^(٣)، أي عبد الله بن مسعود.

وقال الميموني رَحِمَهُ اللهُ: ما رأيت أحداً أنظف ثوباً، ولا أشد تعاهداً لنفسه
في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوباً وأشد بياناً من أحمد بن حنبل ^(٤).

* * *

(١) «شعب الإيمان» (٨/ ٤٢٧)، والآداب الشرعية (٢/ ٤٥)، وانظر: «نضرة النعيم» (٥/ ١٥٩٣).

(٢) «صيد الخاطر» (١٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٧).

(٤) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٢)، وانظر: «نضرة النعيم» (٥/ ١٥٩٤).

«الشافي»

جل جلاله وتقدسست أسماؤه

المعنى اللغوي:

(الشفاء): البرء من المرض، يقال: شفاه الله يُشفيه شفَاءً، والشفاء أيضًا: ما يبرئ من المرض بإذن الله يقال: أشفاه الله عسلاً، إذا جعله له شفَاءً حكاه أبو عبيدة، واستشفى: طلب الشفاء، ونال الشفاء أيضًا^(١).

الدليل ورد في الحديث الشريف:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت عن رسول الله ﷺ: كان إذا أتى مريضاً أو أُتِيَ به إليه، قال ﷺ: «أذهب البأس ربَّ النَّاسِ، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفَاءً لا يُغادر سقماً»^(٢).

المعنى الشرعي للاسم في حق الله:

قال الحلبي: قد يجوز أن يقال في الدعاء: يا شافي؛ لأن الله عَزَّجَلَّ يشفي الصدور عن الشبه والشكوك، ومن الحسد والغلول والأبدان من الأمراض والآفات، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أولاً- لا شافي إلا الله:

فإن الشفاء من الأمراض لا يحدث بالطبيب وخبرته، أو بالدواء وقوته،

(١) «اللسان» (٤/ ٢٢٩٤-٢٢٩٥) من كتاب «النهج الأسمى» (٣/ ٢١).

(٢) رواه البخاري في «المدخل» (١٠/ ١٣١-٢٠٦-٢١٠) ومسلم في «السلام» (٤/ ١٧٢٢).

وإنما يحدث بإذن الله وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»^(١).

وإلى هذا أشار جبريل عليه السلام للنبي ﷺ حين عادته في مرضه، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يا محمد، اشتكيت؟ قال: «نعم»، قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسدٍ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك»^(٢).

فجبريل هو خير الأطباء من الخلق؛ لأنه يعالج بالوحي والمريض هو خير الناس وأطيبهم بدنًا ونفسًا وهو رسول الله ﷺ والدواء هو خير الدواء؛ لأنه رقية «بسم الله الشافي»، ومع ذلك فإن جبريل عليه السلام يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ويقول: «الله يشفيك» أي أن الرقية مني ولكن الشفاء كله من الله وحده. وكذلك ما أكرم الله به نبيه عيسى من شفاء المرضى وإبراء الأعمى فيُبصر والأبرص فيُشفى وحتى إحياء الموتى، ولكن هذا كله بإذن الله، وهذا ما قاله نبي الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأُزَيِّتُ الْأَكْمَمَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وفي قصة أصحاب الأخدود عندما جاء جليس الملك وقد عمي إلى الغلام المؤمن بهدايا وقال له: «ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى»^(٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

ولذلك من الخطأ العظيم وفساد الإيمان أن يقول الرجل: لولا الطبيب فلان لما شُفيت، ولولا الدواء كذا ما عُفيت، فإن الأسباب لا تعمل وحدها ولكنها تعمل بإذن الله وتقديره؛ لأنه خالقها ومقدرها، فما نزل المرض إلا بإذن الله، وما نزل الدواء والشفاء إلا بإذن الله، كما قال النبي ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»^(١). وقال أيضاً: «لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دواءُ الداءِ برأ بإذن الله عز وجل»^(٢)، فكم من مريض عوفي بإذن الله بعدما عجز الأطباء أمام مرضه، وكم من طبيب أصيب بالمرض الذي كان يُداوي منه الناس، وكان فيه هلاكه، ولم يجد من يداويه، ولله درُّ القائل:

قُلْ للمريض عُوْفِي بعدما عَجَزْتُ فنونُ الطب من عافاك
قُلْ للصَّحيح يَمُوتُ لا من عِلَّةٍ مَنَ بالمنايا يا صحيحُ دهاك
قُلْ للطبيبِ تَخَفْتَهُ يَدُ الرَّدَى يا شافي الأسقام من أرداك

ثانياً- المرض جندي من جنود الله:

فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خلق الخلق صالحين لعبادته، صحح أبدانهم للقيام بذلك وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة لعلهم يشكرون، فإن أطاعوه زادهم، وإن عصوه عاقبهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومما جعله الله سبباً للثواب والعقاب أيضاً هو المرض، فقد يكون المرض سبباً للمغفرة، بل ودخول الجنة، وقد يكون عقوبة وانتقاماً لمن عصى الله عَزَّجَلَّ في الدنيا قبل الآخرة.

(١) رواه مسلم في «السلام» (١٠/١٣٤) من حديث أبي الزبير عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم في «السلام» (٤/١٧٢٩) من حديث جابر أ.

ثالثاً- المرض رحمة من الله بالمؤمنين:

فإن الله يرحم به عباده المؤمنين فيغفر لهم به الخطيئات، ويرفع به الدرجات، ويسكنهم الجنات، فمن ذلك.

١- مغفرة الذنوب:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ما يصيبُ المسلمَ من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزنٍ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها، إلا كَفَّرَ الله بها من خطاياها»^(١). و(الوصب): المرض.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله! إنك توعك وعكاً شديداً. قال: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلانٍ منكم»، قلتُ: ذلك أن لك أجريْن؟ قال: «أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكةً فما فوقها إلا كَفَّرَ الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»^(٢).

٢- النجاة من النار:

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به، فقال له رسول الله ﷺ: «أبشر، إن الله عَزَّجَلَّ يقول: ناري أسلَّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حَظَه من النار في الآخرة»^(٣).

٣- المريض يظفر بمعية الله:

عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عَزَّجَلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١/٥٦٤٢)، ومسلم [٢٥٧٣].

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨/٥٦٦٠)، ومسلم [٢٥٧١]، والوعك: ألم من مغث الحمى، وقيل: الحمى.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٢/٤٤٠)، والترمذي [٢٠٨٨].

آدم، مَرِضْتُ فلم تَعُدَّنِي، قال: يا رَبِّ، كيف أعودُكَ؟ وأنت رب العالمين! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدَّتَه لوجدتني عنده؟^(١).

٤- دخول الجنة :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزَّ وجلَّ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة»^(٢). (حبيبتيه): عينيه.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أُصرِّعُ وإني أتكشِّفُ^(٣) فادع الله تعالى لي، قال: «إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيك»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادعُ الله أن لا أتكشف، فدعا لها^(٤).

٥- والجنة في عيادة المرضى :

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»^(٥).

(١) صحيح: أخرجه مسلم «البر والصلة» (٤/٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥١٧].

(٢) رواه البخاري (١٠/٥٦٥٣)، والبيهقي (٣/٣٧٥).

(٣) أي: ينكشف بعض بدني من الصرع.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. و غدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، العشية: آخر النهار، الخريف: الثمر المخروف: أي: المجتنى.

٦- ومن المرضى من له أجر الشهداء :

عن أنس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الطاعون شهادة لكل مسلم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المبطون، والمطعون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»^(٢).

(المبطون) الذي يموت بداء البطن، و(المطعون): الذي يموت بالطاعون، و(صاحب الهدم): الذي يموت تحت الهدم.

وعن جابر بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد»^(٣).

ثالثاً- المرض عذاب لمن عصى الله ورسوله:

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ، يعاقب من عصاه، ومن هذه العقوبات الأمراض. قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الْفَلَاحُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [١٢٣: ٦]، فكل سوء عملناه جزينا به فقال النبي ﷺ: «عَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَلَسْتَ تَمْرُضُ أَلَسْتَ تَحْزَنُ أَلَسْتَ تَنْصَبُ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ الْأَوَاءُ»، قال: بلى، قال: «فهو مما تجزون به»^(٤).

(١) متفق عليه، رواه البخاري [٢٨٣٠]، ومسلم [١٩١٦].

(٢) رواه مالك (١/ ١٣١)، والبخاري [٦٥٣]، ومسلم [١٩١٤]، والترمذي [١٠٦٣].

(٣) رواه أبو داود [٣١١]، والنسائي (٤/ ١٣) وابن ماجه [٢٨٠٣] وابن حبان [٣١٨٠] «ذات الجنب» هي الدمل الكبير التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل، قلما يسلم صاحبها، «والمرأة تموت بجمع» أي: تكون حاملاً.

(٤) رواه أحمد.

وقد ذكر في بعض الأدلة من شرع الله تعالى عدة أسباب للعقوبة بالأعراض منها:

١ - ظهور الفحشاء:

عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ»^(١) فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْأَوْجَاعُ»^(٢) الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمَكْيَالَ...»^(٣).

٢ - دعوة المظلوم:

فَمَنْ أَعْظَمَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُصِيبُ بِالْمَرَضِ أَنْ يَدْعُوَ الْمَظْلُومَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ بِأَنْ يُبْتَلَى بِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٤)، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ امْرَأَةً ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حَفْرَةٍ فَمَاتَتْ»^(٥).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: أَنَّهَا رَأَتْ عَمِيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجِدْرَ تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ وَأَنَّهَا مَرَّتْ عَلَى بئرٍ فِي الدَّارِ الَّتِي خَاصَمْتَهُ فِيهَا فَوَقَعَتْ فِيهَا وَكَانَتْ قَبْرِهَا. وَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْ بَعْضِ الْكَافِرِينَ وَالْعَصَاةِ بِالْأَمْوَاضِ، وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ:

(١) الفاحشة: الزنى.

(٢) الأوجاع: الأمراض.

(٣) رواه ابن ماجه، والبيهقي، واللفظ له.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

١- أبو لهب لعنه الله:

وهو الذي نزلت فيه سورة المسد: أخذ الله جَلَّالَهُ أبا لهب بمكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له مرض العدسة، وكان ذلك يوم هزيمة المشركين ببدر، فما أن بلغه خبر هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العدسة، فمات شرمية، حتى إنهم لم يقدروا على تغسيله، فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي نضج وتهرى^(١) بصورة لم يعرف لها نظير^(٢) في طريقه إلى جهنم وبئس المصير.

٢- الأسود بن عبد يغوث:

كان من المستهزئين، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى، وكان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً به: أما كُلمت اليوم من السماء يا محمد؟! خرج عدو الله من أهله يوماً، فأصابه السموم فاسودَّ وجهه، وأصابته الأكلة (مرض) فامتلاً جسمه قيحاً فمات شرمية، فلا رحمه الله، ولا خفف عنه يوماً عذابه^(٣).

٣- غلام أحمد القادياني:

وقد ادَّعى النبوة وقذف الأنبياء وسبهم وتناول عليهم، بل ورفع نفسه فوق منزلتهم وكذب على الله ورسله، فكان جزاؤه من جنس عمله، وأصيب (بالكوليرا) حتى ضعف جسمه، وكان يقضي حاجته في فراشه، حتى خرجت

(١) انسلخ وتساقط.

(٢) انظر: كتاب «هذا الحبيب محمد» لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري (ص: ١١٤).

(٣) «المصدر السابق» (ص: ١١٥-١١٦).

النجاسة من فمه، فقد قال أبو زوجته: «ولما اشتد مرضه أيقظوني فذهبت إليه ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا ثم لم ينطق بعد هذه الكلمة حتى مات»^(١).

هذا، وقد نشرت الجرائد الهندية آنذاك: أن غلام أحمد المتنبى القادياني لما ابتلي بالكوليرا كانت النجاسة تخرج من فمه قبل موته ومات وكان جالساً في بيت الخلاء لقضاء الحاجة.

٤- ومن أهل جهنم من يُعذب بالمرض:

فمن ذلك أنهم يحشرون وقد فقدوا أبصارهم وأسماعهم فيأتون يوم القيامة أصاب عيونهم العمى وألستهم البكم وأذانهم الصم. قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

ومن ذلك أيضاً عقوبة النائحة بالجرب. فعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «النائحة إذا لم تُتَّب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»^(٢).

(السربال): هو القميص، والدرع: هو ما يرتديه المقاتلون في الحرب وهي من الحديد.

(١) «حياة ناصر» لرحيم الغلام القادياني (ص: ١٤) من كتاب «الجزاء من جنس العمل» (١/ ٣٠٦).

(٢) رواه مسلم.

رابعاً- تداووا يا عباد الله:

فإن الله هو الشافي، وقد جعل الشفاء في أسباب أنزلها وأمر النبي ﷺ بالتداوي بها وبغيرها من أسباب الشفاء المشروعة:

عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «نعم يا عباد الله تداووا؛ فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، غير داءٍ واحدٍ» قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم»^(١).

والأخذ بالأسباب في التداوي من الأمراض بأسباب الشفاء لا يُنافي التوكل، بل هو من حسن التوكل على الله ومن كمال التوحيد؛ إذ أنه يأخذ بالأسباب وهو يعلم أنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله ولا ترد شيئاً من قدر الله.

فعن أبي خزيمة قال: قلت: يا رسول الله! رأيت رقية نسترقها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله»^(٢).

خامساً- لا تتداووا بمحرم:

فقد روي عن أبي الدرداء مرفوعاً: «إن الله خلق الداء والدواء فتداووا، ولا تتداووا بحرام»^(٣).

(١) رواه أحمد في «المسند» وأخرجه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٢) في «المسند»، وأخرجه الترمذي (٥/٥٨٤)، وأخرجه ابن ماجه، والحاكم في «صحيحه»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) انظر: «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني حديث رقم [١٦٣٣].

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها انتبذت فجاء رسول الله ﷺ والنبيذ يهدر، فقال: «ما هذا؟» قالت: فلانة اشتكت فوصف لها، قالت: فدفعه برجله فكسره وقال: «إن الله لم يجعل في حرام شفاء»^(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»^(٢). وأتى رجل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إن أخي مريض اشتكى بطنه وإنه نعت له الخمر أفأسقيه؟ قال عبد الله: سبحان الله! ما جعل الله شفاءً في رجس، إنما الشفاء في شيئين: العسل شفاء للناس، والقرآن شفاء لما في الصدور^(٣).

ليس كمثله شيء في الشفاء

أولاً- قدرة الله على الشفاء :

فكل من شُفي على يدي طبيب أو غيره، إنما يُشفى بسببِ تناول الدواء ونحوه، ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي أنه يُداوي مريضاً بغير سبب، أمّا الله ﷻ فإنه يشفي بقدرته وحده، بالسبب وبدون السبب، وضد السبب، إن شاء، فصفة الشفاء عند الله من صفات أفعاله وغير مسببة.

(١) أخرجه أحمد في «الأشربة» (ق: ١٩/١)، وابن أبي الدنيا في «ذم السكر» (١/٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/١٦٥٨)، وعنه ابن حبان [١٣٩٧] من طرق عن أبي إسحاق الشيباني عن حسان بن مخارق عنها، وقال الشيخ الألباني: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون، غير حسان بن مخارق فهو مستور لم يوثقه أحد غير ابن حبان «الصحيحة» (٤/١٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (ق: ١٦/٢-١) والطبراني في «الكبير» (٩٧١٤/٩٧١٧) عن ابن مسعود موقوفاً، قال الألباني: إسناده صحيح، وعلقه البخاري بصيغة الجزم «الفتح» (١٠/٦٥)، وصححه الحافظ ابن حجر «السلسلة الصحيحة» (٤/١٧٥).

(٣) أخرجه الطبراني [٨٩١٠] عن أبي الأحوص، وقال الألباني: إسناده صحيح أيضاً، انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/١٧٦).

ثانيًا - عِلْمُ اللَّهِ للداء والدواء:

كلما كان الطبيب أكثر علمًا بفنون الطب كلما كان أكثر خبرة بالمرض وعلمته، وكذلك دوائه وعلاجه، فقد يعلم طبيبٌ أكثر من غيره في ذلك، ويُفضل عليه، ولكن ذلك أمر نسبيٍّ في الخلق، فقد يعلم شيئًا ويجهل أشياء، وإذا علمها قد لا يحيط بكل جوانبها، وقد يعرف المرض ولا يعرف له علاجًا، وإذا علم الدواء لا يملك الشفاء لأحد.

أما الله عَزَّجَلَّ فإنه يعلم الداء والدواء جملة وتفصيلاً؛ إذ هو خالق البدن ومدبر أمره، وخالق الداء وقادر على دفع ضره.

وقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿ [الشعراء: ٧٨-٨٠].

ثالثًا - الآثار الجانبية والمضاعفات:

فمن يداوي أو يصف دواءً لمرضى فإنه يغلب على ظنه أن الشفاء في هذا الدواء، ولكنه لا يملك للمريض أن لا تظهر عليه أعراض جانبية لهذا الدواء، وكذلك مضاعفات الدواء، فقد تكون في بعض الأحوال أشد خطورة من المرض نفسه، وهذا معلوم مشهور بين الناس، حتى أن صانعي الدواء أنفسهم يذكرون ذلك في نشرة الأدوية.

أما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وحده هو القادر على أن يشفي شفاءً تامًّا كاملاً لا يترك خلفه مرضًا ولا توجد له آثار، وذلك قول النبي ﷺ: «اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يَغَادِرُ سَقَمًا»^(١).

(١) رواه البخاري في «المرض» (١٠/١٣١-٢٠٦-٢١٠)، ومسلم في «السلام» (٤/١٧٢٢).

قد يكون الشفاء من الابتلاء:

قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فإن الشفاء من نعم الله على عبده،
فإما أن يشكر، وإما أن يكفر.

عن أبي رَضا الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ ويذهب عني الذي قد قذرتني الناس فمسحه فذهب عنه قذره وأعطني لوناً حسناً فقال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل -أو قال: البقر شك الراوي- فأعطني ناقهً عُشراء فقال: بارك الله لك فيها، فأني الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرتني الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطني شعراً حسناً، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطني بقرةً حاملاً قال: بارك الله لك فيها، فأني الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله عليّ بصري فأبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطني شاةً والدًا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ففقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأني الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما رد هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأني الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في

سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل، فقال: أَمْسِكْ مَالِكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخَطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»^(١).

رابعاً - من أسباب الشفاء :

١- القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى عن القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال ابن القيم رحمه الله: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية^(٢) القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدوية كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها^(٣).

٢- الرقى بالقرآن والمعوذات :

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث^(٤) على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهنّ وأمسح بيده نفسه لبركتها^(٥).

(١) متفق عليه.

(٢) الأدوية: الأمراض.

(٣) انظر: «الطب النبوي» لابن القيم [٢٧٢].

(٤) النفث: هو النفخ مع الريق القليل، انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصبهاني [٨١٦].

(٥) رواه البخاري في كتاب «الطب» باب الرقى بالقرآن والمعوذات (١٠ / ١٩٥) رقم الحديث [٥٧٣٥].

وسئل الزهري: كيف ينفث؟ قال: كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.
وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أمرني النبي ﷺ أو أمر أن يُسترقى من العين^(١).
وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا»^(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان لشيء منه كان به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا، ووضع سفيان وهو أحد رواة الحديث سبابته في الأرض ثم رفعها: «باسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا»^(٣).

٣- العسل:

قال تعالى عن العسل: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].
عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنها أمتي عن الكي»^(٤).

٤- الحبة السوداء:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام»، قلت: وما السام؟ قال: «الموت»^(٥).

(١) رواه البخاري في كتاب «الطب» باب رقية العين.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه، ورواه مسلم باب استحباب الرقية من العين. والحمة والنظرة (١٤/ ١٨٤).

(٤) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الشفاء في ثلاث) (١٠/ ١٣٧) حديث رقم [٥٦٨١].

(٥) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الحبة السوداء) (١٠/ ١٤٣) حديث رقم [٥٦٨٧].

٥- القسط الهندي البحري والحجامة :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَثْمَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِي»^(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ تَسِيلُ مَنْخَرَاهُ دَمًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: بِهِ الْعَذْرَةُ^(٢)، أَوْ وَجَعَ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكُنَّ، لَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ، أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَ وَلَدُهَا عَذْرَةٌ أَوْ وَجَعَ فِي رَأْسِهِ فَلْتَأْخُذْ قُسْطًا هِنْدِيًّا فَتَحْكُمَهُ بِمَاءٍ ثُمَّ تَسْعُطُهُ»^(٣) «إِيَّاهُ»، فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَصَنَعَ ذَلِكَ بِالصَّبِيِّ فَبُرَأَ^(٤).

٦- ألبان الإبل والبقر :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا كَانَ بِهِمْ سَقَمٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! آوْنَا وَأَطْعَمْنَا، فَلَمَّا صَحُّوا قَالُوا: إِنَّ الْمَدِينَةَ وَخْمَةٌ، فَأَنْزَلَهُمُ الْحَرَّةَ فِي ذُودِ لَهُ، فَقَالَ: «اشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا»^(٥).

وعن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَمْ يَنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ؛ فَعَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا تَرْمِي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ»^(٦).

(١) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الحجامة من الداء) (١٥٠ / ١٠) حديث رقم [٥٦٩٦]، والقسط الهندي: نبات يباع عند أطباء الأعشاب أو العطارين وهو معروف عندهم والجار منه أفضل من البارد.

(٢) العذرة: قيل هي قرحة تخرج فيما بين الأذن والحلق وتعرض للصبيان غالبًا.

(٣) السعوط: ما يصب في الأنف، انظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص: ٧٤-٧٥).

(٤) أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلى، والبراز.

(٥) الذود: القطيع من الإبل، والحديث رواه البخاري.

(٦) أخرجه الطيالسي [٣٦٦] والنسائي في «الكبرى» [٦٨٦٣]، وابن حبان [٦٠٧٥]، والحاكم (٤/ ١٩٦-١٩٧)، من حديث ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانظر: «الصحيحة» [٥١٨].

٧- الماء :

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الْحُمَّى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء»^(١).
وكان شفاء نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَام في الماء.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ أَرْكُضْ بَرِّحْلَكَ ۖ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝﴾ [ص: ٤١-٤٢].

قال ابن كثير: قيل: بَنَصَبٍ في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله، ففعل فأنبع الله تعالى له عيناً وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً، ولهذا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَرْكُضْ بَرِّحْلَكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝﴾ [ص: ٤٢]^(٢).

٨- ماء زمزم :

ثبت في (الصحيحين) أن رسول الله ﷺ شرب من ماء زمزم، وأنه قال: «إنها مباركة، وهي طعام طعم وشفاء سقم»^(٣)، وقد غسل جبريل صدر النبي ﷺ بماء زمزم.

(١) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الحمى من فيح جهنم) (١٠/ ١٧٤) حديث رقم [٥٧٢٣].

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطيالسي [٤٥٩]، وأحمد (٥/ ١٧٤-١٧٥) ومسلم [٢٤٧٣] وغيرهم من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قصة إسلامه، وليس عند مسلم قوله: (وشفاء سقم).

٩- الصدقة :

عن أبي أمانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»^(١).

دعاء الله باسمه (الشافى) تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

وقد جاء في ذلك :

١- الدعاء للمرضى: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَأْسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سَقَمًا»^(٢).

٢- دعاء الأخ لأخيه: وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا»^(٣).

٣- دعاء للعافية: وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ: إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»^(٤).

٤- دعاء ينجي من النار: عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ،

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب عن أبي أمانة وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٣٥٣].

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود، والترمذي، وقال، حديث حسن، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري.

وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي،
وكان يقول: «من قالها في مرضه ثم مات لم تَطعمه النار»^(١).

* * *

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٤٣٠/٥).

«الرفيق» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الرفق: ضد العنف، يرفق رفقاً: لطف. قال الليث: الرفق لين الجانب ولطافة الفعل.

ووروده في الحديث الشريف:

عن عائشة زوج النبي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١).

المعنى في حق الله سبحانه:

قال القرطبي: فهو الرفيق: أي الكثير الرفق، أي عظيم اللين والتسهيل، وضده العنف والتشديد، وقد يجيء الرفق أيضاً بمعنى: التمهّل في الأمور والتأني فيها وعلى هذا يكون «الرفيق» في حق الله تعالى بمعنى (الحليم) فإنه لا يعجل بعقوبة العصاة ليتوب من سبقت له العناية ويزداد الظالم طغياناً وظلماً.

وقال الخطابي: قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ» معناه: ليس بعجول وإنما يعجل من يخاف الفوت (أي يفوته شيء) فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها.

قال ابن القيم:

وهو الرفيقُ يحبُّ أهلَ الرفقِ يعطيهم بالرفق فوق أمانٍ

(١) رواه مسلم في «البر» (٤/٢٠٠٣-٢٠٠٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن الرفيق اسمٌ من أسماء الله تعالى، وأن الرفق صفة من صفاته سبحانه ويظهر رفقته بخلقه في كل شيء؛ ومن ذلك:

١- رفق بهم في الشرع والأحكام:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد شرع الله لنبيه من الدين أيسره وقد أمر رسول الله ﷺ بذلك صاحبيه أبا موسى، ومعاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُتَفَّرَا»^(١).

٢- رفق الله بالعصاة والمذنبين:

وهذا أظهر ما يكون عند الله سبحانه إذ لا يعجل بعقوبة العصاة ويؤاخذهم بما كسبوا. حتى لو عاقبهم فلا يعاقبهم على كل فعالهم قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

ويدعوهم إلى التوبة ليلاً ونهاراً: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ».

٣- إن الله رفيق يحب الرفق ويعلمه خلقه:

فمن ذلك أن الله سبحانه جعل ثواباً للرفق لم يجعله لغيره قال النبي ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي

(١) رواه البخاري.

على ما سِوَاهُ»^(١).

ويحب الرفق في الأمر كله:

فإن الرفق يزين الأخلاق ويجمل الخصال والأفعال، فهو زينة في نفسه ولغيره وإذا نُزِعَ من شيء قَبَحَهُ وشَوَّهَهُ.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

الرفق حتى مع الأعداء:

فإن الرفق خيرٌ كله حتى مع الأعداء فإنه يعمل في النفوس أثر السحر، فإن رفقت بعدوك أعطيته فرصة كي يتكشَّفَ له خطؤه، وتظهر له حماقاته، ويعرف حُسن أخلاقك أما العنف فإنه يطمس البصائر ويجعل الإنسان جائراً.

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿[فصلت: ٣٤، ٣٥].

وانظر إلى صاحب الخلق العظيم ﷺ وهو يدفع بالتي هي أحسن ويرفق في معاملته مع من؟ مع أغلظ الناس قلوباً وأكذبهم لساناً وأجورهم حكماً وأفسدهم في الأرض (إنهم اليهود).

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا؛ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!

(١) رواه مسلم في «البر» (٤/٢٠٠٣-٢٠٠٤).

(٢) رواه مسلم في «البر» (٤/٢٠٠٤).

أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»^(١).

وقالت اليهود: السام عليكم، أي: الموت والهلاك عليكم بدلاً من قولهم السلام عليهم.

- من حُرِّمَ الرفق حُرِّمَ الخير:

فإن الرفق يضيء للإنسان عقله، ويُصفِّي روحه وينور بصيرته، ومن يُحرِّم ذلك فأبى خير فيه بعد ذلك؟.

عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ»^(٢).

قال القرطبي: فينبغي لكل مسلم أن يكون رفيقاً في أموره وجميع أحواله، غير عجلٍ فيها؛ فإن العجلة من الشيطان.

وقال رسول الله ﷺ: «لَأَشَجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ: إِنْ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ؛ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٠٣).

(٣) رواه مسلم في «الإيمان» (١/٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«القبض - البسط» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

القبض: تناول الشيء بجميع الكف، نحو: قبض السيف، وغيره.

فقبض اليد على الشيء: جمعها بعد تناوله.

وقبض اليد عن الشيء: جمعها قبل تناوله، وذلك إمساك عنه

ومنه قيل في إمساك اليد عن البذل: قبض.

قال تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: يمتنعون من الإنفاق.

بسط الشيء: نشره وتوسيعه.

بسط الثوب: نشره، ومنه البساط.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٧]، أي: لو وسَّعه.

وقال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، أي: سعة.

ويذكر البسط في: البذل والإعطاء؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾

[المائدة: ٦٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أي: يسلب تارة، ويعطي

تارة.

أو يسلب قومًا ويعطي قومًا.

أو يجمع مرة، ويفرق مرة.

أو يُميت ويُحيي^(١).

ورودهافي الحديث الشريف:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، لو سَعَرْتَ، فقال: «إن الله هو الخالق القَابِضُ البَاسِطُ الرزاق المسعّر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحدٌ بمظلمة ظلمتها إِيَّاه في دِمٍ ولا مالٍ»^(٢).

معنى الاسمين في حق الله سبحانه:

قال قوام السنة الأصبهاني: ومن أسماء الله تعالى «القَابِضُ»، «البَاسِطُ»، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ومعناه: يوسع الرزق ويقتّر، يبسطه بجوده، ويقبضه بعدله على النظر لعبده.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]^(٣).

قال السعدي: «القَابِضُ البَاسِطُ» يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الأرزاق والقلوب، وذلك تبعٌ لحكمته ورحمته^(٤).

قال الزجاجي: في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ﴾: «فقالوا: تأويله يقتّر على

(١) الراغب الأصفهاني (١٢٢ - ١٢٣، ٦٥٢) في «مفردات القرآن».

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٦، ٢٨٦)، وأبو داود في «البيوع» (٣٤٥١)، والترمذي في «البيوع» أيضاً (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، والدارمي (٢/ ٢٤٩)، وابن حبان (١١/ ٤٩٣٥)، وابن جرير (٢/ ٣٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٨٥)، وفي «السنن» (٦/ ٢٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت وقتادة وحديد عن أنس مرفوعاً به.

ورجاله ثقات رجال الشيخين، سوى حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٤٠).

(٤) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠٣).

من يشاء ويوسع على من يشاء على حسب ما يرى من المصلحة لعباده، فالبعض
ها هنا: التقدير والتضييق، والبسط: التوسعة في الرزق والإكثار منه». ^(١)
فمن قبض رزقه فقد ضيَّق عليه، ومن بسط رزقه فقد فسح له فيه ووسع
عليه ^(٢).

وقال: (البَاسِطُ) أيضًا باسط الشيء الذي ليس بمفروش ييسطه ويفرشه، كما
بسط الأرض للأنام وبث فيها أقواتهم ^(٣).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾
[نوح: ١٩-٢٠].

قال الحلبي: «القَابِضُ» يطوي برّه ومعروفه عمّن يريد، ويضيّق ويُقترّ أو يحرم
فيفقر.

ومنها (البَاسِطُ): ومعناه الناشر فضله على عباده، يرزق ويوسع ويجود ويفضّل
ويمكن ويؤخّل ويعطي أكثر مما يحتاج الناس إليه ^(٤).

وقيل (القَابِضُ): الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد.
و(البَاسِطُ): الذي بسط الأرواح في الأجساد ^(٥).

وقال الغزالي: «القَابِضُ البَاسِطُ» هو الذي يقبض الأرواح من الأشباح عند

(١) «اشتقاق الأسماء» (ص ٩٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٩٩).

(٣) «المنهاج» (١/ ٢٠٣) ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٦٤-٦٥).

(٤) «الاعتقاد» (ص ٥٧).

الممات، ويسط الأرواح فى الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء ويسط الأرزاق للضعفاء، يسط الرزق على الأغنياء حتى لا تبقى فاقة ويقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة.

ويقبض القلوب فيضيقتها بما يحدث لها من فتن ومحن ويسطها بما يتقرب إليها من برّه ولطفه وجماله وحلاوة ذكره^(١).

الجمع بين الاسمين:

قال الزجاج: «الأدب في هذين الاسمين أن يُذكر معاً؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معاً.

ألا ترى أنك إذا قلت إلى فلان قبض أمري وبسطه، أنك تريد أن جميع أمرك إليه؟، وتقول: ليس إليك من أمري بسط ولا قبض ولا حل ولا عقد، أراد ليس إليك من ذلك شيء»^(٢).

وقال الخطابي: «قد يحسن في مثل هذين الاسمين أن يقرن أحدهما في الذكر بالآخر وأن يوصل به ليكون ذلك أنبأ عن القدرة وأدّل على الحكمة كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْطِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وإذا ذكرت القابض مفرداً عن الباسط كنت كأنك قد قصرت الصفة على المنع والحرمان، وإذا وصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين مُنبأً عن وجه الحكمة فيهما»^(٣).

(١) «المقصد الأسنى» (ص ٥٢) بتصرف.

(٢) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٤٠).

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٥٨).

قال ابن القيم:

هو قابض هو باسط بالعدل والميزان

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

١- الخير كله بيد الله:

فإن الخير كله والرزق كله بيد الله سبحانه.

قال النبي ﷺ: «... لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك»^(١).

ويده مبسوطتان بالخير على عباده، والنفقة على خلقه، وينزل عليه من بركات رزقه تبعاً لحكمته سبحانه.

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال لي: أنفق أنفق عليك».

وقال رسول الله ﷺ: «يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغيض ما في يمينه - قال: وعرشه على الماء، ويده الأخرى القبض يرفع ويخفض»^(٢).

٢- تباركت يد الله وكثر خيرها:

وانظر إلى البركة في يد الله سبحانه إذا أخذ منك شيئاً وتقبله.

(١) رواه مسلم (٧٧١)، باب: [الدعاء في صلاة الليل وقيامه].

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٤)، (٧٤١١)، باب: [قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾]، ومسلم (٩٩٣)، باب: [الحث على النفقة وتبشير المُنْفِق].

قال النبي ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبه كما يربّي أحدكم فُلُوّه حتى تكون مثل الجبل»^(١). وفي رواية لمسلم: «ما تصدق أحدٌ بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربّي أحدكم فُلُوّه أو فصيله».

٣- قبضة أرحم الراحمين:

إنها قبضة سيقبضها الله سبحانه من أهل النار، فيخرجهم منها إلى الجنة، ولم يعملوا خيراً أبداً. وهذا بعد شفاعة الشافعين.

قال النبي ﷺ: «فيقول الله عزّ وجلّ: شفعت الملائكة، وشفعت النبيون، وشفعت المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمَمًا، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجنة يُقال له: نهر الحياة»^(٢).

وهذه ثلاث حثيات بيديه الكريمتين سبحانه وتعالى:

وهذا عندما يدخل المسلمون الجنة، ومنهم من لا حساب عليه ولا عذاب، ثم يحثو الله أعدادًا هائلة من المسلمين بيديه الكريمتين في الجنة.

قال النبي ﷺ: «وعندي ربي سبحانه أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي عزّ وجلّ»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٤١٠)، باب: [الصدقة من كسب طيب]، ومسلم (١٠١٤). فُلُوّه: مُهَرَّة.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، باب: [معرفة طريق الرؤية].

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» للطبراني (٤٢٨٦)، وصححه الألباني، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٣٠٣)، والترمذي في «سننه» (٢٤٣٧)، وصححه الألباني أيضاً، وابن ماجه في «صحيحه» (٧٢٤٦)، وصححه الألباني - «ظلال الجنة» (١/ ٢٦٠-٢٦١)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

ثلاث حثيات: أي ثلاث غرف بيده سبحانه مما يدل على كثرة العدد.

قال ابن الأثير:

والحثوة: تُستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفية دفعة واحدة من غير وزن وتقدير^(١).

ما هي عظمة قبضة الله؟؟؟:

إن عظمة الله أعظم من أن توصف وأكبر من أن يحاط بها، ولكن انظر إلى عظمة قبضته سبحانه وكيف يحمل السموات على أصبع والأرضين على أصبع... قال النبي ﷺ: «يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»^(٢).

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إننا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]^(٣).

(١) انظر: «تحفة الأحوذى» (١٠٩/٧).

(٢) رواه البخاري (٤٨١٢) باب: [قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾].

(٣) رواه البخاري (٤٨١١) باب: [قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾]، ومسلم (٢٧٨٦) في كتاب «صفة القيامة والجنة والنار».

وهذا الحديث وأمثاله من الأدلة من القرآن والسنة التي تحتوي أخباراً عن صفات الله كالوجه، واليد، والأصابع، فنؤمن بها ونصدقها، كما جاءت دون تشبيه لله بخلقه، ولا تكييف، ولا تعطيل.

٤- إن الله يقبض العلم ويبسطه :

فالعلم من أعظم الرزق وأوسعها إذا هو ميراث النبوة فيبسطه لمن يشاء، ويقبضه ممن يشاء.

قال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

قيل: بسطة في العلم: أي علماً كثيراً نافعاً ينتفع هو به فيعمل بما علم ويتنفع الناس بنشره والعمل به.

قال ابن كثير: «أي أتم علماً وقامه منكم ومن ها هنا ينبغي أن يكون المَلِكُ ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه»^(١).

كيف يقبض الله العلم؟

إن الله سبحانه إذا رأى الناس لا يستحقون العلم إذ أن العلم له درجات شريفة فإذا فسد الناس قبض الله أشرف من فيهم وهم العلماء وهذا من أشراط الساعة.

قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦٦).

(٢) رواه البخاري (١٠٠)، باب: [كيف يقبض العلم].

٥- إن الله يبسط يده للتائبين :

وهذا من عظيم كرمه، وجميل صفاته جلَّ جلاله.

قال النبي ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١).

وهذا من حُب الله للتوبة؛ إذ كانت العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها.

من دعاء الله بهذين الاسمين الكريمين :

١- الشكر على ما بسطه الله من الرزق والرضا والصبر على ما قبضه.

٢- الإقبال على التوبة فإن الله يبسط يده ليلاً ونهاراً للتائبين.

٣- صلة الأرحام.

فإن في صلة الأرحام بركة في العمر وكثرة في الأرزاق وبسط في النعم.

قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٧٥٩)، باب: [قبول التوبة من الذنوب].

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٥).

فَهْرِسْتَن

٥	مقدمة فضيلة الشيخ / محمد حسان
٧	مقدمة فضيلة الشيخ مصطفى العدوي
٩	مقدمة المؤلف
١٥	الباب الأول: من فضائل الأسماء الحسنی
١٥	أولاً- الأسماء الحسنی من أعظم أسباب دخول الجنة:
١٥	ثانياً- الأسماء الحسنی تعرفك بالله ﷻ:
١٦	ثالثاً- معرفة الأسماء الحسنی أصل عبادة الله ﷻ:
١٦	رابعاً- الأسماء الحسنی أعظم الأسباب لإجابة الدعاء:
١٧	خامساً- إن الله يحب من أحب أسمائه الحسنی:
١٨	سادساً- دعاء الله بأسمائه الحسنی أعظم أسباب تفريج الكرب
١٨	سابعاً- الأسماء الحسنی أصل كل شيء:
٢١	ثامناً- معرفة الله بأسمائه وصفاته هي أصل خشيته سبحانه:
٢٢	تاسعاً- من عرف الأسماء الحسنی كما ينبغي فقد عرف كل شيء:
٢٤	عاشراً- حسن الظن بالله سبحانه:
٢٥	الحادية عشرة- لا يضر مع اسم الله شيء:
٢٥	الثانية عشرة- الأسماء الحسنی وأثرها في الحلال والحرام:
٢٦	الثالثة عشرة- العلم بأسماء الله الحسنی أعظم العلوم وأشرفها:

- الرابعة عشرة - بركة الأسماء الحسنی فی المعیشة: ٢٧
- الخامسة عشرة - بركة الأسماء الحسنی تلحق الذرية: ٢٧
- السادسة عشرة - أسماء الله أعظم أسباب الشفاء: ٢٧
- السابعة عشرة - النجاة من الوسوسة: ٢٨
- الباب الثاني..... ٢٩
- قواعد فی أسماء الله تعالى..... ٢٩
- القاعدة الأولى - أسماء الله تعالى كلها حسنی: ٢٩
- القاعدة الثانية - أسماء الله تعالى توقیفية: ٣١
- القاعدة الثالثة: ٣٢
- القاعدة الرابعة - الأسماء الحسنی لیست أعلامًا فقط، : ٣٥
- القاعدة الخامسة - باب الصفات أوسع من باب الأسماء: ٣٦
- القاعدة السادسة - الأسماء الحسنی لا تزيد ولا تنقص: ٣٨
- القاعدة السابعة - هل حُصِرَت الأسماء الحسنی بعددٍ معین؟ ٣٩
- الباب الثالث: أربعة تنبيهات مهمة ٤١
- أولاً - من أحصاها دخل الجنة: ٤١
- ثانيًا - وذروا الذين يلحدون في أسمائه: ٤٣
- والإلحاد في أسماء الله أنواع: ٤٤
- دعاء الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی ثلاثة أنواع..... ٤٧
- الأول - دعاء الإيمان والعبادة: ٤٧
- الثاني - دعاء الحمد والثناء: ٤٧

«الرحمن - الرحيم» جل جلاله وتقدست أسماؤه

- المعنى اللغوي: ٥١
- ورود الاسمين في القرآن الكريم: ٥١
- معنى الاسمين في حق الله تعالى: ٥١
- من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين ٥٣
- أولاً- التعرف على الله برحمته والإيمان بها: ٥٣
- ثانياً- فانظر إلى آثار رحمة الله: ٥٦
- أولاً- يغفر الذنوب مهما عَظُمَت: ٦١
- ثانياً- ويبسط يده للتائبين ليلاً ونهاراً: ٦٢
- ثالثاً- ويفرح بتوبة عبده: ٦٢
- رابعاً- ويبدل السيئات حسنات: ٦٣
- شفاعته في الموحّدين: ٦٦
- رابعاً- ليس كمثله شيء في رحمته: ٦٧
- رابعاً- لا تقنطوا من رحمة الله: ٦٨
- خامساً- من أسباب الحرمان من رحمة الله: ٧٠
- سادساً- من أسباب رحمة الله لخلقه: ٧٢
- سابعاً- دعاء الله باسميه «الرحمن، الرحيم»: ٧٧

«الملك، المالك، المليك»

جل جلاله وتقدست أسماؤه

- المعنى في حق الله: ٨٠

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين ٨١

١ - لا ملك إلا الله: ٨١

٢ - فعّال لما يريد: ٨١

ذلّ الملوك بين يدي ملك الملوك ۞ وتقدست أسماؤه: ٨٣

«القدوس»

المعنى اللغوي: ٩٣

من آثار الإيمان بالاسم الكريم ٩٥

١ - القدسية التامة لله من جميع الوجوه: ٩٥

أولاً- تقدّس أن يكون له شريك: ٩٦

ثانياً- تقدّس أن يكون له زوجة أو ولد: ٩٦

ثالثاً- تقدّس عن الموت، والنوم: ٩٦

رابعاً- تقدس عن الظلم: ٩٦

خامساً- تقدّس عن الكذب: ٩٧

سادساً- تقدّس عن الضلال والنسيان: ٩٧

سابعاً: تقدّس عن الفقر والبخل جل جلاله وتقدست أسماؤه: ٩٧

ثامناً: تقدّس عن الفناء: ٩٧

تاسعاً: تقدّس عن الشبيه والمثيل: ٩٨

ليس كمثله شيء في قدسيته: ٩٨

دعاء الله باسمه القدوس: ١٠٢

«السَّلامُ»

المعنى اللغوي: ١٠٥.....

الدليل الشرعي: ١٠٥.....

معنى الاسم في حق الله: ١٠٦.....

«المُؤْمِنُ»

المعنى اللغوي: ١٠٩.....

وروده في القرآن الكريم: ١٠٩.....

معنى الاسم في حق الله سبحانه: ١٠٩.....

آيات الله في أَمْنِ الحرم المبارك: ١١١.....

مواقف عظيمة لتصديق الله للمؤمنين: ١١٢.....

صدق الله فصدقه الله: ١١٢.....

«العزیز»

المعنى اللغوي: ١١٥.....

الدليل الشرعي: ١١٥.....

المعنى في حق الله سبحانه وتعالى: ١١٦.....

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: ١١٧.....

١- عزيز في وحدانيته «سبحانه»: ١١٧.....

٢- عزيز في ذاته وصفاته: ١١٧.....

٣- عزيز في كلامه: ١١٨.....

٤- العزيز في كبريائه وعظمته «سبحانه»: ١١٨.....

- ٥- العزيز في انتقامه : ١١٩
- عقوبات تنتظر العصاة من تلك الأمة: ١٢١
- ٦- العزيز في نصر أنبيائه وأوليائه: ١٢١
- ١- من حادَّ الله ورسوله: ١٢٢
- ٢- اليهود أذل الخلق: ١٢٢
- معصية الله ورسوله: ١٢٣
- الكبر: ١٢٤
- مَنْ لم يسجد لله «سبحانه»: ١٢٤
- الرغبة في الدنيا: ١٢٥
- ترك الجهاد في سبيل الله: ١٢٥
- من أسباب العزة «هؤلاء يُعِزُّهم الله» ١٢٦
- ١- الإيمان بالله: ١٢٦
- الإسلام هو غاية العِزِّ: ١٢٦
- الإسلام أعزُّ الأنساب: ١٢٧
- العز في الاستغناء عن الناس: ١٢٧
- الصبر على الظلم: ١٢٧
- العفو عند المقدرة: ١٢٨

«الجَبَّارُ»

- المعنى اللُّغوي: ١٢٩
- وروده في القرآن الكريم: ١٣٠

- معنى الاسم في حق الله تعالى: ١٣٠
- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: ١٣٢
- ١- إن الله هو الجبار فقد قهر خلقه على ما يصلحهم: ١٣٢
- ٢- هو الجبار لكل كسير: ١٣٢
- ٣- وجبر المريض بالشفاء: ١٣٣
- ٥- وجبر المظلومين بإجابة دعائهم والانتقام ممن ظلمهم: ١٣٣
- دعاء الله سبحانه باسمه الجبار ١٣٦
- الدعاء بين السجدين: ١٣٦
- تعظيم الجبار سبحانه بالدعاء في الصلاة: ١٣٦
- في القيام: ١٣٦
- في الركوع: ١٣٦

«الْمُتَكَبِّرُ»

- المعنى اللغوي: ١٣٧
- وروده في القرآن الكريم: ١٣٨
- معنى الاسم في حق الله سبحانه: ١٣٨
- من آثار الإيمان بهذا الاسم ١٣٩
- ١- إن الله هو الكبير المتكبر في ذاته بالحق: ١٣٩
- فقد تكبر سبحانه عن الزوجة والولد: ١٤٠
- وقد تكبر سبحانه عن المكافئ والشبيه: ١٤٠
- وقد تكبر عن الشريك والند والمُعِين: ١٤٠

- والله سبحانه هو المتكبر عن الموت والفناء: ١٤٠
- وهو المتكبر عن ذميم الصفات: ١٤٠
- كيف سينظر المؤمنون الى ربهم الكبير فى الجنة؟! ١٤٠
- «اللهم إنا نعوذ بك من سوء الكبر»: ١٤١
- الخيلاء: ١٤١
- الإعجاب بالنفس والتبخر: ١٤١
- الترفع والتعالي: ١٤٢
- رفض النصيحة والتعالي عليها: ١٤٢
- حرصه على قيام الناس له: ١٤٢
- الفخر بالأنساب: ١٤٢
- وتلك عقوبة المتكبرين: ١٤٣
- المتكبرون من أهل النار: ١٤٣
- حرمان المتكبرين من الجنة: ١٤٣
- حرمانهم من نظر الله إليهم وكلامه وتركته لهم: ١٤٣
- المتكبر كالذري يوم القيامة: ١٤٤
- التعوذ بالله من سوء الكبر: ١٤٤

«الخالق - الخلاق»

- المعنى اللغوي: ١٤٥
- وروده في القرآن الكريم: ١٤٥
- ورد اسم «الخالق» سبحانه مرة واحدة في القرآن الكريم، ١٤٥

- وورد اسمه «الخالق» سبحانه مرتين..... ١٤٥
- معنى الاسم في حق الله ١٤٦
- الله خالق كل شيء ١٤٦
- أعرابيٌّ يبحث عن خالقه: ١٤٦
- خلق الخلق من العدم: ١٤٨
- خلق على غير مثال سابق: ١٤٩
- خلق في إتقان وإحسان: ١٥٠
- وهو خلق الخلق وما أنشأوه: ١٥٠
- سهولة الخلق وهوانه على الله سبحانه: ١٥٢
- خلق الخلق وما يحتاجون إليه: ١٥٢
- خلق الله بإعجاز وتحيد: ١٥٣
- مَنْ يخلق حَبَّةً أو ذَرَّةً؟! ١٥٣
- الكون كتابٌ والكائنات حروف ١٥٤
- إحسان الخلق يدل على جمال الخالق سبحانه: ١٥٥
- ٦- لم يتعب في خلقه..... ١٥٥
- من آثار الإيمان باسم الله الخالق سبحانه: ١٥٥
- أداء حق الله على خلقه: ١٥٥
- توحيد الخالق فطرة العقلاء والحنفاء: ١٥٦
- بما أن الله هو الخالق وحده فلا بد أن يُعبد وحده!! ١٥٦
- الشُّرك بالخالق هو أعظم الذنوب: ١٥٧

- ٨- أفمن يخلق كمن لا يخلق؟! ١٥٧
- ٩- خلق لغير حاجة، لِمَا يَخْلُق؟! ١٥٨
- ما غرَّكَ بربك الكريم: ١٥٩
- الشيوعية الخاسرة: ١٦١
- أما عن الملحدين ونظرياتهم: ١٦٢

«الباري»

- المعنى اللغوي: ١٦٧
- وروده في القرآن الكريم: ١٦٨
- المعنى في حق الله تعالى: ١٦٨
- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ١٧٠
- ١- عظمة الباري سبحانه في خلق الإنسان: ١٧٠
- ٢- التواضع: ١٧١
- ٣- كل ما قدَّر الله أن يكون فسيكون: ١٧١
- ٤- (كل ما خُبِّيء فسيظهر وكل ما قُدِّر فسيحدث): ١٧١
- ٥- الباريء هو الذي يرى الأشياء بعضها من بعض: ١٧٢
- وقد تبرَّأ الله ورسوله ﷺ من المشركين: ١٧٤

«المصوّر»

- المعنى اللغوي: ١٧٧
- الدليل الشرعي: ١٧٧
- المعنى الشرعي في حق الله تعالى: ١٧٨

- من آثار الإيمان باسم الله «المصوّر» سبحانه ١٧٩
- إن الله هو المصوّر وحده لكل خلقه: ١٧٩
- صور الإنسان هي أحسن الصّور في الخلق: ١٧٩
- تكریم ما صوّره الله والنهي عن إهانته بالضرب والشتم: ١٧٩
- ويُكلّفوا بنفخ الروح فيما صوّروه: ١٨١
- لَعَنَ رسول الله ﷺ المصور: ١٨١
- لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة: ١٨١
- ورسول الله ﷺ أيضاً لم يدخل بيتاً فيه صورة: ١٨١
- وهذا حُكم استعمال الصور: ١٨٢
- أول عبادة لغير الله كان سببها الصّور: ١٨٢
- هم شرار الخلق: ١٨٣
- وشرك اليهود والنصارى أيضاً كان سببه الصور: ١٨٣
- وكفار قريش كذلك كانوا يعبدون الصّور: ١٨٣
- كراهة الصلاة في ثياب فيها صور أو أمامها: ١٨٤
- إتلاف الصورة ونقضها: ١٨٤
- لا ينظر الله إلى صور الناس: ١٨٥
- هؤلاء حسّن الله صورتهم بطاعته: ١٨٥
- بيض الوجوه: ١٨٦
- وقبّح صُور هؤلاء بمعصيتهم: ١٨٧
- مسخ الله اليهود على صورة القردة والخنازير: ١٨٧

- أمة من بني إسرائيل مسخت فئران: ١٨٧.....
- مسح أبي إبراهيم إلى ضبع: ١٨٧.....
- صور المتكبرين مثل الذر (النمل) يوم القيامة: ١٨٨.....
- ليس كمثله شيء في تصويره: ١٨٨.....
- عظيم قدرته سبحانه في تصويره وعجز غيره: ١٨٨.....
- تصوير الله لخلقه على غير مثال سابق (والمصّورون مقلّدون): ١٨٩.....
- «العلي - الأعلى - المتعال»

- المعنى اللغوي: ١٩١.....
- ورود هذه الأسماء في القرآن الكريم: ١٩١.....
- معنى الأسماء في حق الله تعالى: ١٩٢.....
- من آثار الإيمان بهذه الأسماء الكريمة: ١٩٣.....
- ١- وجوب الإيمان بالعلو المطلق لله ﷻ من كل الوجوه: ١٩٣.....
- ٢- ثبوت الإيمان لمن آمن بعلو الله ﷻ: ١٩٥.....
- ٣- التواضع ودم التعالي والتكبر: ١٩٥.....
- ٤- ما علا شيء من الدنيا إلا وُضع: ١٩٦.....
- ٥- الإخلاص: ١٩٧.....
- ٦- إن الله يحب معالي الأمور: ١٩٧.....
- ٧- «أولئك لهم الدرجات العلى»: ١٩٨.....
- ٩- ليس كمثله شيء في علوه: ٢٠٣.....

«العظيم»

- المعنى اللُّغوي: ٢٠٥
- وروده في القرآن الكريم: ٢٠٦
- المعنى في حق الله سبحانه: ٢٠٦
- العظيم المُطلق هو الله سبحانه: ٢٠٦
- عظمة الله في خلقه (الخلق يُسَبِّح بعظمة خالقه): ٢٠٨
- التواضع وترك التعاضُّم: ٢٠٩
- الله أعظم من كل عظيم: ٢١٠
- تعظيم الله وتعظيم حرماته وشعائره: ٢١٢
- الدعاء باسم الله العظيم سبحانه: ٢١٣
- ذِكْرُ آخر في الركوع والسجود: ٢١٤
- إِعْظام الرغبة في الله: ٢١٤
- وهذا دعاءٌ لتفريج الكرب: ٢١٤

«الواسع»

- المعنى اللُّغوي: ٢١٥
- وروده في القرآن الكريم: ٢١٥
- معنى الاسم في حق الله تعالى: ٢١٦
- من آثار الإيمان باسم الله الواسع: ٢١٧
- ومن صور السعة في أسماء الله وصفاته ما يلي: ٢١٨
- أولاً- أنه يسع كل الناس: ٢٢١

- ٢٢١..... ثانيًا - سعة الشرع لكل شيء:
- ٢٢٢..... ثالثًا - اليسر في الأحكام:
- ٢٢٤..... ثانيًا: من عبادة الله باسمه الواسع:
- ٢٢٨..... دعاء الله باسمه الواسع

«الحكيم»

- ٢٢٩..... جل جلاله وتقدّست أسماؤه
- ٢٢٩..... وروده في القرآن الكريم:
- ٢٣١..... من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم
- ٢٣٤..... الدعوة إلى الله بالحكمة
- ٢٣٥..... تعليم الحكمة من أعظم النعم:
- ٢٣٥..... دعاء النبي ﷺ لابن عباس بالحكمة:
- ٢٣٥..... وأنعم الله على أهل اليمن بالحكمة:
- ٢٣٦..... من نواذر الحكماء
- ٢٣٦..... حكم سليمان بين المرأتين

«الوَاحِدُ - الأَحَدُ»

- ٢٣٧..... المعنى اللغوي:
- ٢٣٨..... ورودهما في القرآن الكريم:
- ٢٣٨..... معنى الاسمين في حق الله سبحانه:
- ٢٣٩..... توحيد الله قبل كل شيء:
- ٢٤٠..... تقديم التوحيد في الدعوة إلى الله:

- فالله هو الخالق وحده: ٢٤٠
- وهو الرزاق وحده: ٢٤٠
- ولذلك فهو المعبود وحده: ٢٤١
- الله واحد ٢٤١
- إنما هو إلهٌ واحد: ٢٤١
- ليس معه آلهة أخرى: ٢٤١
- لا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرًا لكم) ٢٤٢
- الله واحد فلا شبيه له ولا شريك ٢٤٢
- ولا ندَّ له ولا مكافئ ٢٤٢
- فهو الواحد الأحد في كل شيء ٢٤٢
- «الله الواحد الصمد» ثلث القرآن: ٢٤٣
- وهذه رواية جميلة لهذا الحديث: ٢٤٣
- لا تتقَالَها: ٢٤٣
- من أحبها أحبه الله، وادخله الجنة ٢٤٤
- قُمْ يا مَدِحِ الله ٢٤٤
- عشر مرات بقصرٍ في الجنة ٢٤٥
- الدعاء بهذين الاسمين الكريمين: ٢٤٥
- كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ٢٤٦
- فأهلها هم أهل الجنة ٢٤٦
- وهم أسعد الناس بشفاعته رسول الله ﷺ ٢٤٦

وهذه رواية جميلة عن كلمة التوحيد، وفيها: ٢٤٦.....

وهذه دعوة مُستجابة لا تُردُّ: ٢٤٧.....

«القَهَّارُ»

المعنى اللُّغوي: ٢٤٩.....

وروده في القرآن الكريم: ٢٤٩.....

معنى الاسم في حق الله تعالى: ٢٤٩.....

الواحد القهار: ٢٥٠.....

وهنا سببان لاقتراحهما: ٢٥٠.....

تحريم قهر الناس: ٢٥٣.....

«الغفور، الغفار»

المعنى اللُّغوي: ٢٥٧.....

الدليل الشرعي: ٢٥٧.....

معنى الاسمين في حق الله تعالى: ٢٥٨.....

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين: ٢٥٩.....

أولاً- معرفة الله وحبّه: ٢٥٩.....

١- لا يغفر الذنوب إلا الله: ٢٥٩.....

٢- إن ربك واسع المغفرة: ٢٦٠.....

٣- إن الله يغفر الذنوب جميعاً: ٢٦٠.....

٤- الستر على عبده: ٢٦٢.....

٥- إن الله يحب التوابين: ٢٦٣.....

- ٦- ويفرح بهم: ٢٦٤
- ٧- ويضحك إليهم: ٢٦٥
- ٨- ويُسخرّ لهم مخلوقاته: ٢٦٥
- ٩- ويغضب على من قنط الناس من رحمته: ٢٦٥
- ثانيًا- المسارعة إلى التوبة بعد الذنب: ٢٦٦
- ثالثًا- اغفروا يُغفر لكم: ٢٦٦
- رابعًا- من علامات المغفرة: ٢٦٧
- ١- أن يُرزق توبةً نصوحًا: ٢٦٧
- ٢- الندم: ٢٦٧
- ٣- فرحة التائب بالمغفرة: ٢٦٨
- ٤- البكاء من خشية الله: ٢٦٨
- ٤- تبديل السيئات حسنات: ٢٦٩
- خامسًا- من موانع المغفرة: ٢٧٠
- ١- الشرك: ٢٧٠
- ٢- أصحاب البدع: ٢٧١
- ٣- المجاهرة بالمعاصي: ٢٧١
- ٤- طلوع الشمس من مغربها: ٢٧١
- ٥- الغرغرة: ٢٧٢
- ٦- الهجران بين المسلمين: ٢٧٢
- سادسًا- من أسباب المغفرة: ٢٧٢

سابعاً- ليس كمثله شيء في مغفرته: ٢٨١

ثامناً- دعاء الله باسميه الغفار والغفور: ٢٨٣

«الودود»

المعنى اللغوي: ٢٨٥

الدليل الشرعي: ٢٨٦

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٢٨٩

وصف جامع في المحبة ٣٠٦

حب الله لعباده الصالحين وعلاماته ٣٠٧

رابعاً- علامات محبة الله للعبد: ٣١٣

دعاء الله باسمه «الودود» ۞ وتقدسست أسماؤه ٣٢٠

«القوي»

المعنى اللغوي: ٣٢٣

الدليل الشرعي: ٣٢٣

معنى الاسم في حق الله سبحانه: ٣٢٤

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٣٢٥

لله القوة جميعاً: ٣٢٥

دعاء الله بهذا الاسم ٣٢٦

هذه كلمة من كنوز الجنة: ٣٢٦

ويدفع الله بها ما شاء من أنواع البلاء: ٣٢٦

وهو القوي في رحمته: ٣٢٦

قوي في حبه: ٣٢٧

وهو القوي في نصر أحبابه وأوليائه: ٣٢٧

«العَفُوُّ»

المعنى اللغوي: ٣٣١

المعنى الشرعي للاسم: ٣٣١

وقال الخطابي: «العَفُو» الصّبح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء. ٣٣١

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٣٣٢

والله عَفُوٌّ مع قدرته على خلقه: ٣٣٣

وجعل العفو من صفات الأتقياء: ٣٣٤

من أمثلة العفو العظيمة: ٣٣٤

دعاء الله باسمه «العَفُوُّ» سبحانه: ٣٣٧

«الشكور، الشاكر»

المعنى اللغوي: ٣٣٩

ورود الاسمين في القرآن الكريم: ٣٣٩

معنى الاسمين في حق الله تعالى: ٣٤٠

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين ٣٤١

١ - إن الله يشكر خلقه بدقة: ٣٤١

كم في العنبة من ذرات؟ ٣٤١

لك بها سبعمائة ناقة كلها مخطومة: ٣٤٢

الله يشكرك جملة وتفصيلاً: ٣٤٣

- فهذا أجرٌ للوضوء والذكر بعده: ٣٤٤
- شربة ماء لكلب ثمنها الجنة: ٣٤٦
- أغلى تمرة في التاريخ: ٣٤٧
- وشق تمرة يقيك به النار: ٣٤٧

«الحقُّ»

- المعنى اللغوي: ٣٤٩
- الدليل الشرعي: ٣٤٩
- المعنى في حق الله: ٣٤٩
- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٣٥٠
- ١ - الله سبحانه هو الحق في وجوده: ٣٥٠
- ٢ - قوله الحق: ٣٥١
- ٣ - وعده الحق: ٣٥١

«المبين» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

- المعنى اللغوي: ٣٥٥
- وروده في كتاب الله: ٣٥٥
- المعنى الشرعي لهذا الاسم الكريم: ٣٥٥
- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٣٥٦
- ١ - إن الله هو المبين لنفسه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی: ٣٥٦
- وبيين للعزيز أنه على كل شيء قدير: ٣٥٧
- ٢ - والله هو المبين لخلقه الحق من خلال رسله: ٣٥٧

- وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مَبِينًا لِلْهُدَى وَالنُّورِ: ٣٥٨
- وَقَدْ سَمَّى رَسُولُهُ بِالْبَيِّنَةِ: ٣٥٨
- ٣- اللَّهُ مَبِينٌ فِي كَلَامِهِ «فَأَنْزَلَ كِتَابًا مَبِينًا فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ»: ٣٥٨
- وَأَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ وَاضِحٍ مَبِينٍ: ٣٥٩
- ٤- وَاللَّهُ هُوَ الْمَبِينُ فِي كِتَابِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ: ٣٥٩
- ٥- وَهُوَ الْمَبِينُ لِلْحَقِّ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ٣٥٩
- ٦- وَاللَّهُ هُوَ الْمَبِينُ الْحَقُّ لَخَلْقِهِ بِآيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْكُونِيَّةِ: ٣٦٠
- وَجَعَلَ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ: ٣٦٠
- ٧- وَاللَّهُ هُوَ الْمَبِينُ لَخَلْقِهِ مَا خَفِيَ عَنْهُمْ: ٣٦٠
- لَا تَشْهَدُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ: ٣٦١
- الدُّعَاءُ بِهَذَا الْإِسْمِ الْكَرِيمِ: ٣٦٢

«اللطيف»

- المعنى اللغوي: ٣٦٣
- الدليل الشرعي: ٣٦٣
- المعنى لهذا الاسم في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ٣٦٣
- من آثار الإيمان بهذا الاسم ٣٦٥

«الخبير»

- المعنى اللغوي: ٣٦٩
- الدليل الشرعي: ٣٦٩
- معنى الاسم في حق الله تعالى: ٣٦٩

من آثار الإيمان بهذا الاسم ٣٧٠

«السُّبُوح»

المعنى اللغوي: ٣٧٣

وروده في الحديث الشريف: ٣٧٤

المعنى في حق الله سبحانه: ٣٧٤

من آثار الإيمان بهذا الاسم ٣٧٥

كل الخلق يسبحون إلا الأغبياء: ٣٨١

الجمع بين التسبيح والحمد: ٣٨١

خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن: ٣٨٢

قلها ولو مائة مرة تُغْفَر خطاياك. ٣٨٢

وقلها إذا أصبحت وإذا أمسيت: ٣٨٢

كلمات أفضل من ذكر الله ساعات: ٣٨٣

سبح مائة بألف حسنة: ٣٨٣

«السَّمِيع»

المعنى اللغوي: ٣٨٥

وروده في القرآن الكريم: ٣٨٥

معنى الاسم في حق الله: ٣٨٥

قال ابن القيم: فعل السمع يراد به أربعة معانٍ: ٣٨٦

من آثار الإيمان باسم الله السميع «سبحانه» ٣٨٧

دعاء الله باسمه السميع سبحانه ٣٩٠

«البصير»

- المعنى اللغوي: ٣٩١
- وروده في القرآن الكريم: ٣٩١
- المعنى في حق الله تعالى: ٣٩١
- من آثار الإيمان بهذا الاسم ٣٩٢
- دعاء الله باسمه البصير ٣٩٥

«الفتاح» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

- المعنى اللغوي: ٣٩٧
- وروده في القرآن الكريم: ٣٩٧
- معنى الاسم في حق الله تعالى: ٣٩٧
- ما يفتحه الله لا يخلقه أحد: ٣٩٨
- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٣٩٩
- ١ - إن الله هو الفتاح لما غاب عن خلقه: ٣٩٩
- ويفتح من العلوم لعباده الصالحين: ٣٩٩
- ويفتح أبواب الرزق للمتقين: ٣٩٩
- طوبى لعبد جعله الله مفتاحًا للخير: ٤٠٠
- يوم القيامة هو يوم الفتح العظيم: ٤٠٠
- ليس كل ما يفتح فهو خير: ٤٠١
- أعظم ما يُفتح هو أبواب التوبة والرحمة: ٤٠٢
- الدعاء باسم الله الفتاح سبحانه ٤٠٢

دعاء دخول المسجد: ٤٠٣

«العليم»

المعنى اللغوي: ٤٠٥

وروده في القرآن الكريم: ٤٠٥

المعنى في حق الله (سبحانه): ٤٠٥

من آثار الإيمان بهذا الاسم ٤٠٧

ليس كمثله شيء في علمه ٤٠٩

دعاء الله باسمه العليم ٤١٠

دعاء الاستخارة ٤١٠

«الحي»

المعنى اللغوي: ٤١١

الدليل الشرعي: ٤١٢

المعنى الشرعي لهذا الاسم الكريم: ٤١٣

من أسباب الحياة الحقيقية الكريمة ٤١٤

١ - طاعة الله ورسوله (أعظم أسباب الحياة): ٤١٤

٢ - الإيمان والعمل الصالح (تلك هي الحياة الطيبة): ٤١٤

٣ - إقامة حدود الله والقصاص: ٤١٤

إحياء العلم إظهاره والحكم به: ٤١٥

وأنه هو أمات وأحيا ٤١٦

الشهادة في سبيل الله (هي الحياة الكاملة): ٤١٦

«الْوَلِيُّ»

- المعنى اللغوي ٤٢١
- الدليل الشرعي ٤٢١
- المعنى في حق الله ٤٢١
- من آثار الإيمان ٤٢٢
- الله ولي الذين آمنوا ٤٢٢
- ليس لنا وليٌ غيره ٤٢٣
- الله هو الولي الحميد ٤٢٣
- من هم أولياء الله ٤٢٣
- المؤمنون بعضهم أولياء بعض ٤٢٤
- من الدعاء بهذا الاسم الكريم ٤٢٤

«الحميد»

- المعنى اللغوي ٤٢٥
- الدليل الشرعي ٤٢٥
- المعنى في حق الله ٤٢٥
- من آثار الإيمان في هذا الاسم الكريم ٤٢٦
- إن الله هو الحميد في نفسه وفي أسمائه وصفاته ٤٢٦
- من فضائل حمد الله سبحانه وتعالى ٤٢٧
- «الحمد لله لغة كل المخلوقات» ٤٢٨
- الرعد يسبح بحمد الله ٤٢٨

الحمد لله سبب في الرضا ٤٢٩
وهذا حمدٌ يتسابق عليه الملائكة ٤٢٩
حمد الله يحول البلوى إلى نعمة ٤٣٠
«الأَوَّلُ وَالْآخِرُ»

المعنى اللغوي: ٤٣٣
ورود هذين الاسمين في القرآن الكريم: ٤٣٤
معنى الاسم في حق الله سبحانه: ٤٣٤
١ - فهو أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء: ٤٣٤
وهو الأول والآخر في الخلق: ٤٣٥
وهو الأول والآخر في الرزق: ٤٣٥
وهو الأول والآخر في الحكم والقضاء والقدر: ٤٣٦
وهو الأول والآخر في ملكه: ٤٣٦
وهو الأول والآخر في علمه: ٤٣٦
وهو الأول والآخر في ربوبيته: ٤٣٧
وهو الأول والآخر في ألوهيته سبحانه: ٤٣٧
وهو الأول والآخر في حياة عباده: ٤٣٧
الدعاء بهذين الاسمين الكريمين ٤٣٩
١ - الحفاظ على أذكار الصباح والمساء ٤٣٩
٢ - وهذا دعاء لقضاء الدين والغنى من الفقر: ٤٣٩
٣ - دعاء لمن أصيب بالوسوسة والشك: ٤٤٠

«الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»

- المعنى اللُّغوي: ٤٤١
- هو الظاهر والباطن في نعمه ٤٤٣
- وهو الظاهر والباطن بعلمه ٤٤٣
- من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين ٤٤٦

«الْبِرُّ»

- المعنى اللُّغوي: ٤٤٩
- وروده في القرآن الكريم: ٤٤٩
- معنى الاسم في حق الله: ٤٥٠
- ١ - الله هو البرُّ في وعده وحديثه: ٤٥١
- ٢ - يأمر ببرٍّ من يعصيه ويعاديه: ٤٥٢
- ٣ - الإهداء للجيران ولو كانوا يهودًا: ٤٥٢
- رسول الله أبرُّ الناس: ٤٥٢
- أعظم صفتين في البرِّ: ٤٥٦
- حُفاظ القرآن مع الكرام البررة: ٤٥٧
- دعاء الله باسمه البر سبحانه: ٤٥٧

«الْكَرِيمُ - الْأَكْرَمُ»

- المعنى اللُّغوي: ٤٥٩
- ورودهما في القرآن الكريم: ٤٦٠
- المعنى الشرعي لهذين الاسمين الكريمين: ٤٦١

«القَرِيبُ»

- ٤٦٩..... (ما أبعد السماء وما أقرب الله)
- ٤٦٩..... المعنى اللغوي:
- ٤٧٠..... وروده في القرآن الكريم:
- ٤٧٠..... معنى الاسم في حق الله سبحانه:
- ٤٧١..... من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:
- ٤٧٢..... ٢- لا يعرف قُرب الله إلا من عبده:
- ٤٧٣..... ٣- تقرب الله إلي خلقه أعظم من تقربهم إليه سبحانه:
- ٤٧٣..... ٤- إن الله قريبٌ بِفَرَجِهِ وَنَصْرِهِ:
- ٤٧٤..... ٥- قُرب الله من خلقه نوعان:
- ٤٧٥..... كيف تتقرب إلى الله؟
- ٤٧٦..... متى يتقرب الله إلى خلقه؟
- ٤٧٧..... ليس كمثله شيءٌ في قربهِ:
- ٤٧٨..... أنت قريبٌ من الله إن كنت بعيداً عن معصيته:
- ٤٧٩..... إن الله قريب منك فاتقيه واستحي منه:
- ٤٧٩..... أين الله؟؟!!

«المُجِيبُ»

- ٤٨١..... المعنى اللغوي:
- ٤٨٢..... من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:
- ٤٨٣..... (فلنعم المجيبون) ..

- ٤٨٣..... هذا قُربُه:
- ٤٨٣..... وهذا غِنَاهُ:
- ٤٨٤..... وهذا حَيَاؤُهُ: فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ أَنْ يَرُدَّ يَدَيْكَ فِي دَعَائِكَ
- ٤٨٤..... وهذا كَرَمُهُ:
- ٤٨٥..... هكذا يَسْتَجِيبُ اللَّهُ الدُّعَاءَ
- ٤٨٥..... من أسباب قبول الدعاء:
- ٤٨٦..... هؤلاء لا يَسْتَجِيبُ اللَّهُ دَعَائِهِمْ:
- ٤٨٧..... ليس كمثله شيء في إجابته:

«الرَّءُوفُ»

- ٤٨٩..... المعنى اللُّغَوِي:
- ٤٨٩..... وروده في القرآن الكريم:
- ٤٨٩..... معنى الاسم في حق الله سبحانه:
- ٤٩١..... من آثار الإيمان باسم الله الرَّؤُوفِ سبحانه:
- ٤٩٧..... دعاء الله باسمه الرَّءُوفِ (سبحانه):
- ٤٩٩..... عليّ بن الحسين ١ يدافع عن أصحاب النبي ﷺ:
- ٥٠٠..... أحسن الناس هم المحبون لأصحاب النبي ﷺ:

«التَّوَّابُ»

- ٥٠١..... المعنى اللُّغَوِي:
- ٥٠٢..... ورود هذا الاسم في القرآن الكريم:
- ٥٠٢..... المعنى في حق الله سبحانه:

- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: ٥٠٣
- ويفرح بتوبتهم. ٥٠٤
- هكذا تكون التوبة ٥٠٦
- توبة الأنبياء والمرسلين ٥١٠
- أصدق توبة توبة النبي ﷺ ٥١٠
- قاتل المائة ٥١٣
- مَنْ تحرَّكت الأرض من أجله ٥١٣
- غفر الله لماعز بن مالك ٥١٤
- توبة صادقة ٥١٦
- هكذا تكون التوبة النصوح ٥١٧
- من علامات قبول التوبة ٥١٨
- هجران الذنب وما يُذكر به ٥١٩
- بادر بالتوبة قبل هذه الأحداث ٥٢٠
- دعاء الله باسمه التَّوَاب (سبحانه) ٥٢٣

«الكبير - الأكبر»

- المعنى اللُّغوي لهذين الاسمين: ٥٢٥
- الدليل الشرعي على الاسمين: ٥٢٦
- معنى الاسمين في حق الله: ٥٢٦
- إن الله هو الكبير الذي لا أكبر منه: ٥٢٧
- وهو الكبير في خلقه: ٥٢٨

- وهو الكبير في كلامه وأحكامه: ٥٢٨
- وهو الكبير في أحكامه: ٥٢٨
- رضا الله أكبر وأفضل من الجنة وما فيها ٥٢٩
- الله أكبر في قلبك: ٥٢٩
- الله أكبر من كل شيء: ٥٣٠
- ارحم الصغير والضعيف (فالله أكبر منك): ٥٣٢
- دعاء الله وذكره بهذين الاسمين: ٥٣٢
- كَبَّرَ اللهُ يُصَدِّقُكَ اللهُ: ٥٣٢
- «الله أكبر» من أحب الكلام إلى الله: ٥٣٣
- التكبير في العيدين: فتلك هي أيام الفرح بنعمة الله من الطاعة. ٥٣٣
- التكبير عند خسوف الشمس أو القمر: ٥٣٣

«القَهَّارُ»

- المعنى اللُّغوي: ٥٣٥
- وروده في القرآن الكريم: ٥٣٥
- معنى الاسم في حق الله تعالى: ٥٣٥
- الواحد القهار: ٥٣٦
- تحريم قهر الناس: ٥٣٩

(الحَكَمُ)

- جل جلاله وتقدَّست أسماؤه ٥٤٣
- الدليل الشرعي على هذا الاسم ٥٤٤

- وروده في الحديث الشريف: ٥٤٤
- طُغاة الحكام ٥٤٨
- إياك ومخالفة حكم الله ورسوله ٥٥٢
- عبادة الله ودعائه بهذا الاسم الكريم ٥٥٢
- اجتناب التحاكم إلى غير الله سبحانه ٥٥٣
- «الرَّبُّ»

- «ذلكم الله ربكم» ٥٥٥
- أَمْ لا تعرف ربها ٥٥٧
- من هو الربُّ؟ ماذا يفعل الربُّ لخلقه؟ ٥٥٥
- من رضي بالله ربًّا دخل الجنة ٥٥٥
- ما هي صفات الرب؟ ٥٥٥
- العبادة حقٌّ للربِّ وحده سبحانه ٥٥٦
- أَمْ لا تعرف ربها ٥٥٧
- قوم ثمود كفروا ربهم ٥٥٧
- فرعون لا يعرف من ربه ٥٥٧
- قارون لا يعرف مَنْ يرزقه ٥٥٧
- اليهود والنصارى يتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ٥٥٧
- ويظنون أن المغفرة بأيديهم: هل يكفي بأن تَعْرِف ربك لتكون مسلمًا؟ ٥٥٨
- الشيوعيون ينكرون أن لهذا الكون ربًّا ٥٥٩
- الحيوانات تعرف مَنْ خلقها ويرزقها ٥٥٩

إبليس - عليه لعنة الله - يعلم أن الله ربّه وخالقه ٥٦٠

ويعلم أن الحياة والموت بيد الله وحده ٥٦١

«الإله»

معنى: «لا إله إلا الله» ٥٦٤

مَنْ هو الإله؟ ٥٦٥

أعظم من شهد أن «لا إله إلا الله» ٥٦٧

أخبرت من اعترف بها ٥٦٧

من فضائل «لا إله إلا الله» ٥٦٨

الترهيب من الشرك ٥٧١

كم إلهاً تعبد؟ ٥٧٤

النفى ثم الإثبات ٥٧٤

لماذا لا إله إلا الله؟ ٥٧٦

فاعلم أنه لا إله إلا الله ٥٧٨

لا معبود بحق إلا الله ٥٧٨

هكذا يفعل الأحناف ٥٨٠

«إله مع الله؟» ٥٨٥

ليس كمثله شيءٌ في ألوهيته ٥٨٥

لا إله إلا الله: دعوة الأنبياء والمرسلين ٥٩١

دعاء الله باسمه «الإله» ٥٩٥

قُلْ مع الكون: «لا إله إلا الله»: ٥٩٨

كل شيء يسجد لله ٦٠١

«الجميل»

من آثار الإيمان باسم الله الجميل سبحانه ٦٠٨

يُعرفُ الله (سبحانه) بالجمال ٦١٢

ويُعبد بالجمال ٦١٢

إن الله جميلٌ في مُعاملتِك ٦١٤

جمال الظاهر وجمال الباطن ٦١٧

كن جميلاً ٦٢٠

«الشافى»

الدليل ورد في الحديث الشريف ٦٢٥

المعنى الشرعي للاسم في حق الله ٦٢٥

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم ٦٢٥

أولاً- لا شافى إلا الله ٦٢٥

ثانياً- المرض جندي من جنود الله ٦٢٧

أولاً- المرض رحمة من الله بالمؤمنين ٦٢٨

النجاة من النار ٦٢٩

المريض يظفر بمعية الله ٦٢٩

ثانياً- المرض عذاب لمن عصى الله ورسوله ٦٣٠

١- أبو لهب لعنه الله ٦٣٢

٢- الأسود بن عبد يغوث ٦٣٢

- ٣- غلام أحمد القادياني..... ٦٣٢
- ٤- ومن أهل جهنم من يُعذب بالمرض..... ٦٣٣
- رابعاً- تداووا يا عباد الله..... ٦٣٤
- خامساً- لا تتداووا بمحرم..... ٦٣٤
- ليس كمثله شيء في الشفاء..... ٦٣٥
- أولاً- قدرة الله على الشفاء..... ٦٣٥
- ثانياً- علم الله للداء والدواء..... ٦٣٦
- ثالثاً- الآثار الجانبية والمضاعفات..... ٦٣٦
- قد يكون الشفاء من الابتلاء..... ٦٣٧
- رابعاً- من أسباب الشفاء..... ٦٣٨
- دعاء الله باسمه (الشافى)..... ٦٤٢

«الرفيق»

- المعنى اللغوي..... ٦٤٥
- الدليل الشرعي..... ٦٤٥
- المعنى في حق الله..... ٦٤٥
- آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم..... ٦٤٦
- رفيق بخلقه في شرعه..... ٦٤٦
- رفيق بالعصاة والمذنبين..... ٦٤٦
- رفيق يحب الرفق ويعلمه خلقه..... ٦٤٦
- يحب الرفق في الأمر كله..... ٦٤٧

- ٦٤٧.....الرفق حتى مع الأعداء
- ٦٤٨.....من حرم الرفق حرم الخير
- «الْقَابِضُ - الْبَاسِطُ»
- ٦٤٩.....المعنى اللغوي:
- ٦٥٠.....ورودها في الحديث الشريف:
- ٦٥٠.....معنى الاسمين في حق الله سبحانه:
- ٦٥٢.....الجمع بين الاسمين:
- ٦٥٣.....من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين: